كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور للفاضل الاديب الكامل الاريب وحيد عصره وفريد دهره اقضى القضاة شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الانصاري المعروف بابن عربشاه طيب الله ثراه *

اعتنى بطبعه الحقير الفقير [illegible] ثاني مرة بعد

اخرى باعانة موالاء العظ[illegible] المولوي محمد وجيه والمولوي

[illegible] بشير الدين والمولوي نور الحق والمولوي حافظ

محمد مرتضى والمولوي محمد مظهر والمولوي

عجيب احمد والمولوي يار علي بردنوي

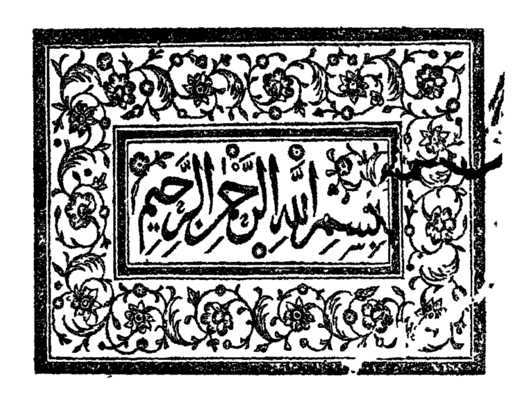
ثم الدهلوي والمولوي غلام حسن

والمولوي وحيد النبي غفر الله

ذنوبهم وستر عيوبهم

سنة ١٢٥٧

هجرية



الحمدُ لله الذي على منوال إرادته وتدبيره تنسجُ مقاطعُ الأمور *

ومن ينبوع قضائه الى لجج قدره يجري تيارا الاعاصير والدهور * اذاق

بعض بني آدم بأس بعض ليبلوهم ايهم احسن عملا وهو العزيز الغفور *

وارسل عليهم في القرن الثامن من الهجرة بحار فتن اقبلت كقطع من

الليل المظلم لم يدر احد ما هي فاذا هي تمور * احمده حمد من كان

على شفا حفرة من نارها فانقذه منها * واشكره شكر من ورطه فيها

حل له فانجته ايادي فضله عنها * واشهد ان لا اله الا الله الحكم

العدل * الذي يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل * واشهد ان

سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي ارسله رحمة للعالمين * وجعله رسول

الله وخاتم النبيين * فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون *
ونبأ بما كان فى الازل وبما يكون الى يوم يبعثون * واستعاذ من غلبة
الدين وقهر الرجال * ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح
الدجال صلى الله عليه صلوة تذكي المسك اذا ذكر فى صدر
الكتب والتواريخ * وتدني لقائلها فى دار
من اهل الشماريخ * وعلى آله و ا ن اما ضوا سيول
الفتح فى الاقاليم فغمروها * وشيدوا اركان الاسلام واثاروا الارض
بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان اكثر مما عمروها * وسلم
تسليما غزيرا * دائما ابدا كثيرا * اما بعد فلما كان فى التواريخ
عبرة لمن اعتبر * وتنبيه لمن افتكر * واعلام بان قاطن الدنيا على
سفر * واحضار لصورة من مضى وغبر * كيف قدر واقتدر * ونهى
وامر * وبنى وعمر * وخذل وختر * وغلب وقهر * وكسر وجبر *
وجمع وادخر * وتكبر وفخر * وكيف عبس وبسر * وضحك واستبشر
* وتقلب فى اطواره من الطفولية الى الكبر * الى ان قلبته ايدى
الغير * واختطفته وهو آمن مما يكون مخالب القضاء والقدر * فخالط

ما صفا من عيشه الكدر * وتنغص حتى ذهب عنه ما حلا ومر * ان في ذلك لعبرة لمن اعتبر * وتذكرة لمن ادكر * وتبصرة لمن استبصر * وكان من عجب القضايا * بل من اعظم البلايا * الفتنة التي يحار فيها اللبيب * ويدلهم في دجى حنادسها الفطن الاريب * ويسفه فيها الحليم * ويذل فيها العزيز ويهان الكريم * قصة تيمور رأس الفساق * الاعرج الدجال الذي اقام الفتنة شرقا وغربا على ساق * اقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى في الارض فافسد فيها واهلك الحرث والنسل * وتيمم حين عمته النجاسة صعيد الارض فغسل بسيف الطغيان كل اغر محجل فتحققت نجاسته بهذا الغسل * اردت ان اذكر منها ما رأيته * واقص في ذلك ما رويته * اذ كانت احدى الكبر * وام العبر * والداهية التي لا يرضى القضاء في وصفها بقدر القدر * والله اسأله الهام الصدق * وسلوك طريق الحق * انه ولي الاجابه * ومسدد سهم المرام الى غرض الاصابه * وهو حسبي ونعم الوكيل *

* فصل في ذكر نسبه وتدريج استيلائه على الممالك وسببه *

اسمه تيمور بتاء مكسورة مثناة فوقا وياء ساكنة مثناة تحتا وواو

فساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة هذه طريقة املائه وفي التصريف زنة بنائه لكن كثرة الالفاظ الاعجميه اذا تداولها صولجان اللغة العربيه * خرطها في الدوران على بناء اوزانها * ودحرجها كيف شاء في ميدان لسانها * فقالوا في هذا تارة تمور وتارة اخرى تمرلنك * ولم يجر عليهم في ذلك حرج

ترغاي بن ابغاي ومسقط رأس ذلك ... قرية تسمى خواجة ايلغار * وهي من اعمال الكش * ابعدها الله من الخش * والكش مدينة من مدن ماوراء النهر * عن سمرقند نحو من ثلث عشر شهر * قيل رئي ليلة ولد كان شيأ شبيه الخوذة ترآى طائرا في عنان الجو * ثم سقط الى فضاء البر * ثم انبث على الارض وانتشر * وتطاير منه مثل الجمر والشرر * وتراكم حتى ملأ البدو والحضر * وقيل لما سقط الى الارض ذلك السقيط * كانت كفاه مملوتين من الدم العبيط * فسألوا عن احواله الزواجر والقافه * وتفحصوا عن تأويل ذلك من الكهنة واهل العيافه * فقال بعضهم يكون شوطيا * وقال بعض ينشأ لصا حراميا * وقال قوم بل قصابا سفاكا *

وقال آخرون انه صار رجلا ذا يساركا * وتظافرت هذه الاقوال *
الى ان آل امره الى ما آل * وكان هو وابوه من الفدادين *
ومن الاجناد الذين لا عقل لهم ولا دين * وقيل كانا من الحشم
الرجاله * والاوباش البطاله * وكانت ما وراء النهر ماواهم *
وتلك الضواحي مثواهم * وقيل كان ابوه اسكافا فقيرا جدا * وكان
هو شابا حديدا جلدا * ولكنه لما كان به من الغلة يتجرم *
وبسبب تلك الاجرام يتضرر ويتضرم * ففي بعض الليالي سرق
غنمة واحتملها * فضربه الراعي في كتفه بسهم فابطلها * وثنى عليه
باخر في فخذه فاخطلها * فازداد كسرا على فقره * ولؤما على شره *
ورغبة في الفساد * وحنقا على العباد والبلاد * وطلب له في ذلك
الاضراب والنظراء * وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين
القرناء * مثل عباس وجهان شاه * وقماري وسليمان شاه *
وايدكو تيمور وجاكو وسيف الدين نحوا ربعين * لا دنيا لهم ولا
دين * وكان مع ضيق يده * وقلة عدده وعدده * وضعف بدنه
وحاله * وعدم ماله ورجاله * يذكر لهم انه طالب الملك * وموارد

ملوك الدنيا موارد الهلك * وهم في ذلك يتناقلون عنه مثل النقل * وينسبونه الى كثرة الحماقة وقلة العقل * ويدنونه منهم ويقبلون اليه * ليسخروا منه ويضحكوا عليه

* شعر *

إن المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

* شعر *

فشرع فيما يقصده * والقضاء يرسم والقدر يهزئك *

* شعر *

لا يؤنسنك من مجد تباعده * فان للمجد تدريجا وترتيبا

إن القناة التي شاهدت رفعتها * تنمو فتنبت انبوبا فانبوبا

وكان في تلك الكبس شيخ يسمى شمس الدين بن الفاخوري وهو معتقد تلك البلاد * وعليه لكل من قصد شيئاً من امور الدين والدنيا الاعتقاد * فذكر ان تيمور وهو فقير عاجز * بين عز موهوم وذل ناجز * لم يكن له سوى ثوب قطني وانه باعه واشترى بثمنه رأس ماعز * وقصد به الشيخ المشار اليه * وعول فيما قصده عليه * وقد ربط بطرف حبل عنق ذلك العناق * وربق عنق نفسه بالطرف الآخر من ذلك الوثاق *

وجعل يتشحط على عصا من جريد * حتى دخل على ذلك الشيخ
المفيد * نصادفه وهو والفقراء مشغولون بالذكر * مستغرقون فيما هم
فيه من الوجد والفكر * فلا زال قائماً حتى افاقوا من حالهم * وسكتوا
عن قالهم * فلما وقع نظر الشيخ عليه * سارع الى تقبيل يديه * واكب
على رجليه * فتفكر الشيخ ساعة * ثم رفع راسه الى الجماعة * وقال
كأن هذا الرجل بذل عرضه وعروضه * واستمدنا فى طلب مالا
يساوى عند الله تعالى جناح بعوضة * فنرضى أن نمده ولا نحرمه
ولا نرده * فامدوه بالدعاء اسعافاً لما طلبه * فاشبهت قضيته قضية
ثعلبة * ورجع من عند الشيخ وخرج * وعرج بعد ما عرج الى
ما عرج * وقيل انه كان فى بعض تحرماته فضل الطريق صورة *
كاضلها معنى وسيرة * وكاد يهلك عطشاً وجوعاً * وسار على ذلك
اسبوعاً * فوقع فى اثناء ذلك على خيل السلطان * فتلقاه الجشار
باللطف والاحسان * وكان تيمور ممن يعرف خصائص الخيل بسماتها *
ويفرق بين هجانها وهجينها بمجرد النظر الى هيآتها * فاطلع الجشار
على ذلك منه * واخذ علم ذلك عنه * وزاد فيه رغبة * وطلب منه

دوامَ الصُّحبةِ * وجهّزَهُ الى السُّلطانِ معَ افراسٍ طلبَها منهُ * واخبرَهُ بغوايتِهِ وما شاهدَهُ عنهُ * فانعمَ السُّلطانُ عليهِ * ووصَّى بهِ الجشّارَ ورد اليهِ * فلم ينشبِ الجشّارُ انْ ماتَ فولّى تيمورُ وظيفتَهُ * ولا يزالُ يترقّى عندَ السُّلطانِ حتّى تزوّجَ شقيقتَهُ * ثمّ انّه غاضبَها في بعضِ مكافحتِهِ ومغالِهِ * فعيّرتهُ بما كانَ عليهِ من اوّلِ امرِهِ وحالِهِ * فسلَّ السيفَ ونحا ما على انّها تفرّ من بينِ يديهِ * فلم تكترثْ بهِ ولم تلتفتْ اليهِ * فضربَها ضربةً ازهقَ بها نفسَها * واسكنَها رمسَها * ثمّ لم يسعهُ الّا الخروجُ والعصيانُ * والتمرّدُ والطغيانُ * الى انْ كانَ من امرِهِ ما كانَ * وكانَ السُّلطانُ اسمهُ حسينٌ * وهوَ من بيتِ الملكِ وذا فِلَ الكاملتينِ * وتختُ ملكهِ مدينةُ بلخٍ وهيَ من اقصى بلادِ خراسانَ * ولكن كانتْ بها راواحرِهِ جاريةً في ممالكِ ماوراءَ النهرِ الى اطرافِ تركستانَ * وقيلَ كانَ ابوهُ امبرَ مائةٍ عندَ السُّلطانِ المذكورِ * وهوَ بالجلادةِ والشهامةِ بينَ احزابِهِ مشهورٌ * وبدلُ الجمعِ بينَ هذهِ الاقاويلِ باعتبارِ اختلافِ الزمانِ * وتساوي الاحوالِ والحدثانِ * والاصحُّ انّ اباهُ ترغايُ المذكورُ كانَ

احد اركان دولة السلطان * ورأيت في ذيل تاريخ فارسي يدل على المنتحب * وهو من بدوا لدنيا الى زمان تيمور وهو شيء عجب * نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيزخان * من جهة النساء حبائل الشيطان * ولما استولى تيمور على ماوراء النهر وفاق الاقران * تزوج بنات الملوك فزادوه في القابه كوركان * وهو بلغة المغول الختن * لكونه صاهر الملوك وصار له في بيتهم حركة وسكن * وكان للسلطان المذكور من الوزراء اربعة * عليهم مدار المضرة والمنفعة * هم اعيان الممالك * وبرأيهم يقتدى الممالك * والترك لهم قبائل وشعب * تكاد توازي قبائل العرب * وكل واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيلة * لسراج آرائه في بيوت تعميرها فتيلة دايلة * قبيلة احدهم تسمى ارلات * وقبيلة الثاني تدعى جلابر * وقبيلة الثالث يقال لها قاوجين * وقبيلة الرابع اسمها برلاس * وكان تيمور ابن رابعهم في الناس * ونشأ شابا لبيبا * مصراع * همًا ماحازما جلدا اريبا * وكان يصاحب نظراءه من اولاد الوزراء * ويعاشرا حزابه من فتيان الامراء * الى ان قال لهم في بعض الليالي * وقد اجتمعوا

فى مكانٍ خالي * واخذت منهم العشرة والنشاط * وارتفعت استار

الاسرارِ وامتد للبسيط بساط * ان جدتي فلانه * وكانت من ذوي

العيافة والكهانه * رأت منا ما * ما ذاقت منه احلاما * وعبرته

بانه يظهرلها من الاولادِ والاحفاد * من يدوِخ البلاد * ويملك

العباد * ويكون صاحب القران * وتذل له ملوك الزمان * وذلك

هوانا * وقد قرب الوقت ودنا * فعاهدوني ان تكونوا لي ظهرا وعضدا *

وجناحا ويدا * وان لا تستحيلوا عني ابدا * فاجابوه الى ما دعاهم

اليه * وتقاسموا ان يكونوا فى السراءِ والضراءِ معه لا عليه * ولم يزالوا

يتجاذبون اطراف هذا الكلام فى كل مقام * ويدفضون فيض غدير

هذا الغدرِ من غير احتشامٍ واكتتام * حتى آنس بروه قاطن كل مصرٍ

وشام * وخاض فى حديثه كل قبيلٍ بهجرةٍ من خاصٍ وعام * وشعر

به السلطان * وعلم ان خلافه فى دوح المملكة بان * فاراد ان

يرد كيده فى نحرهِ * ويريح الدنيا من شرهِ والعباد والبلاد من عارهِ

وعرهِ * ويعمل بموجب ما قيل   * شعر *

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم *

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج * وهو في الى حضيض العصيان
وهو سائر فعرج * ويمكن انه في بعض هذه الاوقات * واثناء هذه
الحالات * توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه * واستمده كما
ذكر فيما عول عليه * فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنه * وفتحته
من مستغلقات الامكنه * انما كان ببدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري
ومنه الشيخ زين الدين الخوافي * وما لقيت بركة الا بالسيد بركه *
وسيأتي ذكر زين الدين وبركه * ثم قال تيمور ما فتحت ابواب
السعادة والدولة لي * ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا الي *
الا من بهام سجستان * ومن حين اصابني ذلك النقصان انا في ازدياد
الى هذا الاوان * والظاهر ان بدو امره وخروجه في تلك الفتنه *
كان فيما بين الستين والسبعين والسبع مائه * وقال لي شيخي الامام
العالم العامل الكامل المكمل الفاضل * فريد الدهر * ووحيد العصر *
علامة الورى استاذ الدنيا علاء الدين * شيخ المحققين والمدققين *
قطب الزمان * مرشد الدوران * ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البخاري
نزيل دمشق ادام الله تعالى ايام حيوته * وامد الاسلام والمسلمين

بميامن بركاته * في شهور سنة ست وثلثين وثمانمائة ان تيمور قتل
السلطان حسين المذكور * في شعبان سنة احدى وسبعين وسبع مائة *
ومن ذلك الوقت استقل بالملك وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائة
على ما سيأتي * فمدة استيلائه مستقلاً ستة وثلثون سنة وذلك
خارج عن مدة خروجه وتحرمه الى حين استيلائه ولما خرج صار هو
ورفقاؤه يتحرمون في بلاد ما وراء النهر * ويعاملون الناس بالعدوان
والقهر * فتحرك لدفعهم كل ظاعن وساكن * وضيقوا عليهم تلك
المغاني والاماكن * فقطعوا جيحون وصفر منهم ذلك المكان * فاشتغلوا
بالتحرم في بلاد خراسان * خصوصاً في نواحي سجستان * ولا تسأل
عما وسد في مفاوز باورد وماخان * فذهب بعض الليالي وقد اضر بهم
السغب * واشتعل فيهم من الجوع اللهب * فدخل حائطاً من حوائط
سجستان * قد اوى اليه بعض رعاء الضأن * فاحتمل منها رأساً وادبر *
فشعر به الراعي وابصر * فاتبعه للحين * وضربه بسهمين * اصاب
باحدهما فخذه * وبالاخر كتفه * فلله دره ساعداً اذ ابطل بهذا الضرب
الموزون نصفه * ثم ادركه واحتمله * والى سلطان هراة المسمى بملك

حسين او صله * فبعد ضربه امر بصلبه * وكان للسلطان ابن رأيه غير متين * يدعى ملك غياث الدين * فشفع فيه * واستوهبه من ابيه * فقال له ابوه انه لم يصدر عنك ما يدل على صلاحك * ويسفر عن نجابتك وفلاحك * وهذا اجعتا في حرامي مادة الفساد * لئن ابقى ليهلكن العباد والبلاد * فقال ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمي * وقد اصيب بالدواهي والرمي * ولا شك ان اجله قد اقترب * فلا تكونن في موته السبب * فوهبه اياه * فوكل به من داواه * الى ان اندمل جرحه * وبرئ قرحه * فكان في خدمة ابن سلطان هراة * من اعقل الخدم واضبط الكفاة * فتوفرت عنده حرمته * وارتفعت درجته وسمعت كلمته * فعصى من نواب السلطان * نائبه المتولي على سجستان * فاستدعى تيمور ان يتوجه اليه * فاجابه الى ذلك وعول عليه * واضاف اليه طائفة من الاعوان * فوصل الى سجستان * وقبض على نائبها المتمادي في العصيان * واستخلص اموال تلك البلاد * واخذ من اطاعه من الاجناد * وتلا آية العصيان بالجهر * وارتحل بمن معه الى ما وراء النهر * وقيل

بل كان * في خدمة ابن السلطان * الى ان ودع ابوه الحيوة

وانتقل * واستقر ولده واستقل * فعند ذلك هرب تيمور الي

ما وراء النهر * وقد قوي منه الرأس والظهر * وكان اذ ذاك

قد اجتمع عليه رفقاؤه * والتجا اليه اصحابه المتحرّبون وعشراؤه *

فارسل غياث الدين الطلب وراءهم * وقصد ان يكفي المسلمين

شرهم وعناءهم * وهيهات فقد كان سبق العذل

السيف * وضيع اللبن في الصيف *

ذكر عبورة جيحون على فترة وما جرى من عبرات بهذه العبرة *

فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك مثلهم طاغيا *

ولم يمكنهم التواني لان الطلب كان شبههم باغيا * فقال تيمور

لاصحابه النجاء النجاء * ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته وليلق

نفسه في الماء * وتواعدوا الى مكان * وقال توجهوا من غير توان *

فمن لم يأت الموعد * يعلم انه قد فقد * فهاموا وخيولهم في ذلك

الماء العجاج * والتيار الزخار الامواج * تهافت الفراش على السراج *

ولم يعلم واحد منهم حال الآخر * ولا اطلع من تقدم منهم على امر

من تأخر * وكابدوا أهوال الموت * وشاهدوا أهوال الفوت * فنجوا ولم ينقص منهم واحد * واجتمعوا الى ذلك الموعد * وذلك بعد أن أمنت منهم البلاد * واطمأن في مسالكها كل رائح وغاد * فجعلوا يتجسسون الأخبار * ويتتبعون الآثار * ويحاربون الله ورسوله * ويذودون عباده ويقطعون سبيله * ولم يزل على ذلك يجري ويمشي * الى أن وصل مدينة قرشي *

ذكر ما جرى له من خبطه * في دخوله الى قرشي وخلاصه من تلك الورطه *

فقال يوماً لأصحابه * وقد أضر به الدهر وأضر به * وأخصب منهم ربع الفساد وأعشب * ان بالقرب منا مدينة نخشب * مدينة أبي تراب النخشبي رحمة الله عليه مدينة مصونه * مسورة مأمونه * لئن ظفرنا بها لتكونن لنا ظهراً وملاذا * وملجأ ومعاذا * وان حاكمها موسى لو حصلناه * وأخذنا ماله وقتلناه * لتقوينا بما له من خيول وعدد * ولحصل لنا فرج بعد شده * وأنا أعلم لها من ممر الماء دربا * هين الدخول واسعاً رحبا * فشمروا ذيلهم * وتركوا في مكان خيلهم * واستعملوا في نيل مرادهم ليلهم * ودخلوا حبس

المدينة وقصدوا بيت الامير * ورفعوا ايديهم فصادفوا ايديهم والتصير *
وكان الامير في البستان خارج البلد * فاخذوا ما وجدوا من
اسلحة وعدد * وركبوا خيله * وقتلوا من وجدوا من الاكابر غيلة *
فاجتمع عليهم اهل البلد * وارسلوا الى الامير فادركهم بالمدد *
فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا * فلم يجدوا لهم سوى الاستسلام
ناصرا * وقال له اصحابه لقد القينا بانفسنا الى حقيقة الهلاك
من هذا المجاز * فقال لا عليكم ففي مثل هذه المواطن يمتحن الرجل
ويراز * فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا * واندفعوا نحو باب المدينة
يدا واحدة زحفا * حاطمين على العدو * من غير توان ولا هدو *
فاني اظن انه لا يثبت لكم شي * ولا يقف امامكم حي * فامتثلوا امره
ورفعوا الصوت * وقصدوا الباب خائضين غمار الموت * وهجموا
على العساكر هجوم الليث * واندفقوا اندفاق الغيث * ففتح
لهم عند فتح الباب * لامر يريده مسبب الاسباب * فلم يلو
امامهم احد على احد * ولا نفعه ما هو فيه من العدد والعدد *
ثم انثنوا الى مكانهم سالمين * ولم يزالوا على ذلك عائثين عابثين *

واجتمع عليهم اصحابهم * وانحاز اليهم في الفساد اضرابهم *
فصاروا نحواً من ثلث مائة * وبمن ينحيز اليهم من اهل الشر فئة *
فارسل السلطان اليهم عسكرا غير مكترث بهم فكسروه * واستولوا
على حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل ما ادخروه * قلت *

* شعر *

لاتحقرن شأن العدو وكيده * فلربما صرع الاسود الثعلب * وقيل
ان البعوضة تدمي مقلة الاسد * وقيل * فربما تمرت بالبيذق الشاه *

ذكر من اسر في فتنة ذلك الجاف * واستعبده من احرار ملوك الاطراف *

وارسل تيمور الى ولاة بلخشان * وكانت الولاية بها لاخوين وهما
بها مستقلان * تلقيا ذلك عن ابيهما * وكان السلطان نزعها من
ايدي ابيهما * ثم اقرهما فيها على ان يكونا من تحت امره * واستر من
اولادهما عنده فصارا اسيري قهره * فلما راسلهما تيمور على طاعته *
اجاباه ودخلا تحت كلمته *

ذكر نهوض المغل على السلطان * وكيف تضعضعت منه الاركان *

ثم ان المغل نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين * فاستعد لهم

وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين * فانكسر السلطان *

فراسلهم ايضا ذلك الجان * واسم حاكمهم قمر الدين خان *

فاجابوا مراده * واقتفوا ما اراده * وسلطوه على السلطان ليستخلص

من يده بلاده * ووا عدوه بمصاهرتهم * واملوه بمظاهرتهم *

ورجعوا الى بلادهم * وقد سلموه زمام قيادهم * فقويت بذلك

شوكته * وسكنت القلوب هيبته فلم يسع السلطان * الا بذل الجهد

والامكان * في اطفاء نائرته * وقطع دابرته * فجعله نصب عينيه *

وتوجه بنفسه اليه * بعسكر جرار * كالبحر الزخار * حتى انتهى الى

مكان يسمى قاغلغار * وهو مسافة يومين بينهما مضيق * هو الجادة العظمى

والطريق * يسير المار في ذلك مقدار ساعة * وفي وسطه الدرب باب

اذا اغلق واحمي فلا شيء مثله في المناعة * وحواليه جبال كل منها

عرنينه قد شمخ * وقدمه قد غاص ثبوتا ورسخ * فصح ان يقال فيه انف

في السماء * واست في الماء * فاخذ العسكر فم ذلك الدرب * من جهة

سمرقند * وتيمور على الجانب الاخر *

وهو كالمضايق والمحاصر *

ذكر الحيلة التي صنعها * والخديعة التي ابتدعها *

فقال تيمور لاصحابه اني اعرف مناجادة خفية * مسالكها ابية * لا تطأها الخطا * ولا يهتدي اليها القطا * فهلم نسري ليلنا * ونقود في المسرى خيلنا * فنصبحهم من ورائهم وهم آمنون * فان ادركناهم ليلا فنحن الفائزون * فاجابوه الى ذلك * وشرعوا في قطع تلك الوعور والمسالك * وساروا ليلهم اجمع * وبلغ الفجر المطلع * فادركهم الصباح ولم يدركوا الجيش * فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش * ولم يمكنهم الرجوع * واذنت الشمس بالطلوع * فوصلوا الى العسكر وقد اخذ في التحميل * وعزم على الرحيل * فقال اصحابه بئس الرأي فعلنا * في قبضة العدو حصلنا * وقد وقعنا في الاشراك * والقينا بايدينا انفسنا الى الهلاك * فقال تيمور لا ضرر * توجهوا نحو العسكر * وانزلوا بمرأى منهم عن خيلكم * واتركوها ترعى واقضوا من وردة النوم والراحة ما فاتكم في ليلكم * فترامو عن خيلهم كأنهم صرعى * وتركوا خيولهم ترعى * شعر

* واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن امان *

واصطد بها العنقاء فهي حبائل * واقتنص بها الجوزاء فهي عنان *

فجعل العسكر يتربصهم * ويخال انهم من حزبهم * حتى اذا استراحوا *
ركبوا خيولهم وصاحوا * ووضعوا السيوف في اعدائهم * راكبين
اكتافهم من ورائهم * فقتلوا قتلا ذريعا * وغادروهم جريحا وصريعا *
وعم الخطب المدلهم * ولم يعلم احد البلاء كيف دهم * واتصل
الخبر بالسلطان * وقد خرج البلاء عن حيز الامكان * فهرب الى
بلخ * وقد سلخ من المملكة اي سلخ * وشرع تيمور في النهب * والغارات
والسلب * ثم ضبط الاثقال * وجمع الاموال * ولمّ رعاع الناس
والمدارة * واطاعوه وهم مابين راض وكاره * فاستولى على ممالك
ما وراء النهر * وتسلط على العباد بالغلبة والقهر * واخذ في ترتيب
الجنود والعساكر * واستخلاص الحصون والدساكر * وكان نائب
سمرقند واحد الاركان * شخصا يدعى علي شير من جهة السلطان
وكاتبه تيمور على ان تكون الممالك بينهما نصفين * ويكون معه
على السلطان حسين * فرضي علي شير بذلك * وقاسمه الولايات
والممالك * وتوجه اليه * وتمثل بين يديه * فزاد في اكرامه *

وبالغ في احترامه *

ذكر توجهه الى بلخشان * واستنصاره بمن فيها على السلطان *

ثم انه ترك على شير بعد ما ركن اليه * وقصد بلخشان فاستقبله ملكاها

وتمثلا بين يديه * واتحفاه بالهدايا والخدم * وامداه

بالجيوش والحشم * فسار وهما معه من بلخشان * قاصدا بن

بلخ لمحاصرة السلطان * فتحصن منهم فاحاطوا به من كل مكان و

فاخرج اولادهما الذين كانوا عنده في الرهان * نضرب اعناقهم

بمرأى من ابويهم * ولم يرق لهم ولا من عليهم * ثم انه ضعف

حاله * وقل عنه خيله ورجاله * فنزل مستسلما للقضاء والقدر *

راضيا بما ذهب في قضاء الله مما حلا ومر * فقبض عليه تيمور * وضبط

الامور * ثم رد اميري بلخشان اليها مكرمين * وتوجه الى سمرقند

ومعه السلطان حسين * وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين * بعد

ما خلا من الهجرة سبع مائة سنين * ووصل الى سمرقند واتخذها

دار ملكه * وشرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته و

سلكه * ثم انه قتل السلطان * واقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من

ذُرِّيَّةِ جنكيزخان * وَقبيلة جنكيزخان * هُم المنفردون باسم الخان والسلطان * لانهم هُم قريش الترك لا يقدر احدٌ ان ينقلَ م عليهم * ولا تمكن احدٌ من انتزاع ذلك الشرف من ايديهم * ولو قدر احدٌ على ذلك * لكان تيمور الذي استخلص الممالك وسلك المسالك * فرفع سيورغا تمش دفعا للمطاعن * وقطعا للسان سنان كل طاعن * وانما لُقّب تيمور الامير الكبير * وان كان في امره كل مأمور منهم وامير * والخانُ في اسره كالحمار في الطين * وشبيه الخلفاء بالنسبة في هذا الزمان الى السلاطين * واستمر بعلي شير نائبا في سمرقند وكان يكرمه * ويستشيره في اموره ويقدمه *

ذكر وثوب توقتاميش خان * سلطان الدشت وتركستان *

ثم ان توقتاميش خان سلطان الدشت والتتار * لما رأى ما جرى بين تيمور والسلطان فاردم قابه وغار * وذلك لعلة النسب والجوار * وهيأ العسكر الجرار * والجيش الزخار * وتوجه الى مصاف تيمور من جهة سغناق واترار * فخرج اليه تيمور من سمرقند * وتلاقيا باطراف تركستان قريبا من نهر خجند * وهو نهر سيحون * وسمرقند

بين نهري سيحون وجيحون * فقامت بين العسكرين سوق المحاربة *
ولم ينفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربة * ولا زالت رحا الحرب
تدور * الى ان ابطحن عسكر تيمور * فبينا عسكره قد انفل * وعقد
جنوده انحل * اذا برجل يقال له السيد بركة قد اقبل * فقال
له تيمور وهو في غاية الضرر * يا سيدي السيد جيشي انكسر * فقال له
السيد لا تخف * ثم نزل السيد عن فرسه ووقف * واخذ كفا من الحصباء *
وركب فرسه الشهباء * ونفحها في وجه عدوهم المردي * وصرخ
بقوله ياغي قاجدي * فصرخ بها ايضا تيمور تابعا ذلك الشيخ النجدي *
وكان عباسي الصوت * فكانه دعا الابل الظماء بجوت جوت * فعطفت
عساكره عطفة البقر على اولادها * واحدقت في المجالدة مع اضدادها و
انداده * ولم يبق في عسكره من جذع ولا قارح * الا وهو يقول ياغي
قاجدي صائح * ثم انهم كروا كرة واحدة * بهمة متعاقدة ونهمة متعاضدة *
فرجع جيش توقتاميش منهزمين * وولوا على اعقابهم مدبرين *
فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف * وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف *
وغنموا الاموال والمواشي * واسروا اوساط الرؤس والحواشي *

ثم رجع تيمور الى سمرقند * وقد ضبط امور تركستان وبلاد نهر خجند *

وعظم لديه السيد بركة * وحكّمه في جميع ما استولى عليه وملكه *

وهذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيًا بمصر حجاما *

فذهب الى سمرقند وتسيّد بها وعلا قدره وتسامى * ومن قائل

انه كان من اهل المدينة الشريفة * ومنهم من يقول انه من اهل مكة

المنيفة * وعلى كل حال فانه كان من اكبر الاعيان * في بلاد ما وراء

النهر وخراسان * لا سيما وقد امد تيمور بهذه النجدة * وخلصه بهذه

اللطيفة المصادفة للقضاء والقدر من هذه الشدة * وقال له تيمور

تمنَّ عليَّ * واحتكم لديَّ * فقال له يا مولانا الامير * ان اوقاف

الحرمين الشريفين في الاقاليم كثير * ومن جملة ذلك اندخوي

في ممالك خراسان * وانا واولادي من جملة مستحقي ذلك الاحسان *

واذا اقيم اصل ذلك وخصه * وعلم قصه وحصه * وضبطت اوقافه *

ومصارف ذلك ومصارفه * ما كانت حصتي وحصة اولادي * اقل من

هذه القصبة في هذا الوادي * فاقطعني اياها فاقطعه اياها * مع

مضافاتها واعمالها وقراها * وهي الى الآن في يد بني اولاده *

واسباطه واحفاده *

ذكر علي شير مع تيمور * وما وقع بينهما من المخالفة والشرور *

ثم ان تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفة * وانحاز الى كل منهما طائفة * فاغتاله تيمور وخاتله * ثم قبض عليه وقتله * فصفت الممالك والولايات لتيمور بعض الصفا * وقويت الى طاعته من الناس كل وجه وراس كان في التنائي وقفا *

ذكر ما جرى لشطار سمرقند والشطار * مع تيمور وكيف احلهم دار البوار *

وكان في سمرقند طائفة من الدعار كثيرون * وهم انواع فمنهم مصارعون ومنافقون وملاكمون ومعالجون * وهم فيما بينهم فرقتان كالقيسي واليمني * والعداوة والمقاتلة بينهم قائمة طول الزمن * ولكل طائفة منهما رئيس * وظهروا اعضاد وضروس * وكان تيمور مع ابهة يخافهم * لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم * فكان اذا قصد جانبا * اقام له في سمرقند نائبا * فاذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة * فخلعوا النائب او خرجوا مع النائب واظهروا المخالفة * فما يرجع تيمور الا وقد انعرط نظامه *

وتخبطت اموره وتشوش مقامه * فيحتاج الى تجبيل وتمهيل *
وتخويف وتشبيل * فيقتل ويعزل * ويعطي ويجزل * ثم يتوجه لتمهيد
ممالكه * وتوطيد مسالكه * فيعودون الى عكرهم * ويثوبون
الى ختلهم ومكرهم * وتكررت هذه القصة نحوا من تسع مرار * فضاق
تيمورذرعا بالاشرار والدعار * فاعمل الحيلة
اذا هم وابنه على ايهم * فصنع سورا * وقد الخلائق كبيرا
وصغيرا * وصنف الناس اصنافا * وجعل كل ذي عمل الى عامله
مضافا * وميز اولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة * وفعل معهم ما فعله
انوشروان بن كيقباد بالملاحدة * وارصد له في آخذ الاطراف
انصارا * وقرر معهم ان كل من ارسله اليهم يولونه دمارا * ويكون
ارساله اليهم على قبله شعارا * ثم انه جعل يدعو رؤس الناس *
ويسقيهم بيده الكاس * ويخلع عليهم افخر اللباس * واذا انفقت
النوبة من اولئك الدعار الى احد * سقاه كاسه وخلع عليه واشار
ان يتوجه به الى نحو الرصد * فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعة بل
وثوب الحيوة فسكروه * وسكبوا عشية قالبه في بوتقة الفناء فسبكوه *

الى أن أتى على آخرهم * واستوفى بذلك قطع دابرهم * ومحا آثارهم وأطفأ نارهم * فصفت له المشارع * وخلا ملكه عن مجاذب ومنازع * ولم يبق له في ما وراء النهر مانع ولا مدافع *

فصل في تفصيل ممالك سمرقند * وما بين نهري بلخشان وخجند *

فمن ذلك سمرقند وولاياتها * وهي سبعة تومانات وانكان وجهاتها * وهي تسعة تومانات والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل * وفي ما وراء النهر من المدن المشهورة * والاماكن المعتبرة المذكورة * سمرقند وسورها قديما على ما زعموا اثنا عشر فرسخا * وكان ذلك على عهد السلطان * جلال الدين قبل جنكيز خان * ورأيت حد سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور * وسماها دمشق وهما فتنظرهن سمرقند نحو من نصف يوم * والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة * ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي يسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة * ومن مدن ما وراء النهر مرغينان * وهي كانت التخت قديما وبها كان ايلك خان * ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني

صاحب الهداية رحمه الله تعالى * وخجند وهي على ساحل سيحون *
وترمذ وهي على ساحل جيحون * ونخشب وهي قرشي المذكورة *
والكس وبخارا واندكان وهي اماكن مشهورة * وغير ذلك ومن الولايات
بلخشان * وممالك خوارزم واقليم صغانيان * الى غير ذلك من
الاطراف الواسعة * والاكناف الشاسعة * وما وراء
جيحون الى جهة الشرق توران * وما دون ذلك الطرف الى جهة
الغرب ايران * ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد * كانت توران
لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد * وعراق هو مغرب ايران *

ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر * بعد استقصائه ممالك ما وراء النهر *

ولما صفت له ممالك ما وراء النهر * وذلت لاوامره جوامح الدهر *
شرع في استخلاص البلاد * واسترقاق العباد * وجعل ينسج بانامل
الحيل الاشراك والاوهاق * ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين
الآفاق * فاول ما صاهر المغول وصافاهم * وهادنهم وهاداهم *
وتزوج ببنت قمر الدين ملكهم * وصار آمنا من تبعتهم ودركهم *
وهم جيرانه من جهة الشرق * ولا تباين بينه وبينهم ولا فرق *

اذ العلة وهي الجنسية والمصاهرة والمجاورة حاصلة للجهتين * والله وهي النورة الجنكيزخانية ممشاة في كلتا الدولتين * فامن شرهم * وكفى كيدهم وضرهم *

ذكر تصميم العزم * وقصده الاطراف والممالك خوارزم *

فجين امن مكرهم * وسد بالمصالحة ثغرهم * صمم العزم * على التوجه الى ممالك خوارزم * وهم مجاورة غربا بالشام * ومبانيه بمنسبة قواعد الاسلام * وتختهم مدينة جرجان * وهي من اعظم البلدان * وهذه المملكة ذات مدن عظيمة * وولايات جسيمة * تختها مجمع الفضلاء * ومحط رحال العلماء * ومقر الظرفاء والشعراء * ومورد الادباء والكبراء * ومعدن جبال الاعتزال * وينبوع بحار اهل التحقيق من ارباب الهدى والضلال * نعمها كثيرة * وخيراتها غزيرة * ووجوه فضائلها مستنيرة * واسم سلطانها حسين صوفي * وهو من الاعتقادات الباطلة عوفي * ومدن ما وراء النهر وضع بعضها قريب من بعض * لانه كلها مبنية باللبن والآجر على الارض * واهل خوارزم كاهل سمرقند في اللطافة * وافضل من اهل سمرقند

في الحشمة والظرافة * يتعاطون المشاعرة والادب * ولهم

في فنون الفضل والمحاسن اشياء عجب * خصوصا في معرفة الموسيقا

والانغام * ويشترك في ذلك الخاص منهم والعام * ومما هو مشهور

منهم * ان الطفل في المهد منهم * اذا بكى او قال آه * فان ذلك

يكون في شعبة دوكاه * ولما وصل تيمور الى ... سن

صوفي غائبا عنها * فنهب حواليها و ... ه اليه منها * ولم يقدر

عليها * فلم يكترث بها ولا التفت اليها * ثم لم اطرافها شينه *

وعاد الى مملكته *

ذكر عوده ثانيا الى خوارزم

ثم انه شد حزام الحزم * وكر ثانيا الى خوارزم * باستعداد تام *

وجيش طام * وكان سلطانها ايضا غائبا * واقام لحملة بكرها خاطبا *

فحاصرها * وضاجرها * وشد على اعناق مسالكها الى ... *

وكاد ان ينشب باذنابها منه المخالب * فخرج اليه رجل من

اعيانها * وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها * يقال له حسن

صورنج * والتمس ان يرفع عنهم ذلك الامر المريج * وان يبذل له

ما طلب * في مقابلة ما يريد من اخبر وسلب * فطلب منه حمل مائتي تغار فضه * ترفع الى خزائنه نضه * فلم يزل يراجعه * ويلاطفه ويمانعه * حتى صالحه على ربع سؤاله * وقام المصالح بذلك من ماله وصلب حاله * ووزن له ذلك في الحال * واخذ تيمور في الترحال * وكف عن الاذى شيا باين جنده * وعزم على التوجه الى سمرقنده *

ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراة * الذي خلصه من الصلب وراود فيه اباه *

ثم انه راسل سلطان هراة ملك غياث الدين الذي كان مغيثه * عملا بقوله انبا الله على كل نفس خبيثه * وطلب منه الدخول في ربقة الطاعه * وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه * والا قصد دياره * وبلغه دماره * فارسل ملك غياث الدين يقول * صحبة الرسول * اما كنت خادما لي واحسنت اليك * واسبلت ذيل احساني ونعمتي عليك * فعتلت وقتلت * وفتكت وفللت * وفعلت فعلتك التي فعلت * وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب * فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب * فعبر جيحون وتوجه اليه * فلم يكن لغياث

الذين قررّ الوقوف بين يديه * فارسل الى حشمه وسكان قراه * ان جمعوا اهم ومواشيهم حول هراة * وحفر خندقا حول البساتين * محيطا بالرعاع وضعفة المساكين * وحصر نفسه في القلعة * وحسب ان يكون له بذلك منعه * وذلك لركاكة رأيه اولاً وآخراً وجمود قريحته * وقلة عقله وانعكاس فكره ودولته * قلت * شعر *

من لم يصادف سعده تقلب دوره * يخطفه في تب بيوزه تن صوره *

فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار * ولكن احاطت به العساكر دائراً ما دار * ومكث تيمور في الامن والدعه * وعدوه في الضيق بعد السعه * واضطربت الروس والحواشي * وبارت الانعام والمواشي * وغص البلد بالزحام * وهلكت الخواص والعوام * واضناهم الشغب * وعلاهم الصراخ والصخب * فارسل اليه السلطان * يطلب منه الامان * وعلم انه احنق بسببه * وانه اعانه اولا فبلى به * مذكره سابقة العرفان * وما اسداه اليه من احسان * وطلب منه تاكيد الامر بالايمان * فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم * وان لا اراق له دم ولا يمزق له اديم * فخرج اليه * ودخل عليه * وتمثل بين

يديه * ثم دخل تيمور الى المدينة * وصعد الى قلعتها الحصينة *
وصحبته السلطان وقد احاطت به جنود امرائه والاعوان * فاشار
واحد من ابطال صاحب امرائه على السلطان * ان يقتل تيمور ويجعل
نفسه فداه * وقال له ما معناه * انا افدى المسلمين بنفسي ومالي *
واقتل هذا الاعرج ولا ابالي * فلم يجبه الى اشارته * واستسلم لقضاء
الله تعالى وارادته * وقال ان لله تعالى تصريفا في عباده * ولا بد ان ينفذ
فيهم سهم مراده * ولا مفر من القضا * ولا مصبر عما قدر الله تعالى وقضى

* شعر *

واذا اتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه * هذا سر
لا بد من ظهوره * فلا تبحث عن حقيقة اموره * فمن غالب القضاء
غلب * ومن ناصب الزمان سلب * ومن قاوم تيار المقدور غرق *
ومن استلذ بالغفلة في مشارب اللهو شرق * وذكر في ذلك الوقعة
مقالة ابديته واطلع على تحقيقه * ولكن السهم خرج فما امكن رده الى فوقه *

ذكر اجتماع ذلك الجافي * بالشيخ زين الدين ابي بكر الخوافي *

وكان في بعض قدماته خراسان سمع ان في قصبة خواف * رجلا قد

منحه الله تعالى الالطاف * عالما عاملا * كبيرا فاضلا * ذا كرامات
ظاهرة * وولايات باهرة * وكلمات زاهرة * ومقامات طاهرة *
ومكاشفات صادقة * ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقة *
يدعى الشيخ زين الدين ابا بكر * لطائر اجتهاده فى حظيرة القدس
اطلى وكر * فقصد تيمور زيارته * وتوجه اليه وجماعته * فقالوا
للشيخ ان تيمور قادم عليك * وواصل اليك * يقصد زيارتك *
ويرجو بركتك * فلم يفه الشيخ بلفظه * ولا رفع لذلك لحظه *
فوصل تيمور اليه * ونزل عن فرسه ودخل عليه * والشيخ مشغول
بحاله على عادته * جالس فى فكره على سجادته * فلما انتهى اليه *
قام الشيخ فاخذ تيمور منكبا على رجليه * فوضع الشيخ على ظهره
يديه * وقال تيمور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهرى بسرعة
لخلته انرض * ولقد تصورت ان السماء وقعت على الارض * وانا
بينهما رضضت اشد رض * ثم انه جلس بين يدى ذلك المنتخب * على ركبتى
الادب * وقال له بالملاطفة فى المحاورة * على سبيل الاستفهام لا المناظرة *
يا سيدى الشيخ لم لا تامرون ملوككم بالعدل والانصاف * وان لا يميلوا

الى التجوّر والاعتساف * فقال له الشيخ أمرناهم وتقدّمنا بذلك اليهم * فلم يأتمروا فسلطناك عليهم * فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبة * وقال ملكت الدنيا ورب الكعبة * وهذا الشيخ هو الموعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك هراة * واحاط على ما ملكت يداه * وضبط ولاياتها جانبًا جانبا * وقرر لكل جانب نائبا * وتوجه الى سمرقند قلايما امكنه * وحبس السلطان في المدينة * واوصد عليه بابها * ووكل بحفظه اصحابها * واضاف اليهم اسد الحفاظ الزبانية الشداد الغلاظ * وذلك لحلفه ان لا يريق دمه * وان يحفظ له ذمه * فلم يرق له دما * ولكنه قتله في الحبس جوعا وظما *

ذكر عوده الى خراسان * وتخريبه ولايات سجستان *

ثم عاد الى خراسان * وقد عزم على الانتقام من سجستان * فخرج اليه اهلها طالبين الصلح والصلاح * فاجابهم الى ذلك على ان يمدوه بالسلاح * واخرجوا اليه ما عندهم من عدة * ورجوا بذلك الفرج من تلك الشدة * فحلفهم وكتب عليهم قسامات بالغة * ان مدينتهم غدت من السلاح فارغة * فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم *

فاضاف بهم جنود المنايا عن بكرة ابيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها
شجر ولا مدر * ومحاها فلم يبن لها عين ولا اثر * ورحل عنها
وليس بها داع ولا مجيب * وما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم
اصيب * وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن
ابي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية * في سنة
ثلث وثلثين وثمان مائة * ان الذين تخلصوا من القتل من اهل
سجستان * بهزيمة او غيبة او بنوع لطيفة من الله تعالى المنان * لما
تراجعوا اليها * بعد رجوع تيمور عنها * ارادوا ان يجمعوا بها فما صلوا
يوم الجمعة وما اهتدوا اليه * حتى ارسلوا الى كرمان من دلهم عليه *

ذكر قصد ذلك الغدار * ممالك سبزوار * وانقيادها اليه * وقدوم واليها عليه *

ثم لما اثار بسجستان ما اثار * قصد بعساكره مدينة سبزوار * وكان
واليها يومئذ حسن الجوربي مستقلا بالامارة وهو رافضي * فما
امكنه الا الاطاعة * واستقبله من الهدايا والخدم بما استطاعه *
فاقره على ولايته * وزاد في رعايته * فصل * وكان من عادة تيمور
ومكره * ودأبه في اول امره * اذا نزل باحد مصطحبا سنسية * وحفظ

اسمه وتدبير * وقال له اذا بلغك انى استوليت * وعلى الممالك استقليت *
فاتني بعلامة كذا * فاني اكافيك اذا * فلما انتشر ذكره * وشاع امره *
وفشا في الدنيا خبره وخبره * هرعت الناس بالعلائم اليه * ووفدت
من كل فج عميق عليه * وكان ينزل كل احد منزلته * ويحله مرتبته *

*ذكر ما جرى لذلك الداعر في سبزوار * مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار*

وكان في مدينة سبزوار * رجل شريف من الشطار * يدعى السيد
محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار * يسمون السربدالية
يعني الشطار * وكان هذا السيد رجلا مشهورا * بالمآثر والفضائل
مذكورا * فقال تيمور علي به * فاني ما جئت الا بسببه * وقد كنت
متشوقا اليه * ومتشوفا للعلم بما لديه * فدعوه له فدخل عليه
فقام اليه واعتنقه * وتبشبش به وبشرة منطلقة * واكرمه وادناه *
وقال في جملة فحواه * ياسيدي السيد قل لي كيف استخلص ممالك
خراسان واحويها * واني احوزها اذ اتيها واقاصيها * وماذا افعل
حتى يتم لي هذا الامر * وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر * فقال
له السيد يا مولانا الامير * انا رجل فقير وقير * من آل الرسول *

ومن اين انا ومن هذا الفضول * واني وان قيل لي شريف * رجل عاجز ضعيف * لا طاقة لي بموارد الهلك * ومن انا حتى اتشاوف لمصالح الملك * ومن داخل الملوك اوخارجهم * اوعارضهم في امورهم اومازجهم * كان كالعائم في مجمع البحرين * وكالجاثم في منتطح الكبشين * وما الخارج عن لغته لحان * وشتان ما بين المأمون والطحان * فقال له لا بد ان تدلني على هذه الطريقه * وتخرجني عن المجاز الى هذه الحقيقه * ولولا انني تفرست فيك ذلك * لتكهنت ان يراً بك تقلدي المسالك * ولولا انك اهل لهذه المعرفه * ما فهت لك ببنت شفه * ولا استغنيت عنك استغناء النفه عن الرفه * فان فرامانتي اياسيه * وقضايا ي كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * ايها الامير * اوتسمع في هذا مقالتي * وتتبع اشارتي * فقال ما استشرتك الا لاتبعك * ولا جاريتك الا لامشي معك * فقال ان اردت ان يصفو لك المشرب * وتنال الممالك من غير ان تتعب * فعليك بخواجه علي * ابن المؤيد ا . . ى * قطب فلك هذه الممالك *

و مركز دائرة هذه الممالك   مليك بظاهره لم يكن بباطنه

الّا معك * وإن ولّى عنك بوجهه فلن يفيدك غيره ولن ينفعك * فكن
على استجلاب خاطره وحضوره اليك ابلغ جاهد * فانه رجل صلب
وظاهره وباطنه واحد * وان طاعة الناس منوطة بطاعته * وافعال الكلّ
مربوطة باشارته * فما فعل فعلوا * فان حطّ حطّوا. ان رحل رحلوا *
وكان هذا الرجل اعني خواجه علي المذكور رجلًا نجيبًا * مؤالبا
عليا * يضرب السكّة باسم الاثني عشر اماما * ويخطب باسمائهم
وكان شهما همّاما * ثم قال السيد يا امير ادع خواجه علي فان لبّى
دعوتك * وحضر حضرتك * فلا تترك من انواع الاحترام والتوقير
والاكرام والتكبير * شيئا الّا واوصله اياه * فانه يحفظ لك ذلك ويرعاه *
وانزله منزلة الملوك العظام * في التعظيم والتوقير والاحترام * ولا تدع
معه شيئا مما يليق بحشمتك * فان ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك *
ثم خرج السيد من عند تيمور * وجهّز قاصدة الى الخواجه علي المذكور *
يقول له انه قد مهد له الامور * فان جاءه قاصده فلا يتوقف عن
الطاعة * ولا يقعد عن التوجه اليه ولا ساعة * ويكون منشرح
البال * آمنا سطواته في الحال والمآل * فاستعد خواجه علي لقدومه

الوارد * وورود القاصد * وهيأ الخدمات * والتقادم والحمولات *
وضرب باسمه واسم مولاه الدرهم والدينار * وخطب باسمهما في
جوامع الامصار * ووقف لامره منتجزا * واقام للطلب مستوفزا *
واذا بقاصد تيمور جاءه منه بكتاب * فيه من الطف كلام والين خطاب *
يتضمن حبوره مع انشراح الصدر * وتوفير التوقير وتكثير البر * فنهض
من ساعته * ملبيا باذعان طاعته * ولم يلبث غير مسافة الطريق *
وقدم بامان فسيح وعهد وثيق * فلما اخبروه بوفوده * جهز لاستقباله
اسارة جنوده * وسر سرورا شديدا * وكأنه استانف ملكا جديدا *
فلما وصل قدم هدايا فاخرة * وتحفا متكاثرة * وطرائف ملوكية *
وذخائر كسروية * فعظمه تعظيما بالغا * واولاه انعاما سابغا *
واسبل على قامة رجائه من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سابغا *
واستمر به على ولايته * وزاد في بره وكرامته * فلم يبق في خراسان
امير مطلق * ولا نائب قلعة مكينة * ولا من يشار اليه * الا وقصد
تيمور واقبل عليه * فمن اكابرهم   حاكم باورد امير عبد الله
حاكم سرخس وانتشرت   وبلغت سطوته   زان

وكيلان وبلاد الريّ والعراق * وامتلأت منه القلوب والاسماع *
وخافه الغريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع * وكل هذا في مدة
قصيرة * وايام قلائل يسيرة * نحو من سنتين * بعد قتله السلطان حسين *

ذكر مراسلة ذلك الشجاع * سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع *

ولما صفت له بلاد خراسان * واذعن لطاعته كل قاص ودان * راسل
شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم * يطلب منه الطاعة والانقياد
وارسال الاموال والخدم * ومن جملة كتابه * وفحوى خطابه *
ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام * والجائرين من ملوك
الانام * ورفعني على من باراني * ونصرني على من خالفني وعاداني *
وقد رأيت وسمعت * فان اجبت واطعت فبها ونعمت * والا فاعلم
ان في قدمي ثلثة اشياء * الخراب والقحط والوباء * واثم
كل ذلك عائد عليك * ومنسوب اليك * فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته
ومهاداته * ومصاهرته ومصافاته * وزوج ابنته بابن تيمور *
ولم يتم ذلك السرور * لحدوث الشرور * فانقبضت تلك المباسطه *
بواسطة انسداد الواسطه * وتشرذب الخطابة وتخريب المناطه * قلت

بل بها مضمناً * *شعر*

أذا التجئت لامرٍ عزّ واسطةً * فاجعل رداه ودن منه على وجل *
*واعلم بانّ طباع الانس قد جبلت * من الجفاء ومن مكرٍ ومن دغل *
* فلا تثق منهم يوماً بواسطةٍ * واسرع بعقلك فيه غير متكل *
* فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل *

ومن عذاب الكلام * في هذا المقام * تحرجنا عن المرام * ولكن دمنة
رياض المحبة زاهرة * وارباض المودة عامرة * وقفول المراسلة والمصادقة
بين الطرفين سائرة * واستمروا على ذلك من غير نزاع * الى ان توجه
شاه شجاع * وكان شاه شجاع هذا رجلاً عالماً فاضلاً * يقرر الكشاف
تقريراً شافياً كاملاً * وله شعر رائق * وادب فائق * فمن شعره
العربي على ما قيل *شعر*

* الا ان عهدي في الغرام يطول * واسباب صبري لا تزال تزول *
* اصون هواها كلما ذر شارق * ولكن ما ابدي قلبي تقول *
* ومن لم يذق صرف الصبابة في الصبا * فعليه تعسا رائد ودليل *

* ومن *

* ای بکام عاشقان همت جمیل * کی کزینم دیگری بر تو بدیل *

* کر زیادت غافلم عیشم حرام * ور زجورت دم زنم خونم سبیل *

* هر کسی تدبیر کاری میکند * ما رها کردیم با نعم الوکیل *

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر * وابوه كان من افراد الناس ومن اهل البر *
يسكن ضواحي يزد وابرقوه * ذا باس شديد يخافه القريب والبعيد
ويرجوه * وكان قد نبغ بين يزد وشيراز * حرامي من عرب آل خفاجة سل
طي سالكي الطريقة حقيقة المجاز * يدعى جمال لوك * افقر الغني واباد
الصعلوك * لايبالي بالرجال قلت او كثرت * ولا يكترث بكواكب النبال اذا
الكواكب على رأسه انتثرت * فاباد طائفة من البلاد * واهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد * فكمن له ابو شجاع * في بعض وهد او بقاع * ثم قابله
مواجهه * وكافحه مشافهه * ونازله فصرعه * وقطع رأسه وانتزعه *
فقصد برأسه السلطان * فقدمه على سائر الاعوان * واقطعه اماكن
عدة * وقربه وجعله عدة لكل شدة * وكان له عدة اولاد * واقارب واحفاد *
كل منهم رئيس مطاع * فمن اولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه
شجاع * فصار كل منهم ذا كلمة نافذة * ويد مبسوطة آخذة * ولم يكن

للسلطان ولد يبقى وراءه في امور الملك او يتعب * فلما اقبل عليه

وائل المنية اجابه وولي مدبرا ولم يعقب * وكان اذ ذاك قد ثبت

اوتاد محمد بن مظفر * فنقل م في السلطنة ومن هواه تاخر * سما

في ممالك عراق العجم الملك المطاع * واستقل من غير تشاقق ونزاع

وتصرف في الممالك كيف شاء * ورداه الله خلعة قل اللهم مالك

الملك توتي الملك من تشاء * ومات في حبوته ولده شاه مظفر المشهور *

وخلف ولده شاه منصور * ثم جرى بين شاه شجاع وبين ابيه * من النزاع

والشرور ما لا خير فيه * وقبض على ابيه وقهره * وفجعه بكريمتيه

واعدمه بصره * وتمكن من السلطنة واستقر * وكان به مرض جوع

البقر * بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا في السفر ولا في الحضر *

وكان كثيراً ما يدعو الله الغفور * ان لا يجمع بينه وبين تيمور *

فلما ادركه الاجل * وطوى فراش الموت منه بساط الامل * احضر من له

من الاقارب والاولاد * وقسم عليهم الممالك والبلاد * فولى ابنه

لصلبه زين العابدين * شيراز هي كرسي الملك ومقصد الوافدين *

واقطع اخاه السلطان ... ى ابن اخيه شاه

يحيى يزد وابن اخيه شاه منصورا صفهان * واسند وصيته ذلك
الى تيمور * وخلد ذلك في رق منشور * واشهد على ذلك من حضر
مجمعه * فكان كمن سلم الرمح لابي زوبعة * ولما ادمج الموت ثوب
عمر شاه شجاع * انتشرت بين اقاربه شقق الشقاق والنزاع *
فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه * واستولى على شيراز
وفجعه بكريمتيه * وخالف عمه ونقض حبل عهده * وفعل مع ابنه
ما فعله ابوه بجده * وحبل هذه القضية ممدود * والاشتغال بنقضه
وابرامه يخرج عن المقصود * فانغص تيمور وامتغص * وتجرع
الغصص وارتهص * ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص *

ذكر توجه تيمور مرة ثالثة * الى خوارزم بالعساكر العابثة العايثه *

ثم ان تيمور جدد الحزم * وصمم العزم على التوجه الى خوارزم *
وتوجه الى تلك البلاد * من خراسان على طريق استراباد * وكان
سلطانها ايضا غائبا * فاراد ان يولي عليهم من جهته نائبا * فخرج
اليه حسن المذكور وصالحه * واشترى منه الشرور والمقابحه *
وقال له يا مولانا الامير * كلنا عندك اسير * ولكن سلطاننا غائب *

واذا اقيم علينا من جهتك نائب * ثم رجع الينا السلطان * فلا بد ان يقع بينهما شنآن * واذا كان الامر كذا * فربما يصل اليه منه اذى * فيكون ذلك سبب تاكيد العداوة * ويزداد بينكما الجفا والقساوة * فيقبض حنقك على المسلمين * ويقع فساد والله لا يحب المفسدين * وهب ان حسين صوفي صار نائبك * فكل الخلق يجب عليه ان يراعي خلمتك وجانبك * ورايك اعلى * واتباع مرسومك اولى * فسمع تيمور كلامه * وقبل قوله وفوض للرجل خيامه * وكان لحسين المذكور ابن غير فالح * له عمل غير صالح * فكانه فتك بحظية من حظايا السلطان * وذاع ذلك في المكان * وفاح ذفره في انف الزمان * فلم يعتد بذلك الفعل القبيح حسين * وقال ان لي على السلطان مننا واي منن * حيث حميت بلده من كل ظلوم كفار * وبذلت في ذلك مالي ووجاهتي ثلث مرار * فلا بد ان يقابل هذه المصالحه * بالعفو عن جريمة ولدي والمسامحه * فلما آب السلطان من سفره * واطلع على حقيقة الامر وخبره * قبض على حسين وولده وقتلهما * والقاهما بين يدي اسد قهر [illegible] دبرهما * ونقل الى خزائنه

شعارهما ودثارهما * ثم لم يلبث حسين صوفي ان توفي * وولي بعده
ولده يوسف صوفي * وكان تيمور قبل ذلك قد صاهرهم * وناصرهم
على مخالفيهم وظاهرهم * وزوج ابناً له يدعى جهانكير * عقيلة
منهم ذات قدر كبير * واصل خطير * ووجه مستنير * احسن من
شيرين واظرف من ولادة * ولكونها من بنات الملوك ادعى خانزاده *
فولدت له محمد سلطان * وكان في نجابته واقباله ما طبع البرهان *
فلما شاهد تيمور في شمائله مخايل السعادة * وقد راق في النجابة
اولاده واحفاده * اقبل دون الكل عليه * وعهد مع وجود اعمامه
اليه * لكن عاجله الله هو وذلك الظلوم * وتوفي قبله في آق شهر من بلاد
الروم * وسيأتي ذكر ذلك

ذكر توجه ذلك الباقعة * الى خوارزم مرة رابعة *

فلما سمع تيمور * ما جرى على حسين من الشرور * تحنق وشد الازم *
ووجه ركاب الغضب الى خوارزم * واخذها وقتل سلطانها *
وهدم اركانها وخرب بنيانها * وولى على ما بقي منها نائباً من عنده
ونقل جميع ما امكنه نقله عنها * الى ممالك سمرقند * وتابع حرابه

خوارزم عذاب * كما ان تاريخ خراب دمشق خراب *
٧٧٣ ٨٠٣

ذكر ما كان ذلك الجان * راسل به شاه ولي امير ممالك مازندران *

ثم انه لما كان توجه الى خراسان * راسل شاه ولي امير ممالك مازندران *
وكاتب الامراء المستقلين بذلك المكان * فمنهم اسكندر الجلابي *
وارشيوند وابراهيم القمي * واستدعاهم الى حضرته * كما هو
جاري عادته * فاجابه بالضرورة ابراهيم وارشيوند واسكندر *
وتأبى عليه شاه ولي ذلك الغضنفر * فلم يلتفت الى خطابه وخشن
له في جوابه *

ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق * وما وقع
في ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق *

ثم ارسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان * والى
السلطان احمد بن الشيخ اويس متولي عراق العرب واذربيجان *
يخبرهما بورود خطابه * وصدور جوابه * ثم قال انا تعركما * وان
انتظم امري انتظم امركما * وان نزل بي منه بائقة * فانها بكما لاحقة * فان ما عندنا به يتبدد * كفيتكما هذا النكد * والا فنصبران

كما قيل * شعر *

* من حلقت لحية جارٍ له * فليسكب الماء على لحيته *

فاما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه * وها دن تيمور كما ذكروها داه *

واما السلطان احمد ما جاب بجواب مهمل * وقال مذا الاشل الاعرج

الجغتائي ما عساه أن يفعل * ومن أين ومن أين * للاعرج الجغتائي

أن يطأ العراقين * وان بينه وبين هذه البلاد * لخرط القتاد * ولكم بين

مكانٍ ومكان * فلا يخلِ العراق كخراسان * ولئن عقدت على التوجه

الى ديارنا نيته * لتحان به منيته * ولترحلن عنه امنيته * فانا

قوم لنا الباس والشدة * والعدة والعدة * والدولة والنجدة * ولنا يصلح

التشامخ والتابي * حتى كانه قال فيه المتنبي * نحن قوم ملجن في زي ناس *

فوق طير لها شخوص الجمال * فلما علم ذلك منهم شاه ولي *

وتيقن ان كلا منهما عن شجوه خلي * قال اما انا فوالله لاواقفنه *

بعزم صادق ونفس مطمئنة * فلئن ظفرت به لاتذكرن بكما في الامصار *

ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار * وان ظفر بي فلاعلي ما يصل اليكما *

فلينزلن القضاء الطام والبلاء العام عليكما * ثم استعد للقائه *

نواستسلم لقدر الله تعالى وقضائه * ولما ترائى الجمعان * واتصلت المراشقة بالضرب والطعان * ثبت شاه ولي ساعة لما نابه من شره وضره * ثم ولى الدبر لما لاحظ ما رأى من كره وفره * وتبع السنة في الفرار مما لا يطاق * وتوجه الى الري اذ ما امكنه التوجه الى العراق * وكان بها امير مستقل يدعى محمد جوكار * متصرفا بحكومته في تلك القرى والامصار * وكان كريما شجاعا * وملكا مطاعا * ومع ذلك فانه داري تيمور * وراعى منه بعض الامور * وخاف سطوته وباسه * فقتل شاه ولي وارسل الى تيمور راسه *

ذكر ما جرى لابي بكر الشاسباني * من الوقايع مع ذلك الجاني *

وكان في بعض ولايات مازندران * رجل يسمى ابا بكر من قرية تدعى شاسبان * وكان في الحروب * كالاسد الغضوب * وكان قد اباد وابار * الجم الغفير من عساكر التتار * اذا انتمى في المجال * لا تثبت له الرجال * واذا وضع العمامة * اقام فيهم القيامة * ولا زال يكمن بين الروابي والجبال * ويجندل الجنود والابطال * حتى صارت تضرب به الامثال * وترعد منه الفرائص ولو في طيف

الخيال * فكان القائل منهم يقول لمو كوبه اذا علق عليه اوسقاه *
فما أخرعني الماء اذ جقل من المخلاة * كأن ابا بكر الشاسباني في الماء
او بين العلق تراه * وقبل لم يتضرر عسكر نهم في مدة استيلائه *
مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه * الا من ثلثة انفار * اضروا به
وبعساكره غاية الاضرار * واوردوا اكثيراً منهم موارد النار *
احدهم ابو بكر الشاسباني * وثانيهم سيدي علي الكردي وثالثهم امة
التركماني * فاما ابو بكر فذكروا انه في بعض مضائق مازندران *
تغلب عليه الجغتاي من كل مكان * وسدوا عليه وجه المخلص *
وشدوا حبل المقتنص * فالجاؤه الى جرف مقابله جرف * مقدار ثمانية
اذرع ما بين الجرف الى الجرف * كأن قعره جب النقير * او واد في قعر
السعير * فنزل ابو بكر عن جواده المضمر * وطفر وطمر من احد
الجرفين الى الآخر * بما عليه من السلاح والمغفر * ولم ينل منهم
ضرا * او نجا كما نجا تأبط شرا * ثم اتصل بحاشيته وابادهم * ونقل
الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم * ثم ما ادري
اسره الى ما ذا آل * وكيف تقلبت به الاحوال * واما سيدي علي الكردي

فانه كان اميرا في بلاد الكرد * معه طائفة من الخيل الجرد * والرجال المرد * في جبال عاصية * واماكن وعرة متعاصية * فكان يخرج هو وجماعته * ومن شملته طاعته ويترك على فم المضائق * من هو به واثق * ثم يشن على عساكر تيمور الغارات * ويدرك فيهم للمسلمين الثارات * ويقتطع من حواشيهم * وما يمكنه من مواشيهم * ثم يرجع الى اوكاره * بما قضى من اوطاره * ولم يزل على ذلك البيات في حيوة تيمور وبعد ان مات * الى ان ادركته الوفاة فمات * واما امه التركماني فانه كان من تراكمة قراباغ * وله ابنان قد وضع كل منهما على قلب تيمور اي داغ * وكانت الحروب والنزال * بينهم وبين اميران شاه وعساكر الجغتاي لا تزال * وافنوا من جماعتهم عددا لا يحصى * وجانبا فات الاستقصا * الى ان غدر واحد من المنتسبين اليهم * فطلب غرتهم ودل عسكر اميران شاه عليهم * فبيتوهم ليلا * واراحوا من دمهم سيلا * فاستشهد الثلثة في سبيل الله * رحمهم الله *

* قلت * * شعر *

* واصعب فتنة تشمت الاعدا * وانكى منه تخذل بل الموالي *

* وقيل شعر *

* وظلم ذوي القربى اشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند *

* وقيل شعر *

* اذا كان هذا بالاقارب فعلكم * فما ذا الذي ابقيتم للاباعد *

ذكر توجه تيمور الى عراق العجم * وخوض شاه منصور غمار ذلك

البحر الخضم *

ولما توفي شاه شجاع * ووقع بين اهله كما مر نزاع * واستقر امر عراق

العجم على شاه منصور * وخلصت ممالك مازندران وولايتها لتيمور *

وكان شاه شجاع قد اوصى الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر

ووكل امره اليه * وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله من ابن

عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه * فاستعد شاه منصور

اقاربه * فكلهم صار محاربه * وعاد مجاذبه ومجانبه * واقام كل

منهم بحفظ جانبه * فنهيا لملاقاته وحده * بنحو الفي فارس كاملي العدة *

بعد ان حصن المدينة * وحوطها بالاهبة المكينة * ورتب خيلها

ورجلها * وحرض على التصبر والتربص اهلها * فقال له اكابرا عيانها *

والرؤس من سكانها * كأنا بك في المقتحم * وسد الحرب قد التحم * وقد منعناه من الوصول الينا * ودافعناه عن الهجوم علينا * وربما جند لنا له رجالا * وابطلنا من عسكره ابطالا * ثم بماذا تصنع انت بالمحي راكب * مع هذا الغمام المتراكم المتراكب * وربما انحل عقدك * او يفل جندك * فلا ترى لنفسك في الهيجاء * الا طلب الخلاص والنجاء * وتتركنا لحما على وضم * بعد ان زلت بنا معهم القدم * ولا ينفعنا بعد تاكد العداوة الندم * ولا يجبر منا ذاك هذا الكسر * الا بالقتل والنهب والاسر * فوضع يده على دبوسه شاه منصور * وقال هذا الالف في الكاف السادسة من ام من يغزو من تيمور * اما انا فقاتل وجندي * فان خذلني جندي قاتلت وحدي * وبذلت في ذلك جدي وجهدي * وعاتبت عليه وكدي وكدي * فان نصرت نلت قصدي * وان قتلت فلا علي ممن بقي بعدي * وكأني انا كنت الحاضر * والخاطر في خاطر الشاعر * حين قال

* اذا هم القى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا *

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه * واراد بذلك حفظ ملكه

فضاع في ضياعه * ثم جمع رؤساء شيراز واجنادها * وافلاذ
كبدها واولادها * وقال ان هذا عدو ثقيل * وهو وان كان خارجيا
فهو في بلادنا دخيل * فالرأي انى لا انحصر معه في مكان * ولا اقاتله
بضراب وطعان * بل انتقل في الجوانب * وا تسلط انا ورعاياي
عليه من كل جانب * فنصفع اكتافهم * ونقطع اطرافهم * ونواظبه
بالنهار ونراقبه بالليل * ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل *
وكلما وجدنا منه غرة * كسرنا منه الغفا والغرة * فتارة ننطحه * واخرى
نرمحه * وكرة نجدجه ومرة نجرحه * ونسلبه الهجوع * ونمنعه
الرجوع * فنشند عليه المضائق * وتنسد عليه الطرق والطرائق * غيران
القصد منكم يا احرار * ويا نمور القفار * ونسور النفار * ان تحتفظوا
بضبط الاسوار * ولا تغفلوا عنها آناء الليل واطراف النهار * فاني
ما دمت بعيدا عنكم لا يدنوا حد منهم منكم * وان حاصر وكم فبكم
كفاية * واسنودعكم الله وهو نعم الوقاية * وغاية ما تكونون في هذه
البوسا * مثل ما واعد الله تعالى نبيه موسى * ولله هذا الرأي ما كان
امتنه * ووجه هذا القصد ما كان احسنه * ثم انه خرج ذاهبا * وقصد جانبا *

ذكر دقيقة قصلت فحلت ونقضت * ما ابرمه شاه منصور

من عقد حين حلت *

فبينما هو عند باب المدينة جائز * نظرته سعلاة من مشؤمات العجائز *

فبدرته بالملام * وآذته بالكلام [illegible] نظروا

الى متى انت تركش بحرام * ترعى أمواسا * وتحكم في دمائنا * وفارقنا

أحوج ما نحن اليه في مخاليب أعدائنا * جعل الله حمل السلاح عليه

حراما * ولا انجح له قصدا ولا اسعف له مراما * فقدحت زناده *

وجرحت فؤاده * وتأججت نيران غضبه * واحرق اكناف تدبره

شواظ لهبه * وثارت نفسه الابية * واخذته حمية الجاهلية *

حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم * وغلط فامضى وهو لغلطه ملازم *

فثنى عنان عزمه * وكر اسنان ازمه * واقسم لا يبرح عن المقاومة *

ولا يرجع في مجلس قضاء الحرب عن ملازمة المصادمة * ويجعل

ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء * الى ان يعطي الله النصر لمن يشاء *

ثم اقبل * ورتب ابطاله وقاتل * وكان في عسكر شاه منصور * امير

من امرائها في مباطن لتيمور * يدعى محمد بن زين الدين * من الفجرة

المعتدين * وجل العساكر كان معه * فما رأى تيمور وأكثر الجند تبعه * فلم يبق منهم الا دون الالف * فما فروا من الزحف * فثبت شاه منصور * بعد ان تضعضعت منه الامور * فلم تزل نيران الهيجاء تتنطح * وزناد الحرب تورى اذ تقدح * وشرار السهام تتطاير * وثمار الرؤس بمناجل السيوف تقطف فتتناثر * حتى اقبل جيش الليل * وشمر للهزيمة جند النهار الذيل * فتراجع كل منهم الى وكره * واعمل شاه منصور فكره في مكره *

ذكر ما نقل عن شاه منصور * مما اوقع بعسكر تيمور * من الحرب والويل * تحت جنح الليل *

فعمد الى فرس جفول * من بين الخيول * اجمع من دهر رمح * وارمح من عشر جمح * واتى بها عسكر العدو * وقد احلك الليل في الهدو * ثم ربط في ذنبها قدرا من النحاس * ملفوفة في قطعة بلاس * وشدها شدة احكم وثاقها * وصوب رأسها نحو العدو وساقها * فجالت الفرس في العسكر واضطربت * واختبطت الناس واحتربت وانسابت جداول السيوف في بطون تلك النحور وانسربت * حتى كان الساعة

اقتربت * اوالسماء عليهم بالشهب انقلبت * والارض بهم اهتزت وربت * وشاه منصور واقف حوالبهم * كالبازى المطل عليهم * يفعل من شد * ويبدل من ند * وصاروا كما قيل

* شعر *

* الليل داج والكباش تنتطح * نطاح حل بما اراها تصطلح *
* * فقائم وقاعد ومنبطح * فمن نجا برأسه فقد ربح * *

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فنى نحو من عشرة آلاف نفس * فلما قوض الليل خيامه * ورفع النهار اعلامه * علموا البلاء نبق دهاهم * ولبث الليل لم يكن فارق دراهم * ثم ان شاه منصور اصبح وقد قل ناصره * وقل موازره * فانتخب من جماعته نحو اسمائة * فجعل يصول بهم صولة ~~... بهم~~ غمار الموت ~~...~~ ما منهم احد على احد * ونميل ... منه وينتسب ويصيح انا شاه منصور الصابر المحتسب * فراهم بين يديه حمرا مستنفرة فرت من قسورة * رفضت مكانه بهور فهرب منه ودخل بين السماء واحد فى تنين وغطى بكساء * فبادره وقال نحن حرم * واشرن

الى طائفة من العسكر المصطلم * وقلن هناك بغيتك * وبين اولئك طلبتك * فالوى راجعا * وتركهن مخادعا * وقصد حيث اشرن اليه * وقد احاطت به جموع العساكر وحلقت عليه * قلت بديها

* شعر *

* وما حزّ اعناق الرجال سوى النسا * واى بلاء ما لهن به ابلاء *
* وكم نار شر احرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها اصلا *

وكان على فرس فاقت خصالا * فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا * وفرسها لسبوح كانت تقاتل معه * وتصدم وتكادم من يقرب منها في تلك المعمعة * وكأنه كان ينشد معنى ما قلته في مرآة الادب

* شعر *

* يد الله قوتني فقلت بها لهم * وهل يدي فيهم بسيفين تضرب *

فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال * افترقت امامه يمينا وشمالا وان كانوا كلهم من اهل الشمال * ولكن * شعر *

* اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاعظم ما يجني عليه اجتهاده *

حتى انهكته الحرب * وكلت يداه من الطعن والضرب * وجندلت

أبطاله * وقتلت خيله ورجاله * وتغيرت من كل جهة أحواله * وسدت
طرائقه * وشدت مضايقه * وخرست شقاشقه * وضربت فيالقه *
وخمدت بوارقه * وهمدت بيارقه * وحص جناحه وقص جناحه *
وخف مراحه * واثقله جراحه * وسكنت همهمته
غمغمته * فانفرد عن أصحابه * وقد آذاه الجراح وأودى به *
ولم يبق معه في ذلك البحر * سوى نفرين أحدهما يدعى تركل والآخر
مهتر فخر * واخذه الدهش * وغلب عليه العطش * ونشف الرهج
والوهج كبده * وطلب شربة ماء فما وجده * ولم يجد ما يبل به ريقه *
لما قدر أحد أن يقطع عليه طريقه * فرأى الأولى * طرح نفسه بين
القتلى * فاطرح بينهم نفسه * ورمى أسبابه وسيب فرسه * وقتل تركل
ونجا فخر الدين * وبه من الجراح نحو من سبعين * وقيل أزيد من ذلك
حتى بلغ تسعين * وكان من الأبطال والمصادمين * فسار بين جموع جيوش
تيمور وتمام * وانتعش بعد أن بلغ موارد الحمام * وذلك بعد أن
قتل منهم ما لا يعد * وأفنى ليلا ونهارا ما لا يحصى ولا يحد * وصفق
تيمور في التعلق * والقبض على الأزرق * لفقد شاه منصور * وعدم الوقوف

على حال ذلك الاسد الهصور * ام فى الاحياء فيخشى فكره * ام انتقل الى دار الفناء فيأمن مكره * فامر بتفتيش الجرحى * والتنقيب عنه بين القتلى والطرحى * الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب * ويغمد حسام الضياء من الظلام فى قراب * فيغمد ماضى دينارالبيضاء * تحت ذيل ملاءة الضياء * ومن نساج القدرة فى جو الفضاء سدا * والليل اذا سجى * وتنطوى سطح هذه الادبم الميناء * دراهم كواكبه الزهراء * واتسع الظلام واتسق * عثر واحد من الجغتاى على شاه منصور وبه ادنى رمق * فتشبث شاه منصور بذلك الانسان * بل الشيطان الخوان * وناداه الامان الامان * انا شاه منصور * فاكتم عنى هذه الامور * وخذ منى هذه الجواهر * وخافت فى قضيتى ولا تجاهر * كانى لا رأيتك ولا رأيتنى * ولا عرفتك ولا عرفتنى * وان اخفيت مكانى * ونقلتنى الى اخوانى واعوانى * كنت كمن اعتقنى بعد ما اشترانى * ومن بعد ما اماتنى احيانى * وكنت ترى مكافاتى * وتغنم مصافاتى * ثم اخرج له من الجواهر ما يكفيه وذريته الى يوم الآخر * فكان فى قصته واستكشاف غصته * كالمستغيث بعمرو عند كربته * فما عتم

ان وثب على شاه منصور * وحزراسه واتى به الى تيمور * وحكى له

ماجرى بتنجيز المشترى فما صدقه * ولا في كلامه استوثقه * بل اخرج

من قبائله وشعوبه * من عرفه به * فعرفوه بشامه * كانت على وجهه

علامه * فلما علم انه شاه منصور بعينه * وتميز له صدق ذلك الرجل

من مينه * تحنق وتحيف * وتحرق لقتل شاه منصور وتاسف * ثم سئل

ذلك الرجل عن محتده * وعن والده وولده * وعن قبيلته وذويه *

ومخدومه ومربيه * فلما استوضح اخباره * علم نجاره ووجاره *

ارسل موسومه الى متولي تلك الدارة * فقتل اهله واولاده * واعوانه

وانصاره * وآله واحفاده * واختانه واصهاره * وقتله شر قتلة

ومحا آثاره * وصادر مخدومه بيتمه وخرب دياره * ثم ارسل الى

ممالكه مطالعاته * يذكر فيها صور تلك المصافات والمواقعات *

وما شاهد من وثبات شاه منصور وثباته * وغشيانه غمرات الحرب

وضرباته * وما حصل في واقعة القتال على الجدبد في صف مرسلاته *

زلزلت العاديات وولولت النساء في فتح حجراته * بعباراته

هائله * وكلمات في ميادين الفصاحة والبلاغة جائله * ومنذه المطالعات

تعرّا في المحافل والمشاهد * وتملى في المصادر والموارد * تستمد منها ذروا

الآداب * ويعتني بحفظها الكتاب والصبيان في الكتاب * رايت

في اخبار بعض المعتنين * انه في شوال سنة خمس وتسعين * ورد رسول

صاحب بسطام * بوردن سلطان مصر بالاعلام * ان تيمور * قتل شاه

منصور * وانه تولى على شيراز وسائر البلاد * وارسل راسه

الى حاكم بغداد * وامره بالطاعة * هو ومن معه من الجماعة *

وارسل اليه خلعة * وان يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك

في الجمعة * فلبس خلعته وأتمر * ممتثلاً كما به امر * وانه علق

راس شاه منصور * بعد ما طافوا به على السور * وما اظن لذلك صحة

ذكر ما وقع من الامور والشرور * بعد واقعة شاه منصور *

فاستولى تيمور على ممالك فارس وارض عراق العجم * وراسل

من داناه من اقارب شاه شجاع وملوك الامم * واستمال الخواطر

وامن البادي والحاضر * ورحل فجاز * مدينة شيراز * وضبط

احوالها * وقرر فيها خيالها ورجالها * ونادى بالامان * للقاصي

والدان * فلبت دعوته ملوك البلاد * ولم يسعهم معه الا الاطاعة

والانقياد * فوصل اليه سلطان احمد من كرمان * وشاه يحيى

من يزد وعصى سلطان ابو اسحق فى شيرجان * فانعم وخلع على من

اطاعه وانقاد * ولم يتعرض لمن اظهر العناد * ولم يسو بينه وبين

مخالفيه العصاة * واكرم من اطاعه ليوقع بذلك من عصى * وطرح

على شيراز وسائر البلدان بالامان * واقام فى كل بلد من جهته

نائبا وتوجه الى اصبهان * واحسن الى زين العابدين الذى هو

وصيه من ابيه * ووظف له من الجوامك والادرارات

ما يكفيه وذويه *

ذكر ما صنع الزمان * عند حلوله باصبهان *

فلما وصل الى اصبهان * وكانت من اكبر البلدان * مملوة

بالافاضل * محشوة بالاماثل * وبها شخص من علماء الاسلام *

والسادة الاعلام * قد بلغ فى العلم الغاية * وفى العمل والاجتهاد

النهاية * افعاله مبرورة * وكراماته مشهورة * ومآثره

مذكورة * ومحاسنه على جبهة الايام مسطورة * وهو معتقد

المسلمين * وكان اسمه امام الدين * وكان اهل اصبهان يذكرون

له تيمور * ويحذرون من شره اي محذور * فيقول لهم ما دمت فيكم حيا * ما يضركم كيده شيا * فان وافاني الاجل * فكونوا من اذاه على وجل * اتفق انه في وصول تيمور * توفي الشيخ المذكور * فاصبحت اصبهان ظلمات بعضها فوق بعض بعد ان كانت نورا على نور * فتضاعفت حسراتهم * وترادفت كسراتهم * فوقعوا في الحيرة * وصاروا كابي هريرة * رضي الله عنه حيث يقول.

* للناس هم ولي في اليوم همان * فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان *

* فخرجوا اليه وصالحوه على حمل اموال * فارسل اليهم لاستخلاصها الرجال * ووزعوها على الجهات * وفرضوا على الحارات والمحلات * وتفرق فيهم المستخلصون * فكانوا يعيثون فيهم ويعبثون * واستطالوا عليهم فجعلوهم كالخدم * وتوصلوا الى ان مدوا ايديهم الى الحرم * فانكوا منهم اي نكاية * فرفع اهل اصبهان الى رئيسهم الشكاية * وكثرت منهم الشكية * وهم قوم لهم حمية * قالوا الموت على هذه الحالة * خير من الحيوة مع هذه الاستطالة * فقال لهم رئيسهم اذا اقبل المساء * فاني اضرب الطبل لكن لاتحت كساء * فاذا سمعتم الطبل قد دق *

فالقولُ قل حقّ * فليقبضْ كلٌّ منكم على نزيله * وليُحْكِمْ منكم بسمينِ رأيه وهزيله * فاتّفقوا على هذا الرأي المعكوس * والامر المنكوس في الطالع المنحوس * وقصروا ايدي انظارهم السقيمة * عن قصارى هذه الامور الوخيمة * ولما تعرّى الغدان من ثوبِ نورِه * وابدل الجوّ قاقمه بسمّوره * ومضى هزيعٌ من الليل * ضربَ الرئيسُ الطبلَ فتلّ بالمستخلصين الويل * فقتلوهم وكانوا نحواً من ستة آلاف * فاصبحوا وقد غرسوا في دوح العصيان اغصان الخلاف * فاثمر ذلك لهم الحورَ بعد الكور * وبان لهم البور فاصبحوا بوراً بهذا البور * ولما سلّ الفجر حسامه * وحسر النهار لثامه * بلغ تيمورَ ذلك الصنع المشؤوم * فنفخ الشيطانُ منه في الخيشوم * فارتحل من فوره * واستلّ عضبَ غضبه ونثل جعبة جوره * وتوجّه الى المدينة مزمجراً * مصراع * متكلباً مناً بعد امتنمراً * فوصل اليها * واحنى عليها وامر بالدماء ان تسفك * وبالحرمات ان تهتك * وبالارواح ان تسلب * وبالاموال ان تنهب * وبالعمران ان تخرب * وبالزروع ان تحرق * وبالضروع ان تخرق * وبالاطفال ان تطرح * وبالاجساد

أن تجرح * وبالأعراض أن تثلم * وبالذمم أن تهلم ولا تسلم *
وأن يطوى بساط الرحمه * وتنشر مسح النقمه * فلا يرحم كبير لكبره *
ولا صغير لصغره * ولا يوقر العالم لعلمه * ولا ذو أدب لفضله وحلمه * ولا شريف
لنسبه * ولا منيف لحسبه * ولا غريب لغربته * ولا قريب لقرابته
وقربته * ولا مسلم لإسلامه * ولا ذمي لذمامه * ولا ضعيف لضعفه *
ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه * وبالجملة فلا يبقى على أحد *
ممن هو داخل البلد * وأما أهل المدينة فعلموا أنه ليس للجدال الى
مجال * فضلا عن ضراب وقتال * وأن قبول الأعذار محال *
وأنه ليس ينجيهم من ريب المنون * مال ولا بنون * ولا يقبل منهم
في تلك الساعه * ولا ينفعهم عدل ولا شفاعه * فتحصنوا بحصون
الاصطبار * وتدرعوا دروع الاعتبار * وتلقوا سهام القضاء
من حنايا المنايا بمجن تسليم المراد * واستقبلوا ضربات القدر
من سيوف الحتوف بأعناق التفويض والانقياد * فأطلق في ميادين
رقابهم عنان حسام البتار * وجعل مغابن بطونهم الذئاب والضباع
وحواصل الأطيار * ولا زالت عواصف الفناء تجتث من أشجار الوجود

نحتى * حصروا عدد القتلى فكان نحو ستة عشر الفا من امة يونس بن متى *
فاستغاث بعض البصراء * بواحد من رؤس الامراء * وقال التقية
في البقيه * والرعاية في الرعية * فقال ذلك الامير للسائل الفقير *
اجمعوا بعض الاطفال عند بعض التلل * فلعل ان يلين قلبه عند
رؤيتهم شيأ ما عسى ولعل * فامتثلوا ما به امر * ووضعوا شرذمة
من الاطفال منه على الممر * ثم ركب ذلك الامير مع تيمور واخذ به
على تلك الاطفال ومر * ثم قال انظر يا مخدوم * نظر الراحم الى المرحوم *
فقال ما هؤلاء * الطرحاء الاشقياء * فقال اطفال معصومون *
وامة مرحومون مرجومون * استحر القتل بوالديهم * وحل غضب
مولانا الامير على اكابرهم وذويهم * وهم يسترحمون بعواطفك الملوكية
وصغرهم * ويستشفعون اليك بذلهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم
وكسرهم * ان ترحم ذلهم * وتبقي على من بقي لهم * فلم يجرجوا يا
ولاة ابلد خطايا * ثم مال بعنان فرسه عليهم * ولم يظهر انه بصر بهم
ولا نظر اليهم * ومالت معه تلك الجنود والعساكر * حتى اتى منهم
على الاول والاخر * فجعلهم طعمة للسنابك * ودوهم تحت اقدام

أولئك * ثم جمع الأموال * وأوسق الأحمال * ومال راجعاً الى سمرقند بما قد نال * وكم بين هذه الأمور والقضايا * من دواه وبلايا * واخبار وحكايات وتجهيز سرايا * وتولية وعزل * وابراز هزل في صورة جد وجد في صورة هزل * وبناء وهدم * وصل ورد * وتعمير عامر وتخريب عامر * وتهاون وتعاز * وانحراف وتواز * ومباحثات مع علماء * ومناظرات مع كبراء * ورفع وضعاء * ووضع شرفاء * وتمهيل قواجل * وتقريب اباعد * وتبعيد اداني * وبروز مراسيمه الى كل قاص ودانى * الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر * ولا يضبط بديوان ولا دفتر *

ذكر ضبطه طرف المغل والجتا * وما حصل منه في تلك الاماكن واتى *

ولما وصل الى سمرقند ارسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير * مع سيف الدين الأمير * الى أقصى ما تبلغ اليه مملكته * وتنفذ فيه كلمته * وهو وراء سيحون شرقاً سوا * آخذاً في بحور ممالك المغل والجتا والخطا * نحواً من مسيرة شهر * عن ممالك ما وراء النهر * فمهد واهنالك الوهد والبقاع * وبنوا فيه جملة من القلاع * واقصاها بلد يسمى اشبارة * فبنوا فيه حصناً حصيناً معداً للنهب

والغارة * وخطب من بنات الملوك ملكة اخرى * وكانت الاولى تدعى الملكة الكبرى والاخرى الملكة الصغرى * فاجابهم ملكهم الى ما سأل * واناب الى ما طلبه منه بالاطاعة وبذل * وارتجت منه اقاليم الغلي والخطا * وذلك لما بلغهم مما فتك * فى كل طرف وبتك * من بلاد الاسلام وسطا * وكان السفير فى ذلك الله داداخا سيف الدين المذكور * وهو الذى استخلص اموال دمشق ونزل في دار ابن مشكور * وامر تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب * وعقد اليها جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب * وسماها شاه رخيه * وهي فى اماكن رخيه * وسبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم * ووسم هذه المدينة بهذا الوسم * انه كان على عادته * مشغولا بلعب الشطرنج مع بعض حاشيته * وقد امر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل * وكانت احدى حظاياه معه وهى حامل * فرمى على خصمه شاه رخا * فذبل خصمه لذلك وارتخى * وبينما خصمه قد وقع فى الاين * اذا بمبشرين جاء امحبين * احدهما يبشره بولد * والاخر يبشره بتمام عمارة البلد * فسماهما بهذين الاسمين *

و وسمهما بهذين الوسمين *

ذكر عود ذلك الاقحوان * الى ممالك فارس وخراسان * وفتكه بملوك

عراق العجم * واستصفائه تلك الولايات والامم *

ثم عاد * بعد تمهيد البلاد * وتوطيد قواعد ممالك تركستان *

الى بلاد خراسان * فاستقبله الملوك والامراء * والسلاطين والوزراء *

وسارعوا اليه من كل جانب * ما بين راجل وراكب * ملبين دعوته *

حاذرين سطوته * مغتنمين خدمته * وسلموه الانجاد والاغوار *

والاطواد والقفار * والقرى وسكانها * والدرى وقطانها * والقلاع

العاصية * وربطوا بيد بذل امره كل ناصية * ممتثلي اوامره * مجتنبي

زواجره * عاقدين نطاق عبوديته بانامل الاخلاص * تابعي رائد

مرضاته على نجائب الولاء والاختصاص * فمنهم من مر ذكره

من المطيعين * ومن كان من الشواهق ممتنعين متعنتين * ومن جملتهم

اسكندر الجلابي احد ملوك مازندران * وارشيوند الفارسكو في ذلك

الاسد الغضبان * صاحب الجبال * الشوامخ العاصية الذلال *

وابراهيم القمي صاحب القمة * والمعد لكل شدة * واطاعه السلطان

اَبواسحق من شيرجان * فاجتمع عندهٗ من ملوكِ عراقِ العجم سبعة عشر نفراً ما بين سلطانٍ وابن سلطانٍ وابن اخي سلطان * كلّهم في ممالكهم مالكٌ مطاع * مثل سلطان احمد اخي شاه شجاع * وشاه يحيي ابن اخي شاه شجاع سوى ملوك مازندران * وسوى ارشبونذوا ابراهيم وملوك خراسان * ولمّا ملك السلطان ابو اسحق نمط اقاربه في الطاعة وعمل على ذلك الطرز * خلف ببلدة شيرجان نائباً يقال له كودرز * فاتّفق في بعض الايّام * انّه اجتمع عنده هؤلاء الملوك العظام * فكانوا عنده * في ذيبة له وهو بينهم وحده * فاشار واحد منهم الى شاه يحيى وقد امكنت الفرصه * ان يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه * فاجابه بعض وامتنع بعض * وقال لمن رضي بذلك من لم يرض * ان لم تكفّوا * وعن هذا المقال تعفوا * اخبرته بهذه المقاله * واطلعته على هذه الحاله * فامتنعوا عن هذا الراي المتين والفكر الرصين * لاختلافهم ولا يزالون مختلفين * وكانّه طالع احوالهم او تفرّس اقوالهم * فاسرّها في نفسه ولم يبدها لهم * ثمّ مكث ايّاما * وجلس للنّاس مجلساً عامّا * وقد لبس ثياباً حمرا * ودعا هؤلاء الملوك السبعة عشر طرّا *

ثم امر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة صبرا * ثم لما اباد هم * ضبط بلادهم * وجمع طارفهم وتلادهم * وقتل اولادهم واحفادهم * واقام في ممالكهم اولاده * وامراءه واحفاده واسباطه واجناده * وسبب قتله هؤلاء الملوك وفتكه * وتمزيقه ستر حيوتهم وهتكه * ان بلاد العجم كانت لا تخلو من الملوك الاكابر * ومن ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر * وهي ممالك واسعة * اطرافها شاسعة * مدنها وافرة * وقراها متكاثرة * واوتاد اوتادها راسخة * وعرانين اطوادها شامخة * ومخدرات قلاعها ناشزة * ومضمرات مكامنها ومعادنها غير بارزة * وثواسر اكاسرها كاسرة * ونواشر جوارحها للظهور ناشرة * ونمور دعابيها طامرة * وزنبور شطارها طائرة * وثعابين ابطالها في جداول الجدال ثائرة * وتماسيح اقيالها في بحار الضراب قاهرة * فنظر تيمور بعين بصيرته * في زنبيلة تامله ومرآة فكرته * فرأى انه لا يزول رونق عارضها من شوكة عارض * ولا يصفو ورد ثغرها من شارب معارض * ولا يثبت له في بنيان ممالكها اساس محكم * ولا ينبت له في بستان ممالكها غراس ينعم * وكان قصده ابقاء مبانيها * واجراء موارد

على ما اقتضته التورة الجنكيزخانية فيها * فلم يمكن عمل فلاحة لسلطنة
في بسيط ارضها * وسوق انها راوا ميرة في ضرائب ممالكها طولها
وعرضها * الا بقلع علائق انساب اكابرها * وكسر قوادم اخشافها
احساب اكابرها * فسعى في استيصال فروعهم واصولهم * واجتهد
في اهلاك حرثهم ونسلهم * وجعل لا يسمع لهم بزرة نطفة في ارض
رحم الا قلعها * ولا يشم منهم رائحة زهرة في ريع كم الا قطعها * وقيل
انه كان في مجلس فيه اسكندر الجلابي وكانه كان مجلس نشاط * ومقام
انشراح وانبساط * فسأل اسكندر * في ذلك المحضر * وقال ان حكم
القضاء بافساد بنيتي * من تراه يتعرض لاولادي وذريتي * فاجابه
وهو في حالة الشطح * وقد حلت عليه دماغه ووضع سراج العقل
منها فوق السطح * اول من ينازع اولادك المشائيم * انا وارشيونك
وابراهيم * فان نجا من مخالبي منهم احد * فانه لا يخلص من انياب
ابراهيم الاسد * وان افلت احد منهم من ذلك البند * فانه لا مخرج
له من شراك ارشيونك * وكان ارشيونك وابراهيم غائبين * فلم
يتعرض تيمور لاسكندر بضرر وشين * واراد الابقاء عليه * وقرعه

مع صاحبيه * فلما افاق اسكندر ليم على ما قال * فقال لا مفر من قضاء الله ولا مجال * ولا عتب في ذلك علي * انطقني بذلك الله الذي انطق كل شي * ثم ان اسكندر وابراهيم هربا * فقبض على ارشونله والقاه في النازعات فصار نبا * وهتك حريم عمر اذ جرعه اول الرعفه واقراه اخر نوح وصبا * ثم ان اسكندر لم يرله اثر * ولا سمع عنه الى يومنا هذا خبر * وكان كبير الهامه * طويل القامة اذا مشى بين الناس كانه علامه * حتى قيل ان مدى ذلك القصر لمثيل * كان نحوا من ثلثة اذرع ونصف بالحديد * وابراهيم اغمي استمر على انكماشه * ثم مات على فراشه * فكان ذلك * سبب ابادة الملوك وابناءهم الممالك * فصل * ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة شيرجان * وقال ان محمد ومي شاه منصور موجود الى الان * وكان هذا الكلام * فاشيا في الخاص والعام * فكان كودرز يتوقع ظهوره * ويرجى على ذلك اعوامه وشهوره * فحاصر تيمور قلعة شيرجان * فلم يلح له عليها سلطان * فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان * واضاف اليهم عساكر سجستان * وذلك بعد ان شملها العمران *

وكان نائبها يدعى شاه ابا الفتح فحاصرها نحوا من عشر سنين *
وهم ما بين ظاعنين عنها وعليها مقيمين * وهي بكر لا تفتح لخاطبها بابا *
وغانية لا يملك خاطبها منها خطابا * وكان تيمور ولى كرمان * شخصا
يدعى ايدكو من اخوان السلطان * فكان هو المشار اليه * ومن العسكر
هو المعول عليه * ولما تحقق كودرز من شاه منصور وفاته * وخذله
الانصار واعجزه الانتصار وفاته * وكان ابو الفتح يراسله كل ساعه *
ويتكفل له عند تيمور بالشفاعه * اذ عن للصلح * واستعمل لذلك
ابا الفتح * ونزل مترامياً عليهم * وسلم الحصن اليهم * فحنق ايدكو
عليه * لكون عقد الصلح لم ينحل على يديه * فقتله من ساعته *
ولم يلتفت الى ابي الفتح وشفاعته * فاخبر تيمور بذلك * وكان
في بعض الممالك * فغضب عليه غضبا شديدا ولكن فات التدارك

* فصل * مما يحكى عن ايدكو هذا متولي كرمان انه كان بها
للسلطان * احمد اخي شاه شجاع ولدان صغيران * احدهما يدعى
سلطان مهدي والآخر سليمان خان * وكان سليمان خان في غاية
الحسن واللطافه * حاويا معاني الملاحة والظرافه * معدنا للكمال *

مُوبي بالدلال * ألفاظه رائقة * والحاظه راشقة * والأرواح إليه تائقة * وأرباب الألباب له عاشقة * حركاته في القلوب ساكنة * ولقاه للخلق فاتنة * كما قيل

* شعر *

* نسيم عبير في غلالة ماء * وتمثال نور في أديم هواء *

وعمره إذ ذاك ستة أعوام * ولكن مفتتن به الخاص والعام * فعزم أبو الحسن على إتلافهما * والحاقهما بأسلافهما * ولم يتعقب من تلك الدرة بأنها صارت يتيمة * ولا رق لأمهما التي خربت ديارها لكونها مخدرة كريمة * ولم تكن له مدافع * ولا عنهما ممانع * فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه * فلم تطب نفس أحد أن تمتد يده بمكروه إليه * ومضى على ذلك مدة * والخلق بسبب هذه القضية في ضيق وشدة * حتى رجل واحد أسود * كأنه للبلاء مرصد * وكأن الشياطين له عبيد * والعفاريت له جنود وحفدة * ونوب ليل القهر من سواده انتسج * واصل الشجرة التي طلعها كأنه رؤس الشياطين من حبة فؤاده نبت فنتج * يستدل عند صدى صوته حوادث النيران * ويستحسن عند خيال صورته مشاهدة الغيلان * قلت

* شعر *

* زبانية النيران تكره وجهه * وحين تراه تستعيذ جهنم *

قد نزع الله من قلبه المرحمه * وجبل فؤاده على المأثمة * فاغتره

في أن يختلها * ويقتلها * وكانت عين سليمان خان رملا *

وقد سكن في حجر دايته وتهدا * فدخل عليه ذلك الظالم

من ساعته * واغتاله وهو راقد في حجر دايته * ضربه في جنبه

بخنجر * انفذه من الجنب الآخر * فارتفع الضجيج والولولة * ووقع

العجيج فى الناس والزلزلة * وعم المأتم امه الوالهة واهلها * وطفق

الناس يبكون عليها ولها * والظاهر ان هذه الامور * كانت باشارة

تيمور * وعسكر ذلك الظلوم الكفار * ما كان يخلو عن مثل هذه الشرور

والاشرار * ولو كان فاعله من غيرهم * لكن لعلة المصاحبة

والمرافقة كان بسير بسيرهم

* حكاية *

لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيرة * كان مع واحد منهم اسيرة *

كشفت ايدى النوائب قناع عصمتها ولطمتها * وطى يدها بنت لها

وَضَعَ فَقَطَعْنَهَا * فَلَمَّا قَرُبُوا الى حَمَاه * جَعَلَتِ الْبِنْتُ تَأَنُّ انِينَ الأوَّاه *
وَالِهاً بِهَا مِنَ المَضَضِ المُبْكِي * تَتَنَهَّدُ وَتَبْكِي * وَمَعَهُمْ جَمَّالٌ مِنْ بَغْدَاد *
مَنْطُوٍ عَلَى الْفَسَادِ * مُحْتَوٍ عَلَى النَّكَادِ * مَجْبُولٌ عَلَى الغَلَاظَةِ وَالقَسَاوَة *
مَعْمُولٌ مِنَ الفَظَاظَةِ وَالغَبَاوَة * مُتَبَرِّئٌ مِنَ الْبِنَا * مُنْضَلِعٌ مِنَ الأَذَى *
لَمْ يَخْلُقِ اللهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ شَيْئاً فَيَنْتَزِع * وَلَمْ يُودِعْ لِسَانَهُ
لَفْظاً مِنَ الْخَيْرِ فَيُسْتَمَع * فَأَخَذَ تِلْكَ الْبِنْتَ مِنْ أُمِّهَا * فَدَارَ فِي وَهْمِهَا
أَنَّهُ إِنَّمَا أَخَذَهَا لِيُخَفِّفَ مِنْ غَمِّهَا * وَكَانَتْ رَاكِبَةً عَلَى جَمَل * ثُمَّ انْقَطَعَ
سَاعَةً عَنِ الثِّقَل * ثُمَّ وَصَلَ وَيَدُهُ خَالِيَة * وَقَهْقَهَتُهُ عَالِيَة * فَاسْتَخْبَرَتْهُ
أُمُّهَا حَالَهَا * فَقَالَ مَا لِي وَمَا لَهَا * فَهَوَى عَقْلُهَا وَوَهَى * فَطَرَحَتْ نَفْسَهَا
وَنَحَتْ نَحْوَهَا * فَأَخَذَتْهَا وَانْقَلَبَتْ * وَأَتَتْ بِهَا وَرَكِبَتْ * فَتَنَاوَلَهَا
مِنْهَا مَرَّةً أُخْرَى * عَلَى أَنْ لَا يَسُومَهَا ضُرًّا * ثُمَّ غَابَ عَنْهَا وَرَجَعَ *
وَقَدْ صَنَعَ كَمَا صَنَعَ * فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا ثَانِيَة * وَعَدَتْ إِلَيْهَا ثَانِيَة * وَجَاءَتْ
وَهِيَ عَانِيَة * وَقُطُوفُ حَتْفِهَا دَانِيَة * فَرَكِبَتْ وَأَخَذَتْهَا * وَوَضَعَتْهَا
عَلَى كَبِدِهَا الَّتِي مِنْهَا فَلَذْتُهَا * فَأَخَذَهَا مِنْهَا مَرَّةً ثَالِثَة * بِنِيَّةٍ
فِي الفَسَادِ عَابِثَة * وَحَلَفَ لَهَا يَمِيناً حَانِثَة * أَنَّهُ يَحْمِلُهَا وَيَنُوء * وَلَا يَمَسُّهَا

بسوء * فحملها ساعة * ثم خرج عن سنة الجماعه * ورمى بها في بعض

الابطاح * ومثل بها ما فعله اليهودي بصاحبة الاوضاح * وجاء

ويك الدامغه * بالاثم ملآنة ومن البنت فارغه * وقد سلبها سالبها * وجلب

الى امها جليبها * فاطرحت نفسها باكيه * ورامت الرجعى جاريه *

فقال لها لا تتعبي * كفيتك هما فارجعي واركبي * فبكت وصاحت *

وانت وناحت * ووقعت في العناء وان كانت استراحت * والناس

على دين ملوكهم * سالكون طرائق سلوكهم *

سبب دخوله الى عراق العرب * وان كان ايذاؤه لا يحتاج الى علة وسبب

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم * ودانت له الملوك والامم *

وانتهت مراسيمه الى حدود عراق العرب * غضب السلطان احمد صاحب

بغداد واضطرب * فجهز جيشا عرمرما * وجعل رئيسهم اميرا مقداما

مقدما * يدعى سنتائي * فتوجه الجيش نحو الجغتائي * فبلغ

تيمور خبر الجيش وخبره * فسر بذلك قلبه وانشرح صدره * فجعل

ذلك سببا لها وشنه * وذريعة لمحاربة ملك العراق ومناوشته *

وانفذ جيشا كرارا * بل بحرا زخارا * فتلاقيا بمعلق نبه * على مدينة

سلطانيه * فصل في كل منهما صاحبه الضرب * وسدد نحره اسنة الاسنة
وسهام الحرب * واستمد بحر الجغتائي من امواج امواجه واصطلم *
فانكسر في قساطله فئات جند منتائي فانهزم * ووصل كلهم الى بغداد *
وتشتتوا في البلاد * فالبس السلطان احمد منتائي المقنعه * واشهره
في بغداد بعد ان ضربه واوجعه * وكف تيمور عن عناده * وقفل
متوجها الى بلاده *

ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر * وهدو ذلك البحر المائر * لتطمئن منه
الاطراف فيحطمها كما يريد ويديربها الدوائر *

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها * وجعل يتنقل في جوانبها
ونواحيها * وبنى حواليها قصبات * سماهن باسماء كبار المدن
والامهات * وقد صفت له سمرقند وولاياتها * وممالك ما وراء
النهر وحصانها * وتركستان وما خلفها من البلاد * ونائبها من جهته
يدعى خداداد * وخوارزم التي بها فتك وسطا * وكاشغر وهي في ثغر
ممالك الخطا * وبلخشان وهي ممالك على حدة * عن ممالك سمرقند
مباعدة * واقاليم خراسان * وغالب ممالك مازندران *

وَرستمدار وزابلستان وطبرستان * والرّي وغزنين واستراباد *
وسُلطانيّة وسائر تلك البلاد * وجبال الغُور المنيعة * وعراق العجم
وفارس الشامخة الرفيعة * وكُلّ ذلك من غير منازع * ولا مُجادِل
ولا ممانع * وله في كُلّ مملكة من هذه الممالك ولد *
او ولد ولد او نائب معتمد *

نموذج مما كان يغور * ذلك الظلوم الكفور * من عساكره في بحور * ويغوص
على امور * ثم يغور * بشرور ومن جملة ذلك غوصه ما وراء النهر
وخروجه من بلاد اللور *

ثم انه مع اتّساع مملكته * وانتشار هيبته وصولته * وشيوع اراجيفه
في الاقطار * وبلوغ تخاويفه الاقاليم والامصار * وثقل اثقاله *
وعدم اختفاء توجّهه الى جهة وانتقاله * كان يجري في جسد العالم * مجرى
الشيطان من ابن آدم * ويدب في البلاد * دبيب السّمّ في الاجساد * فلتعم

* شعر *

* يصوب يمنة ويصيب يسرة * وينوي جبهة والقصد نثرة *
بيا بكون له في المشارق بيارق فيالق * اذ لمع له في المغرب بوارقه

بوائق * بينما نغمات طبوله وضربات أعواده تقرع في حصار العراق
واصبهان وشيراز * واذا برنات أوتاره وبوقات أبواقه تسمع
في مخالف الروم ومقام الرهاوي وركب الحجاز * فمن ذلك انه مكث
في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين وعمارة القصور * وقد أمنت
منه البلاد واطمأنت الثغور * فلما انتهت أموره * وبلغ الكمال
قصوره * أمر بجمع جنده * الى سمرقند * ثم امرهم ان يصنعوا لهم
قلانس ابتدعها * وطي صورة من التركيب والتضريب اخترعها *
فيلبسونها ويسيرون * وما بين الى اين يسيرون * ليكون ذلك لهم
شعارا * وقد كان أرصد له في كل جهة من ماليه خشارا * ثم رحل
عن سمرقند * واشاع انه قاصد خجند * وبلاد الترك وجند * ثم انه
اندمس * في دردور عسكره وانغمس * كأنه في لجة بحر انغمس *
ولم يشعر احد اين عطف * ولا انى قصد المختطف * ولا زال في تأويب
وإسآد * وجوب بلاد بعد بلاد * يجري جري المراكب * ويسير سير
الكواكب * ويطرح ما وقف وكل من نجائب الجنائب * حتى بلغ
من بلاد اللور * ولم يكن لاحد به شعور * وهي بلاد عامرة * خيراتها

متكاثرة * وفواكهها وافرة * اسم قلعتها بروجرد وحاكمها عز الدين العباسي * وقلعتها وان كانت في الحضيض لكن كانت تسامي بمناعتها حصون الجبال الرواسي * وهي مجاورة همذان * ومناظرة عراق العرب كاذربيجان * فاحاط بالقلعة وما حواليها وحاصر مالكها المولي عليها * ولما كان صاحبها بلا عدد * ولا عدد ولا اهبة ولا مدد * وكان في صورة المتوكل المحتسب * واتاه البلاء من حيث لا يحتسب * لم يسعه الا طلب الامان * والانقياد له والاذعان * فنزل اليه وسلمه قيادة * فقبض عليه وضبط بلاده * ثم ارسله الى سمرقند وحبسه * وضيق عليه نفسه ونفسه * ثم بعد ذلك بمدة حلفه ورفع عنه ما نابه * وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى بلاده واسنانا به * ولما استخلص ذلك الكفور * ولا يات تلك الكفور * واصل السير الى همذان * في اقرب زمان * فوصل اليها واهلها غافلون * فجاءها الباس بياتا اوهم قائلون * فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى * وكان عند الملوك مصطفى ولديهم مرتضى * فشفع فيهم فشفعه على ان يبذلوا مال الامان * وبشروا باموالهم ما من عليهم

به من الارواح والابدان * فامتثلوا امره وفعلوا * ووزعوا ذلك

مجموعة والى خزائنه نقلوا * فلما عنه نفسه الجانبه * ان طرح عليهم

المال مرة نائبه * فخرج اليه ذلك الرجل الجليل * ووقف في مقام

الشفاعة مقام البائس الذليل * فقبل شفاعته * ووهبه جماعته *

ثم انه سلك بمكانه وجثم * حتى تلاحق به عسكره والتأم *

ابتداء تخريب ذلك الخرب * اذربيجان وممالك عراق العرب *

ولما بلغ السلطان احمد بن الشيخ اويس * ما فعله بغنم رعايا جيرانه

اللور وقصد ان ذلك الاويس * علم انه لا بد له من فصل مملكته

ودماره * لانه هو باداه بالشر وطرح على شراره طائر شراره *

وان عسكره وان كان كالسيل الهامر فانه لا مقاومة له بحره ونباره *

وانه اذا جاء نصر الله بطل نهر عيسى * ولا مقابلة لسحرة فرعون

مع عصا موسى * قلت * شعر *

* السيل يقلع ما يلقاه من شجر * بين الجبال ومنه الصخر ينفطر *

* حتى يوافي عباب البحر تنظره * قد اضمحل فلا يبقى له اثر *

فاستعد للبلاء قبل نزوله * وتأهب له قبل حلوله * مشمر للهزيمه *

وعلم ان اباته ما لالنصف الغنيمه * واقتصر من بسيط فقه المعاتبة والمقابلة على الوجيز * وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق وتبريز * وقال لنفسه النجاء النجاء * وجهز ما يخاف عليه من صحابة السلطان طاهر الى قلعة النجاء * وارسل الى امورا لاسعار في الهيجاء *

فمن ذلك ما ترجمته وهو * شعر *

* لئن كانت يدي في الحرب شلا * فرجلي في الهزيمة غير عرجا *

ثم قصد البلاد الشامية * وذلك في سنة خمس وتسعين وسبعمائة * في حيوة الملك الظاهر ابي سعيد برقوق رحمه الله تعالى * فوصل تيمور الى تبريز * ونهب بها المال الذليل والعزيز * ووجه الى قلعة النجاء العساكر لانها كانت معقل السلطان احمد فيها ولده وزوجته والذخائر * وتوجه هو الى بغداد ونهبها * ولم يخربها ولكن سلبها سلبها * وكان الوالي بالنجاء رجلا شديد الباس يدعى التون * عند السلطان احمد مأمون وله اليه ركون * ومعه جماعة من اهل النجدة اولي البأس والشدة * نحو من ثلثمائة رجل في العدة * وكان ينزل تيم التون * اذا جن الليل في السكون * ويشن الغارة على عساكر

والمكان المسكون * فوفد امراء العسكر * فابلغوا تيمور هذا الخبر * فامدهم بنحو اربعين الف مقاتل مشهور * مع اربعة امراء كبيرهم يدعى قبلغ تيمور * فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون فيها * وكان قد خرج الناس للغارة على من في ضواحيها * فبينا هو راجع اذا بالنقع ساطع * فلما اطلع طلع الخبر * قال اين المفر * فقيل كلا لا وزر * فعلم انه لا ملجأ من الله الا اليه * فثبت جاشه وحاشيته وتوكل عليه * وقال ان الرؤس في مثل هذا المقام * انما يكونون تحت الاعلام * فاحتثوا نحو قلب هؤلاء اللئام * فاما ان تبلغوا او تموتوا على ظهور الخيل وانتم كرام * اذ لا ينجيكم من هذا الكرب * يوم الطعن الصادق والضرب * قلت * شعر *

* كريما مت والا مت لئيما * فما والله بعد الموت موت *

فتعاضدوا بهمة صادقه * وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى واثقه * وقد احاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكه * وصاروا في وسطهم كالمغزل في الفلكه * وقصدوا الراية وحامليها * ومن يليها وذويها * فساعدهم ساعد اللحيان بنصرته * وحل عنهم القبض الداخل

انكمش عقلته * فاسبلوا على راياتهم ذات البياض من الدماء حمرة *
وفتحت لهم بحبهم طرائق الى عتبة النصرة * فلاح لهم فلاح * ونجح
لهم نجاح * فنجوا من الشرور * وحصل لهم السرور * بعد ان قتلوا
من العسكر اميرين احدهما قبلغ تيمور * ولما وصل هذا الخبر اليه *
اسودت الدنيا في عينيه * بل انقلب الكون والمكان عليه * ثم نهض
اليها بنفسه * وربض عليها بحرسه * واحاط بجوانبها * والقم
الحرس افواه مضاربها *

صفة قلعة النجاء

وهذه القلعة امنع من العقاب * وارفع من السحاب * يناجي السماك
سماكها * ويباهي الافلاك استمساكها * كأن الشمس في شرفها *
ترس من الابريز على بيض شرفها * وكأن الثريا في انتصابها * قنديل معلق
على بابها * لا يحوم طائر الوهم عليها * وانى يصل طائش السهم اليها *
ولا يعلق بخدم خدمتها اخلخال خيال وافتكار * فضلا ان يتعلق على معصم
عصمتها من عساكر الاساورة سوار * وكان التنين قد تربى في ترائب
ترابها * واهل مكة اخبر بشعابها * فصار كلما سجى الليل الساجي * وارسل

لسراق الشياطين عيونه الرواجم * مبطحن تلك القلال * وسرى
سرى طيف الخيال * ودب دبيب الشحم فى اللحم والماء فى العود
والنار فى الفحم * من درب لم تتوهمه الظنون * بعون من لا تراه
العيون * بحيث لا يشعر به الحرس * ولا يبصره العسس * ولا يزال
يتلو عليهم آيات الاغفاء * وينفث بطلسماته الاستخفاء * ويتعرف
ويترقب * حتى يلوح له فى الحي مضرب * فيقتل ويسلب * وينهب ويهرب *
فيكر سالما * ويفر غانما * فلم يزل ذلك دأبهم ودابه * حتى اعجز تيمور
واصحابه * فلم يرتيمور اوفق من الارتحال * لضيق المجال * وعسر
المنال * فارتحل عنها بعد ان رتب عليها للحصار اليزك * واستمر
الحصار مدة طويلة والقضاء يقول له اصبر فانها لن تعجزك * قيل انها
مكثت فى الحصار اثنتى عشر سنة * وسبب اخذه لها ان التون
المذكور * كان له اخ بالفسق مشهور * فحصل بينه وبين ام السلطان
طاهر * خيانة اوجبت عليهما ما يجب على العاهر * فاطلع على ذلك
طاهر بن السلطان احمد * فقبض عليهما وقتلهما سالكا فى ذلك الراى
الاحمد * وكان اذ ذاك التون عن القلعة غائبا * قد خرج منها

وقصف الغارة جانبا * فلما رجع النون اغلقوا باب القلعة عليه * ورموا بالخيم من فوق السور اليه * واخبروه خبره * وعجره وبجره * فقال جزاكم الله احسن الجزاء * وجعل حظكم من الخيرات اوفر الاجزاء * لو كنت عالما فعله * او حاضرا قتله * لعاملته بما هو اهله * وفعلت به ما يجب فعله * واحللت به من الزمان دواهيه * ولاريتكم العبر فيه * ولا شهرته في خلق الله تعالى و بريته * ونا ديت عليه هذا جزاء من يخون ولي نعمته * ثم طلب الدخول * فقطعوه عن الوصول * فقال اما اخي فانه جنى فذاق ثمرة ما جناه * واما انا فقلبي على الوفاء بعهدكم من الازل الى حين وفاة * ولم ازل موالي وليكم * ومعادي عدوكم * فان طردتموني فالى اين اذهب * وان رددتم رغبتي فيكم ففيمن ارغب * فقالوا ربما ادركتك الحمية * ولحقتك العصبية * فتذكرت اخاك * وتفكرت شدتك بعد رخاك * فنقمت * وانتقمت * واعوججت بعد ما استقمت * وتكدر منك ما صفا * ونا هيك قصة الاخوين مع ذات الصفا * وقلت

* شعر *

* ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه * ولكنه يمني به عقدة الربط * فانشأ لهم ايمانا واثقه * ان كلماته وعهوده صادقة * فقالوا له لا نطل فما حبيت * ما لك عندنا مقيل ولا مبيت * فارجع من حيث جئت * وهذا آخر العهد منك غبت ام رغبت * فاخذيل م دهرة * ويأكل يده ندامة وحسرة * على انه ابعد عمره * في طاعة من لم يعرف قدره * ثم دني فتدلى * وعبس وتولى * وسيب فرسه وماله * وفرق حبله ورجاله * ولما لم تكن له ملجا * سوى قلعة السجا * وقد خرجت من يده * والتقت النار في كبده * ضرب اخماسا لاسداس * فيمن تعصده من الناس * ثم اوى برأيه الزنك * ان تعصد ملك ننة مرند * وكانت تحت حكم تيمور * وفيها اوامره تمور * فسالمها * رقصد حاكمها * لابسا لبدا * وتاركا مالا وولدا * ولما اتصل بحاكمها الخبر * احاط به الجبن والخور * فاضطرب واقشعر * واضطرم وا عسكر * واخذ الحذر * ورام المفر * فقيل انه وحده * من غير رجال وعدد * فرجع عقله اليه * ودخل اللون عليه * فاخذ في التفتيش عن اموره * ثم قطع رأسه وارسله الى تيموره * فتحرق لذلك

وانتكى * وتأسف عليه وبكى * وارسل الى قاتله بعزله * ثم صادره
وقتله * ثم ان السلطان طاهرا لما احدث هذا الحدث * وتنجس
بهذه الخبائث والخبث * لم يمكنه الاقامة فاذن بالرحيل * وامر
جماعته قبله التحويل * اذ نشز عنه مخدرات القلعة فعجز
عن احصان تحصينها * وعنن في افتضاض ابكارها وعونها * وقل جيشه
وانفل * فسلم مناعه منها وانسل * فدل لتيمور معانيها *
وفتح له من غير معالجة بابها * فولى فيها من يثق به من الاعوان * ووصل
به لعلة المجاورة الشيخ ابراهيم حاكم شروان * ثم ثنى عنان الفساد *
الى صوب بغداد * فهرب السلطان احمد كما ذكر الى الشام في فئة *
وذلك في شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة * فوصل اليها حادي
عشره يوم السبت * فكبتها ومن حواليها اي كبت *

ذكر اخبار صاحب بغداد * واسماء آبائه
والاجداد * وكيفية دخوله الى هذه البلاد *

وهو السلطان مغيث الدين احمد بن الشيخ اويس بن الشيخ حسن بن
حسين بن اقبغا بن ايلكان * صاحب بغداد واذربيجان * وما اضيف

الى ذلك * من ولايات وممالك * وايد كان جدة الاطى ابى القان الكبير النجيب * شرف الدين سبط القان ارغون بن ابى سعيد * كان والدة الشيخ اويس * من اهل الديانة والكيس * ماكا عادلا * وا ماما شجاعا فاضلا * مؤيدا منصورا * صابرا مشكورا * قليل الشر كثير البر * صورته كسيرته حسنة * وكانت دولته تسعة عشرة سنة * وكان محبا للفقراء * معتقدا للعلماء والكبراء * وكان قد ابصر في منامه * لوقت موافاة حمامه * ثم صدر هو وقبيله عن ولايته بغداد قاصدين دار بكر بارزنجان فاستعد لحلول فوته * ورصد نزول موته * وخلع من الملك يده * وولاه حسينا ولده * وهو اكبر بنيه * والافضل من اهله وذويه * ونبذ ادانيه ودنياه * واقبل على طاعة مولاه * واستعطفه الى الرضى * والعفو عما مضى * ولازم صلوته وصيامه * وزكوته وقيامه * ولازال يصلي ويصوم * حتى ادركه ذلك الوقت المعلوم * فاظهر سره المصون * وتلا اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * فدرج على هذه الطريقة الحسنة * وقد جاوز نيفا وثلاثين سنة * ومن مغرب تبريز افل قمره * وفي سنة

ست وسبعين وسبعمائة وصل الى الشام خبره * واستقر ولده جلال الدين حسين مكانه * وافاض على رعيته فضله واحسانه * وكان كريم الشمائل * جسيم الفضائل * وافر الشهامه * ظاهر الكرامه * اراد ان يمشي على سنن والده * ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاهده * فخذلته الاقدار * وخالطت صفو مساعيه الاكدار * وفي سنة ثلث وثمانين وسبعمائة وصل من قصاده الى الشام فئة * وهم القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين سليمان العبايقي الشافعي * قاضي بغداد وتبريز والصاحب شرف الدين ابن الحاج عز الدين الحسيني الواسطي * وزير السلطان وغيرهما * ثم في جمادى الآخرة من هذه السنة وثب السلطان احمد على اخيه المشار اليه فقتله * وقام لينصر الملك والدين مكانه فحل له * فملأ جفن حيوته من الفناء سنه * وعمره اذ ذاك نيف وعشرون سنة * ولما استولى السلطان احمد على ممالك العراق * مد يد تعديه وضم جناح الشفقة والارفاق * وشرع يظلم نفسه ورعيته * وتلذذ بالجور والفساد يومه وليلته * ثم بالغ في الفسق والفجور * فنهاهم

بالمعاصي وتظاهر بالشرور * واتخذ سفك الدما * الى سلب الاقراض وثلم الاعراض سلما * فقيل ان اهل بغداد مجوره * واستغاثوا بتيمور فاعبثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فلم يشعر الا والتتار قد دهمته * وساير الجغتائي خيلا ورجلا حطمته * وذلك يوم السبت المذكور من الشهر المشهور فاقتحموا بخيله ورجله وقصدوا الاسوار * ولم يمنعهم ذلك البحر التيار * ورماهم اهل البلد بالسهام * وعلم احمد انه لا ينجيه الا الانهزام * فخرج فيمن يثق به قاصد الشام * فتبعه من الجغتاي طائفة لئام * فجعل يكر عليهم ويردعهم * ويفر منهم فيطمعهم * وحصل بينهم قتال شديد * وقتل من الطائفتين عدد عديد * حتى وصل الى الحله * فعبر من جسرها نهر دجله * ثم قطع الجسر * ونجا من ورطة الاسر * واستمرت التتار في عقبه تكاد انوفها تدخل في ذنبه * فوصلوا الى الجسر ووجدوه مقطوعا * فتراموا في الماء وخرجوا من الجانب الاخر ولم يزالوا تابعا ومتبوعا * ففاتهم ووصل الى مشهد الامام * وبينه وبين بغداد ثلاثة ايام *

ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر * في بلاد ارزنجان وديار بكر *

فوصل الى ديار بكر رامتخلصها * ومن ايدي ولاتها خلصها * فعصت عليه قلعة تكريت * فسلط عليها من عساكره كل عفريت * وذلك يوم الثلثاء رابع عشر ذي الحجه * وقد ارتجت منه البلاد اشد رجه * فحاصرها وانفذها في صفر بالامان * ونزل اليه متوليها حسن بن بولتمور متلفع الاكفان * وفي حضنه وطي عاتقه اطفاله * وقد ودعه اهله وماله * واسلمته خيله ورجاله * وذلك بعد ان عاهده ان لا يريق دمه * فارسله الى حائط فنقضه عليه وردمه * وقتل من بها من رجال * وسبى النساء واسرا لاطفال * وجعل يعبث ويستأصل * ويقطع في الفساد ويوصل * حتى اناخ يوم الجمعة حادي عشرين صفر سنة ست وتسعين الى الموصل * فاخربها وكسرها * ثم اتى راس عين ونهبها واسرها * ثم الى الرها تحول * ودخلها يوم الاحد عشرة شهر ربيع الاول * فزاد عبثا وفسادا * وجارى فيما عاث ثمودا وعادا * وخرج من تلك البلد ثاني عشرة يوم الاحد * ثم اختار من نسور قومه طائفه * على ورد الدماء حائمة وطي قتل المسلمين عاكفه * فاخذهم وانحدر * وفي ممالك ديار بكر اغمر * ولم يزالوا بها عائثين * ولاذماراقبين *

وعليها ظالمين * وفيها ماردين * نقصد هاتيك المغارب المصاليت *
وواصل السير اليها فوصل في خمسة ايام من تكريت * ومسافة ما بينهما
للمجد * اثني عشر يوما ان لم ينزد * وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق انه
لا يضر من التجأ اليه * وقدم في توب الطاعة عليه * نما وسعه الا
التشبث بذيل ذممه * والانتظام في سلك خدمه *

ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الطاهر * من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر الماكر *

لكنه خاف غائلته * فجمع حاشيته وصاغيته * وقال اني ذاهب
الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد * فان ردني حسبما اريد فهو
المراد * وان طالبني بالقلعة * فكونوا انتم على التأبي والمنعة * واياكم ان
تسلموها اليه * او تعتمدوا في الكلام عليه * وان دار الامر بين تسليم
القلعة وبين اتلافي * فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافي في تلافي *
فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم * واتى بالهلاك على اولكم
وآخركم * وخسرتم شعاركم ودناركم * وغبنتم انفسكم ودياركم *
واذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم * واقيكم بروحي

ما دهاكم * وبعض الشر اهون من بعض * وها انا اجس لكم النبض *
ثم قصد ذلك الكالح * المفسد الطالح * بعد ما استحلف ابن اخيه
الملك الصالح * شهاب الدين احمد الملك السعيد * اسكندر بن
الملك الصالح الشهيد * ونزل يوم الاربعاء خامس عشرين شهر ربيع
الاول سنة ست وتسعين وسبعمائة * واجتمع به في سلخه بمكان يسمى
الهلالية مقابله بشنعه * وقبض عليه بسرعه * وطلب منه تسليم
القلعه * فقال القلعة عند اربابها * وبيد اصحابها * وانا ما املك
الا نفسي فقد منتها اليك * وقد مت بها عليك * فلا تحملني فوق طاقتي *
ولا تكلفني غير استطاعتي * فاتى به القلعة وطلبها منهم فابوا * فقدمه
اليهم ليضرب عنقه او يسلموها فنادوا * فطلب منه في مقابلة الامان *
من الدراهم الغصبية مائة تومان * كل تومان ستون الفا * خارجا
عما ينقرب به اليه زلفى * ثم انه شد وثاقه * وسد عليه لينذهب عنه
ما به من قوة كل باب وطاقه * وشمر للفساد ذيله * وجعل يربح رجله
ويسمن خيله * ويفوق كاسات فساده * ويعربد على عباد الله
وبلاده * واستمر على ذلك لا يعي ولا يفيق * ويترددما بين الفردوس

الى رسمل ونصيبين والموصل العتيق * ثم امر عساكره في جمادى الاخرة ان يمردوا قاصدين * ويقصدوا ماردين * فسابقوا الطير * ولاحقوا السير * وجاوزوا بالنهار الانهار * وبالليل السيل فقطعوا فقار القفار * قطع الهندي * وعملوا في تلك الجبال والتلال بما قاله الكندي * وهو * سموت اليها بعد ما نام اهلها * سمو حباب الماء حالاً على حال * فوصلوا اليها على غفلة * واحتووا عليها من غير مهلة وذلك يوم الثلثاء ثاني عشره * وقد سل الصبح حسام فجره * وطار غراب الدجى عن وكره * فصادروا ربضها بتلك الاسوار * واحلوا الذل ما رها تيك الديار * فعموها رجفا * وساموها خسفا * وهدوها زحفا * ودكوها وجفا * وتعلقوا باهداب ارجائها * وتسلقوا بالسلالم من ارضها الى سمائها * وكان متسلقهم على الاسوار * من القبلة رابية اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار * فاخذوا المدينة عنوة وقهرا * وملأوها فسقا وكفرا * وترفع اهل المدينة الى القلعة * ولم يكره احد سواهم علوا المنزلة والرفعة * واكوهنوا ملتجئين الى قرار دونها وخوا فيها * وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها *

فقتلوا من ظفروا به ذكراً وانثى صغيراً وكبيرا * ولم يرتضوا بما فيها نهباً وبمن فيها اسيرا * فجاءك بعض الناس واظهر لهم بعض الجلادة * واراد بتثبيته لهم ان يضم الجهادة الى الشهادة * ولا زالت آيات القتال عليهم تتلى * حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى * واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس * الى ان صار اليوم امس * وحين التقى على وجنتي الكون عارضا الليل * واستوفى اولئك المطففون من ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل * وبادرتون الظلام * يونس الشمس بالانتقام * طرأ على تلك الحركات السكون * فتراجعوا ونزل العسكر مقابل عربون * وقد قتل من العسكرين ما سبق العدد * واكثرهم كان من اهل البلد * فباتوا يعدون السلاح ويتفقدونه * وينتظرون الصباح ويستبطونه * الى ان شق الليل مكتوم جيبه * واظهر الظلام مكنون غيبه * وامر الكون وجه النهار ان يضرب على جنبي الآفاق اطراف شيبه * بكروا بكور الغراب * وبدروا الى الحراب والخراب * وعصروا اهل المدينة وحاصروها اشد حصر * وهدموها واسوارها من الظهر فمحوا آثارها بعد العصر * ثم باؤا بالآثام *

وقد انتشر كظلمهم الظلام *

ايضاح ما اخفاه من الحيله * وصلود زند تلك الافكار الوبيله *

ولما آب ليله بالخيبه * ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه * شحذ فكرا

وحدد سكرا * وتاب عن المقابحه * وثاب الى المصالحه * فردع ذلك

الخبيس * في نهار ذلك الخميس * وارسل اليهم يقول * ضمن كتاب

مع الرسول * نعلمكم اهل قلعة ماردين * الضعفاء والعجزة المساكين *

اننا قد عفونا عنهم واعطيناهم الامان على نفوسهم ودمائهم فليأمنوا

وليضاعفوا لنا الادعية وهذه الرسالة نقلتها كما وجدتها * فما استتب

كيده * ولا انجح قصده * لان رصدها كانوا غيورا قد بين * وشيباً وشبان

حرسها كانوا كهي ما ردين * فارتحل ذلك البلية * بكرة السبت

الى البشيرية * وارسل الى امير الجنود * مع امير دن على سلطان

محمود * فتوجه بجيش طام * وحاصرها خمسة ايام * وارسل

يستمده عليها * فتوجه بنفسه اليها * واحلها الهوان * فطلبوا

الامان * فامن البواب * ففتح له الباب * فدخل من باب الذل * ووضع

السيف في الكل * فابادا الجميع * العاصي منهم والمطيع * واسروا

الصغار * وهتكوا استار الحريم وحرم الاستار * واذاقوا الناس * لباس الباس * والتجى بعض الناس الى الجامع * فقتلوا منهم نحوا الفى ناجل وراكع * ثم حرقوا الجامع * ورحلوا وتركوها بلاقع * فهداه ابليس * الى قلعة ارحيش * ثم بادر بالتحريك * وحط على قلعة اونيك * ونبها مضر بن قراحمد امير التركمان * فحاصروه واخذها بالامان * وذلك فى سنة ست وتسعين وسبعمائة بعد عيد رمضان * ثم قتل كل من كان بها من الجند * وصير مضرا الى سمرقند *

* فصل *

ثم استصحب الملك الطاهر بسوء نيته * ورحل سابع ذى القعدة سنة ست وتسعين وسبعمائة وحبسه في مدينة سلطانية * وحبس عنده من امرائه الامير ركن الدين * وعز الدين السليماني واسفنبوغا وضياء الدين * وضيق عليه بان يقطع عن اهله خبره * بحيث لا يدرى احد عجره وبجره * ولما تحتم شد الوثاق * قصد التوجه الى دشت قفجاق * فاجرى نحوها ما اقام من الفتنة على قدم وساق * ومكث الملك الطاهر سنة * لايدرى احد خبره في يقظة ولا سنة * ثم وقعت

المملكة الكبرى الى سلطانيه * وخففت عنه ما به من ضيق وبليه * وفسحت له في مراسلة جماعته * وحرضته على طلب الدخول في رضى تيمور وطاعته * زاعمة انها ناصحة له وطالبة مصلحته * وكان ذلك من مكائد تيمور وبا شارته * ثم رجع تيمور من الدشت في شعبان سنة ثمان وتسعين فمكث بسلطانية ثلاثة عشر يوماً ثم توجه الى همذان * ومكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان * ثم استدعى من سلطانية الملك الطاهر * باكرام تام وانشراح صدر وخاطر * ففكوا قيوده وقيود متعلقيه * وعظموه غاية التعظيم مع ذويه * وتوجه اليه يوم الخميس خامس عشره * ودخل عليه يوم السبت سابع عشره * فتلقاه بالاحترام واعتنقه * واذهب عنه دهشه وقلقه * وقبله في وجهه مراراً * واعتذر اليه مما فعله معه جهاراً * وقال له انك لله ولي * ورفيع القدر كابي بكر وعلي * وتحلل منه * عما صدر في حقه عنه * واضافه ستة ايام * وخلع عليه خلع الملوك العظام * واحله محلاً جميلاً * واعطاه عطاء اجزيلا * من ذلك مائة فرس وعشرة بغال * وستون الف دينار كبكية وستة جمال * وخاما مزركشة مكلله *

والنعامات وافرة مكمله * ولواء انخفق على رأسه منصورا * وستة وخمسين منشورا * كل منشور بتولية بلد * وان لا ينازعه فيه احد * اول ذلك الرها الى آخر ديار بكر * الى همذان واذربيجان وارمنية وكل ذلك من البلاد والمكر * وان جميع حكام تلك البلاد يكونون تحت طاعته * معدودين في جملة خدمه وجماعته * يحملون اليه الخراج والخدم * ولا ينقلون الا عن امره قدما عن قدم * بحيث يكون شخص كل من مجاوريه بما افاء الله لظله فيأ * ويعفي هو فلا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيأ * وهذا وان كان في الظاهر كالاكرام * فانه فيما يؤول اليه وبال عليه وانتقام * وفيه كما ترى ما فيه * والقاء العداوة بينه وبين مجاوريه * وينجر ذلك الى ان يلتجي اليه * ويعول في كل اموره عليه * ويدخل لكثرة الاعداء تحت ضبنه * فيصل اذ ذاك منه الى حضنه * ثم انه شرط عليه * انه كلما طلبه جاء اليه * ثم عانقه وودعه * وامر امراءه بتشييعه فخرج من الضيق الى السعة * ثالث عشرين شهر رمضان ليلة الجمعه * سنة ثمان وتسعين وسبعمائة فوصل الى سلطانيه * في حيثية رضية * وحالة

هنيه * ثم عزم على تبريز * في جحفل نفيس عزيز * واجتمع بأميران شاه * فزاد في إكرامه وعطاياه * وشيعه في احسن هيئة وايمن طور * فجاء على وسطان وبدليس وأرزن الى الصور * ووصل حمزة الى قبائله والعشائر * فابتهج الناس ودقت البشائر * فوصل يوم الجمعة حادي عشر بن شوال * وخرج أهل المدينة والاكابر للاستقبال * وسبق الناس وليّ عهده * الملك الصالح * فدخل المدينة بفال سعيد وامر ناجح * وتوجه الى مدرسة حسام الدين * وزار والده واموا ته الماضين * وعزم على ترك التخت المنيف * والتوجه الى الحجاز الشريف * فلم يتركه الناس خاصة وعامة * وترامَوا عليه وقبلوا اقدامه * فصعد الى محل كرامته * واستقر في كرسي مملكته * ولهيأتي لهذا الشان مزيد بيان * وما جرى من الامور * عند قدوم تيمور * وحلول عسكره اللئام * ماردين بعد خرابهم ممالك الشام * قيل لما استقر الملك الطاهر في مملكته * اجتمع عنده جماعة من ادباء ندماء حضرته * فاقترح عليهم ان يقولوا في ذلك شيأ فقال ازلا

بدر الدين حسن بن طيفور *شعر*

* طغى تمر واسنا صل الناس ظلمه * وشاعت له في الخافقين الكبائر *

* لقد زاد بغيا فافرحوا بزواله * لان على الباغي تدور الدوائر *

فقال ركن الدين حسين بن الاصغر احد الموقعين ثانياً * شعر *

* كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن واغتنموا *

* فسلموا الامر لما ان رأوا خطرا * لذي الجلال فلما سلموا سلموا *

فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثاً *

* شعر *

* وبل حيوة المرء كاليوم في غد * فخبرته ان لا يزيد على الحد *

* ولا بد من نقص لكل زيادة * وان شديد البطش يغمض للعبد *

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني احد الموقعين رابعا دوبيت *

* شعر *

* لا تحزن فالذي قضى الله يكون * والامر موكل الى كن فيكون *

* ما بين تحرك بلحظ وسكون * الحالة تنقضي وذا الامر يهون *

فاعجبه ذلك واجازة خمسة آلاف درهم * وصرفه والله اعلم *

ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق * وتوجهه الى مهامه قفجاق * ووصف

ملوكها ومما لكها * وبيان ضياعها وممالكها *

ثم انه رجع من عراقي العرب والعجم * وقد ثبتت له في ممالكها اية قدم *
وذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابراهيم * وسلمه مقاليد ما بيده
من اقاليم * فتقلد طوق عبوديته * ووقف في مواقف خدمته *
وانتظم في سلك عبيده * واحله محل ولده * وسنذكر كيف تغرب عليه
ومن اي طريق تقرب اليه * فقصد دشت قفجاق * وجد في الوخد
والاعناق * وهو ملك فسيح * يحتوي على مهامه فيح * وسلطانها توقتاميش
وهو الذي كان في حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجاليش *
اذ هو اول من بالعداوة بارزه * وفي بلاد تركستان واقفه وناجزه *
وانجدة في ذلك كما مر للسيد بركه * وبلاد الدشت تدعى بلاد قفجاق
ودشت بركه * والدشت باللغة الفارسية اسم للبرية * وبركة
المضاف اليه هو اول سلطان * اسلم ونشر بها رايات الملة الاسلامية *
وانما كانوا عباد اوثان * واهل شرك لا يعرفون الاسلام
والايمان * ومنهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان * فتوجه
الى ذلك الاقليم * من طريق الدربند الجاري تحت حكم الشيخ

ابراهيم * وهو سلطان ممالك شروان * ونسبه متصل بالملك كسرى
انوشروان * وله قاض يدعى ابا يزيد * يفضل على جميع اركان
دولته بالقرب اليه ويزيد * هو دستور مملكته * وقطب فلك سلطنته *
فاستشاره في امر تيمور وما يفعله * ايطيعه ام يتحصن منه ام يفر
ام يقاتله * فقال له الفرار في رأيي اصوب * والتحصن في الجبال الشواهق
اوثق عندي وانسب * فقال ليس هذا برأي مصيب * انجو انا واترك
رعيتي ليوم عصيب * وما ذا اجيب يوم القيامة رب البرية * اذا رعيت
امورهم واضعت الرعية * ولا عزمت ان اقاتله * وبالحرب والضرب
اقابله * ولكنني اتوجه اليه سريعا * وامثل بين يديه سامعا لامره
مطيعا * فان ردني الى مكانتي وقررني في ولايتي * فهو قصدي وغايتي *
وان آذاني او عزلني * او حبسني او قتلني * فتكفى الرعية مؤنة القتل
والنهب والاسار * فيتولى اذ ذاك عليهم وعلى البلاد من يختار *
ثم امر بالاقامات فجمعت * واذن للجيوش فتفرقت وتمنعت * وبمدن
الولايات ان تتزين وتتزوق * وبسكانها برا وبحرا ان تأمن فتعامل
وتتأنق * وبالخطب ان تقرأ فوق المنابر باسمه * وبالدنانير والدراهم

ان تضرب بوسمه ورسمه * ثم حمل التقادم والخدم * وتوجه اليه باطيب جاش واثبت قدم * ولما رفد عليه * وتمثل بين يديه * قدم الهدايا والتحف * وانواع الغرائب والظرف * وعادة الجغتاي في تقديمهم الخدم ان يقدموا من كل جنس تسعه * لينالوا بذلك عند المهدى اليه الكرامة والرفعه * فقدم الشيخ ابراهيم من كل جنس من اصناف ما قدمه تسعة * ومن المماليك ثمانيه * فقال له المتسلمون ذلك واين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي العانيه * فاعجب تيمور هذا الكلام * ووقع من قلبه بمكان ومقام * وقال له بل انت ولدي * وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي * وخلع عليه خلعة سنيه * وردة الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه * ثم فرقت تلك الاقامات * وتوزعت الفواكه والطعامات * ففضل منها امثال الجبال * عن ذلك العسكر الذي هو كالحصا والرمال * ثم تركه وسار * الى بلاد الشمال والتتار * وسبب آخر لقصده تلك الممالك * وان كان لا يحتاج الى ذلك * ان الامير ايدكو كان عند توقتاميش احد رؤس امراء الميسرة * والاعيان المتخذين في النائبات لدفعها وارباب الراي والمشوره * وقبيلته

قد عين قوبكومات * وقبائل الترك كقبائل العرب واللغات كاللغات *
وكان ايدكوقد احس من مخدومه تغيرا خاطر خاف منه على نفسه *
وكان توقتاميش شديد الباس فخشي منه حلول باسه * فلم يزل منه
متحرزا * وللفرار اذا رأى منه ما يقتضي ذلك مستوفزا * وجعل يراقبه
ويراقيه * ويداريه ويداريه * ففي بعض ليالي السرور * ونجوم
الكاسات في افلاك الطرب تدور * وسلطان الخمرة قد انفذ في اسير
العقل امره * طفح توقتاميش الى ان قال لايدكو * بنور البصيرة نخبر
ريب كو * ان لي ولك يوما * يسومك الخسف سوما * ويوليك عن موائد
الحيوة صوما * ويملأ عين بقائك من سنة الفناء نوما * ففطن لطفه
ايدكو وباسطه * وقال اعيذ مولانا الخاقان * ان يحقد على عبده
ما خان * وان يذري غرا ما هوا نشاه * او يهوي اساسا هو بناه *
ثم اظهر التذلل والخشوع * والتمسكن والخنوع * وتحقق ما كان
ظنه * واعمل في وجه الخلاص ذهنه * واستعمل في ذلك الذكا ء
والفطنه * وعلم انه ان اهمل امره او امهله انه * فمكث قليلا واشتغل
السلطان * ثم انسلت من بين الحواشي والاعوان * وخرج

في لجاجه * كأنه يريد قضاء حاجه * وأتى اصطبل توقتاميش * بجاش
يجيش ولا يطيش * وعمد الى فرس مسرجه * منجية منجبه * أعدت
معده * لكل شده * وقال لبعض حاشيته * المؤتمن على سره من فاشيته *
من اراد ان يوافيني * فعند تيمور يلاقيني * ولا تفش هذه الاسرار *
الا بعد ان تحقق اني قطعت القفار * ثم تركه وسار * فلم يشعر به
الا وقد سبق * وركب طبقا عن طبق * وقطع على انوال السير اطول
الشقق * فلم يدركوا منه الآثار * ولا لحقوا منه ولا الغبار * فوصل
الى تيمور وقبل يديه * وعرض حكاياته واخباره كما جرت عليه *
وقال انت تطلب البلاد الشاحطه * والاماكن الوعرة الساقطه *
وتركب في ذلك الاخطار * وتقطع فقار القفار * وتتلو اسفار الاسفار *
وهذا المغنم البارد نصب عينك * تدركه هنيأ مريا بهينك ولينك *
ففيم التواني والتناعس * وعلام التقاعد والتقاعس * فانهض بعزم
صميم * فانا لك به زعيم * فلا قلعة تمنعك * ولا منعة تقلعك *
ولا قاطع يدفعك * ولا دافع يقطعك * ولا مقابل يقابلك * ولا مقاتل
يقاتلك * فما هو الا اوشاب واوباش * واموال تساق وخزائن بأرجلها

هوانٍ * ولا زال يحرضه على ذلك ويطالب * ويفتل منه في الذروة

والغارب * كما فعل معه عثمان قرايلوك حين جاء الى تبريز بوسواسه *

وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان برهان الدين احمد

ومحاصرة سيواسه * كما يذكر * فتهيأ تيمور بأوفى حركة * الى استخلاص

دشت بركه * وكانت بلاداً بالتتار خاصه * وبأنواع المواشي وقبائل

الترك غاصه * محفوظة الاطراف * معمورة الاكناف * فسيحة

الارجاء * صحيحة الماء والهواء * حشمها رجاله * وجنودها نباله *

افصح الاتراك لهجه * وازكاهم مهجه * واجملهم جبهه * واكملهم

بهجه * نساؤهم شموس * ورجالهم بدور * وملوكهم رؤس *

واغنياؤهم صدور * لا زور فيهم ولا تدليس * ولا مكر بينهم ولا تلبيس *

دابهم الترحال على العجل * مع امان لا يدانيه وجل * مدنها قليله *

ومراحلها طويله * وحد بلاد الدشت من القبلة بحر ملزم الظلوم

الغشوم * وبحر مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم * وهذان

البحران * كادا يلتقيان * لولا ان جبل الجركس بينهما برزخ

لا يبغيان * ومن الشرق تخوم ممالك خوارزم واترار وسغناق *

الى غيرِ ذلك من البلادِ والآفاق * آخذاً الى تركستان وبلادِ الجتا * متوغلاً الى حدودِ الصينِ من ممالكِ المغولِ والخطا * ومن الشمالِ مواضعُ وبراريُ وقفارٌ ورمالٌ كالجبال * وكم في ذلك من تيه * تحير الطير والوحشُ فيه * وهو كرضى اكابرِ الزمانِ غايةٌ لا تُدرَك * ونهايةٌ لا تُسلَك * ومن الغربِ تخومُ بلادِ الروسِ والبلغار * وممالكُ النصارى والاشرار * ويتصلُ بتلك التخوم * ما هو جارٍ تحت حكمِ ابنِ عثمانَ من ممالكِ الروم * وكانت القوافلُ تخرجُ من خوارزمَ وتسيرُ بالعجل * وهم آمنونَ من غيرِ ريبٍ ولا وجل * والى قريم طولاً ومسيرةُ ذلك نحوٌ من ثلاثةِ اشهر * واما عرضاً فهو بحرٌ من الرملِ امدّه سبعةُ ابحر * لا يهتدي فيه الخريت * ولا يقربه من الدعاميصِ كلُّ عفريت * كانت القافلةُ لا تحملُ زاداً ولا عليقا * ولا يصحبون معهم رفيقا * وذلك لكثرةِ الامم * ووفورِ الامنِ والمأكلِ والمشربِ من الحشم * فلا يصدرون إلّا عن قبيلة * ولا ينزلون الّا عند من يكرمُ نزيلَه * وكأنه قيل فيهم *

* شعر *

* من تلقَ منهم تقل لاقيتُ سيِّدَهم * مثلَ النجومِ التي يسري بها الساري *

وأمّا اليوم فليس بتلك الأماكن * من خوارزم الى قريم من تلك الأمم والحشم متحرّك ولا ساكن * وليس فيها من أنيس * الّا اليعافير والّا العيس * وتحت الدشت سراي وهي مدينة إسلاميّة البنيان * بديعة الأركان * وياتي وصفها * وكان السلطان بركة رحمه الله لما أسلم بناها * واتّخذها دارالملك واصطفاها * وحمل أمر الدشت على الدخول في حمى الإسلام ورعاها * فلذلك كانت محلّ كلّ خير وبركة * وأضيفت بعد إضافتها الى قفجاق والى بركة * انشدني لنفسه مولانا وسيّدنا خواجه عصام الدين * بن المرحوم مولانا وسيّدنا الخواجه عبد الملك وهو من أولاد الشيخ الجليل برهان الدين * المرغيناني رحمه الله في حاجي ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة اربع عشرة وثمانمائة وفي يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة انتهت اليه الرياسة في سمرقند قوله وقد قاسى في دروب الدشت انواع النكال *

* شعر *

* قد كنت اسمع انّ الخير يوجد في * صحراء تعزى الى سلطانها بركة *

بَرَكَتْ ناقةٌ ترحالي بجانبها * فما رأيت بها في واحد بركة *

وانشدني ايضاً لنفسه معرضاً بمولانا وسيدنا وشيخنا حافظ الدين

محمد بن ناصر الدين محمد الكردي البزازي تغمده الله تعالى برحمته

في الزمان والمكان المذكورين *

* شعر *

* متى تحفظ الناس في بلدة * مصالحها في يدي حافظ *

* فحافظها صار سلطانها * وسلطانها ليس بالحافظ *

ولما تشرف بركة خان بخلعة الاسلام ورفع في اطراف الدشت للدين الحنيفي

الاعلام * استدعى العلماء من الاطراف * والمشائخ من الآفاق والاكناف *

ليوقفوا الناس على معالم دينهم * ويبصروهم طرائق توحيدهم ويقينهم *

وبذل في ذلك الرغبات * وافاض على الوافدين منهم بحار الهبات * واقام

حرمة العلم والعلماء * وعظم شعائر الله تعالى وشرائع الانبياء * وكان عنده

في ذلك الزمان * وعندا وزبيك بعده وجاني بيك خان * مولانا قطب

الدين العلامة الرازي * والشيخ سعد الدين التفتازاني * والسيد

جلال الدين شارح الحاجبية * وغيرهم من فضلاء الحنفية والشافعية *

ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي * ومولانا احمد الخجندي *
رحمهم الله فصارت سراي بواسطة هؤلاء السادات * مجمع العلم ومعدن
السعادات * واجتمع فيها من العلماء والفضلاء * والادباء والظرفاء *
ومن كل صاحب فضيلة * وخصلة نبيلة جميلة * في مدة قليلة * ما لم يجتمع
في سواها * ولا في جامع مصر ولا قراها * وبين بنيان سراي وخرابها
من الامكنة * ثلاث وستون سنة * وكانت من اعظم المدن
وضعا * واكثرها للخلق جمعا * حكي ان رجلا من اعيانها هرب له رقيق *
في مكان منحي عن الطريق * وفتح له حانوتا * يتسبب فيه ويحصل
له قوتا * واستمر لذلك المهين * نحوا من عشر سنين * لم يصادفه فيه
مولاه * ولا اجتمع به ولا رآه * وذلك لعظمها * وكثرة اممها * وهي
على شط نهر منشعب من نهر آتل * الذي اجمع السياحون والمورخون
وقطاع المناهل * انه لم يكن في الانهر الجاريه * والمياه العذبة النامية *
اكبر منه وهو ياتي من بلاد الروس * وليس له فائدة سوى اغتيال
النفوس * وينصب في بحر القلزم * وكذلك جيحون وسائر انهار العجم *
مع ان بحر القلزم محصور * وعليه بعض ممالك العجم تدور * مثل

كيلان ومازندران * واستراباد وشروان * واسم نهر سراي سنكلا

ولا يقطع ايضا الا بالمراكب * ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب *

وكم فرق تنفرق من ذلك البحر العريض الطويل * وكل فرق اعظم

من الفراة والنيل *

ذكر وصول ذلك الطوفان * وجحفه الى دشت بعد كسرة توقتاميش خان *

فوصل تيمور الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * بل بالبحار

الزخارة * ذوي السهام الطيارة * والسيوف البتارة * والرماح

الخطارة * والاسود الهصارة * والنمور الكرارة * من كل شان الغارة *

مدرك في العذ وثارة * جام حقيقته وجارة * وعرينه ووجارة *

وقربته ونجارة * والج من بحر الحرب غمارة * مقاوم امواجه وتيارة *

فارسل توقتاميش الى زعماء حشمه * وعظماء امه * وسكان احقافه *

وقطان اطرافه * وروس اسرته * وصدور ميمنته وميسرته * فاستدعاهم *

والى المقابلة والمقاتلة دعاهم * فاتوا في ثوب طاعته يرفلون *

وهم من كل حدب ينسلون * واجتمعوا شعوبا وقبائل * ما بين فارس

وراجل * وضارب ونابل * ومقبل وقابل * ومقاتل وقاتل * بمرهفيا

وذا أبل * وهم قوم نبال النبال * ونضال النضال * لا يطيش

سهما * وهم من بني ثعل أرمى * اذا اعتقدوا الاوتار * اصابوا الاوتار *

وان قصدوا الاوطار * وجدوا المقضل حتم اوطار * ثم نهض للمصادمة *

واستعد للمقاحمة والمقاومة * بعساكر كالرمال كثرة * وكالجبال قرة *

ذكر ما وقع من الخلاف * في عسكر توقتاميش وقت المصاف *

وحين تواقف الصفان * وتناقف الزحفان * برز من عسكر توقتاميش

امير من الميمنة * له دم على احد الامراء فطلبه منه وفي قتله

استأذنه * فقال له ليتعم بالك * وليجب سؤالك * قلت * شعر

* لكن ترى ما قد طرى * على الورى وما جرى *

فامهلنا حتى اذا انفصلنا * وعلى المراد حصلنا * اعطيتك غريمك *

وناولتك خصيمك * فادرك منه ثارك * واقض اوطارك * قال لا ولكن

الساعة * والا فلا سمع لك ولا طاعة * فقال نحن في كرب مهم * هو من

مرامك اهم * وخطب مدلهم * هو من مصابك اغم * فاصبر ولا تعجل *

واطمئن ولا توجل * فما يذهب لاحد حق * ولا يضيع مستحق *

فلا تلجي الاعمى الى الجرف * ولا تكن ممن يعبد الله على حرف *

فكأنك بليل الشدة وقد ادبر * وبصباح الفلاح وقد اسفر * فالزم مكانك * ونازل اقرانك * وتقدم ولا تتأخر * واصدع بما تؤمر * فانجر ذلك الامير * بجمع كثير * واتبعه كل باغ وغاو * وقبيلته كلها واسمها اقتاو * فانطلق يروم * ممالك الروم * فوصل هو وحشمه الى ضواحي ادرنه * واستوطن تلك الامكنه * فاختل لذلك عسكر توقتاميش * وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش * ولم يربدا من اللقاء * وصدق الملتقى * فثبت جاشه وجيشه * وحزم وقاره وطيشه * وقدم من اطلابه الابطال * ورتب الخيالة والرجال * وقوى القلب والجناح * وسدد النبل والصفاح *

* فصل *

واما جيش تيمور * فانه مستغن عن هذه الامور * لان امره معلوم ووصفه مفهوم * وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم * ثم تدانى الجيشان واصطدما * واصطليا بنار الحرب واصطلما * والتفت الاقران بالاقران * وامتدت الاعناق للضراب وشرعت النحور للطعان * واكفهرت الوجوه واغبرت * وكشرت ذياب الضراب

وأفرت * وتهارشت نمور الشرور واسبطرت * وتعانشت اسود الجنود وازيأرت * واكتست بريش النبال اجلاد فا قشعرت * وهوت جباه الجباه ورؤس الرؤس في محراب الحرب للسجود فخرت * وثار الغبار وقام القتام * وخاض بحار الدماء كل خاض وعام * وصارت نجوم السهام * في ظلام القتام * اشباه الشياطين الاسا طين رجوما ورواشق * ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروق وصواعق * ولازالت سلاهب المنايا تجوب وتجول * وضوا غم السرايا تصوب وتصول * وتقع السنابك الى الجو راقيا * وتهيج السوافك على الدوجار يا * حتى غدت الارض سما والسموات كالبحار ثما نيا * واستمر هذا اللدد والخصام * نحوا من ثلثة ايام * ثم انجلى الغبار * عن انهزام جيش توقتامش وولى الادبار * وفرت عساكره واندعرت * وانتشرت جنود تيمور في ممالك الدشت واستعرت * واستولى على قبائلها * واتى على ضبط اواخرها واوائلها * واحتوى على الناطق فمازه * وعلى الصامت فحازه * وجمع الغنائم * وفرق المغانم * واباح النهب والاسر * واذاع القهر والقسر * واطفأ فتائلهم * واكفأ مقاولهم * وغير الاوضاع * وحمل ما استطاع *

من الأموال والأسرى والمتاع * ووصلت طراشته الى أزاق *
وهدم سراى وسرا يجوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق *
وعظمت منزلة ايدكو عنده * ثم انفتل قاصدا سمرقنده *
وصحب ايدكو معه * ورام منه أن يتبعه *

ذكر ايدكو وما صنعه * وكيف خلب تيمور وخدعه *

فارسل ايدكو قاصدا الى أقاربه وجيرانه * وقبائل الميسرة كلهم
من أصحابه واخدانه * من غير أن يكون لتيمور * بذلك شعور *
ان يرحلوا عن مكانهم * ويتشمروا عن اوطانهم * وان ينحوا جهة عينها *
وما كان بينها * صعبة المسالك * كثيرة المهالك * وان امكنهم ان لا يقيموا
في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك * فانه ان ظفر بهم تيمور ربما دشماهم *
وأبادهم كلهم * فامتثلوا ما رسم به ايدكو * وارتحلوا ولم يلووا *
ولما علم ايدكو ان جماعته فوزوا * وحشمه لتيمور اعجزوا * قال له
يا مولانا الأمير * ان لي من الأقارب والحشم الجم الغفير * وانهم عضدي
وجناحي * وبصلاح معايشهم صلاحي * ولا آمن عليهم أن يلقوا
بعدي * من توقتاميش الجور والتعدي * بل لا اشك انه يفنيهم *

وبيلهم عن بكرة ابيهم * وحدث بمتنع عليه بجاه جنابك جانبي * ينتقم لسوء طويته من حشمي واقاربي * لان مدن اهل هذا الملاحم انا المحمه * وفي مضائق البلاء ومحازق الانكسار انا العصمه * وعلى كل حال فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه * وكيف يهنا لي العيش واصلب قاني مجاوروه * فان اقتضت الآراء المنيره * ارسال قاصد الى تلك الاماكن والقبائل الكثيره * صحبة مرسوم شريف * ومرعى منيف * باستمالة خواطرهم * وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم * والامر بترحالهم * وترفيه حالهم * فنكون جميعا تحت الظل الشريف * في روض عيش وريق وريف * ونتخلص من هذا الدشت * الخالق الدست * ونقضي ما مضى من الاعمار * ونقضي الباقي في جنات تجري من تحتها الانهار * فالرأي الشريف اعلى * واتباع مايجب به بالممالك اولى * فقال له تيمور انت على يقظها المرجب ونجل يلها المحك * ومع وجودك انت من يسلك هذا المسلك * فقال كل الانام عبيدك * وتابع مرادك ومريدك * ومن ترادد لشي اهلا * كان كل حزن عليه سهلا * فقال بل انت اولى بهذا الامر فكن ضمينه * اذ لا يفتي ومالك في المدينه *

فقال أضف إلي واحدا من الأمراء * ليكون لي عليهم وزيرا * مع مراسيم
شريفة * بما تقتضيه الآراء المنيفة * فأجابه وقضى مراده * وأضاف إليه
من أراده * فقضيا مأربهما ونجزاه * ونحو مطلبهما تجهزا * ولما فصل ايدكو
عن تيمور * استدرك فارطه * وعلم أن ايدكو خلبه عقله وغالطه *
فأنفذ إليه قاصدا * أن يكون إليه عائدا * لأمر قد سنح * ورأي
قد جنح * فلما قدم القاصد عليه * وبلغ ما أرسل به إليه * قال له
وللأمير الذي معه * وقد نهى كلا منهما أن يتبعه * اقضيا مأربكما *
والحقا صاحبكما * وقبلا يديه وأبلغاه * ان أمل اجتماعنا منتهاه *
وأني بريء منه إني أخاف الله * ولم يمكنهما مخاشنته * ولا وسعهما في تلك
المضايقة الشديدة إلا ملاينته * فودعاه وانصرفا * وانحرفا وما وقفا *
ولما بلغ تيمور ذلك تضرر وتضرم * وتبرح وتبرم * وحرق عليه الأرم
وتندم * ولات حين مندم * وكاد يقتل نفسه حنقا عليه * وتجرع
كاسات ويوم يعض الظالم على يديه * ولم يمكنه التقيد به فلم
يتحرك له بحركة * وتوجه إلى ممالكه ثم إلى سمرقند وتركه * فكان
هذا آخر أمره من دشت بركه * قيل إنه لم يخدع تيمور ويدهيه *

ويخلبه قولا وفعلا وبطغيه * سوى ايدكو المار ذكره * اقول وسوى

قاضى القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي

الآتي حكايته وامره *

قتمة ما جرى فى نواحى الشمال * بين توقتا ميش وايدكو

من الجدال والقتال * الى ان تغير امر كل منهما وحال *

ولما انفصل تيمور بما حصل * واستقر فى مملكته بعد ما وصل * اتصل

ايدكو بحاشيته * وابتهج بعصا غيبته وغاشيته * فاخذ فى التفتيش *

عن امور توقتاميش * وتحفظ منه وتحرز * ولما واته انتصب وتجهز *

اذلم يمكنه رتق ما فتقه * ولا رقع ما خرقه * وايضا ما امكنه الاستقلال

بادعاء السلطنة * اذلو امكن ذلك * لادعاه تيمور الذى ملك

الممالك * فنصب من جهته سلطانا * وشيد فى دار الملك خانا * ودعا

رؤس الميسرة ووجوه قبائلها اليه * فلبوا دعوته واقبلوا عليه * اذ كانوا

اقوى من غيرهم * آمنين من ضرر الجغتاى وضيرهم * فقوى بذلك

سلطانه * وعمر بقفول الجنود خانه * وثبت فى دار الملك اساسه

وعلت اركانه * واما توقتاميش فبعد ان تراجع وهله * واستقر

في دماغه عقله * ورحل عدوه * وحصل هدوه * جمع عساكره *
واستنجد قومه وناصره * فلا زالت ضروب الضراب لحراب الحروب
بينه وبين ايلكو قائمه * وعيون السكون لجفون الزمان المتعامي
عن صلحهما نائمه * الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مره * يدال هذا
على ذاك تارة وذاك على هذا اكره * فاخذ امرقبائل الشت
في التناقص والشتات * وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا في الانبثاث
والانبتات * لاسيما وقد تناوشها اسدان * واظل عليها نكدان *
وقد كان جلهم ذهب مع تيمور * وامسى وهو في امره محصور * وفي
حضرة مأسور * فانقلذت منهم طائفة لا تحصى ولا تحصر * ولا يمكن
ضبطها بديوان ولا دفتر * وانحازت الى الروم والروس * وذلك
لحظهم المشؤم وجدهم المعكوس * فصاروا بين مشركين نصارى *
ومسلمين اسارى * كما فعله جبلة ببني غسان * واسم هذه الطائفة
قرابوغدان * فبواسطة هذه الاسباب * آل عامر الشت الى الجلاء والخراب *
والتفرق والتباب * والانقلات والانغلاب * وصارت بحيث لو سلكها احد *
من غير دليل وزاد * بانه يهلك على الحقيقة * لاضاعته في المجاز طريقه *

اما صيفا فلان الرياح للرمال تسفي * فتخفي الطريق على المارة وتعفي *
واما شتاء فلان الثلج النازل فيها * يتراكم عليها فيغطيها * اذ كل ارضها
مجاهل * ومنازلها مناهل * ومراحلها مهامه ومناهل * فعلى
كل تقدير * سلوكها مهلك عسير * فكانت الوقعة الخامس عشرة
على ايدكو فتشتت وتشرد * وتبدر وتبدد * وغرق هو ونحو من خمس
مائة رجل من اخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به احد * واستبد توقتاميش
بالمملكة * وصفا له دشت بركة * وكان مع ذلك متشوفا لاخبار ايدكو
واحواله * متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله * ومر على ذلك
نحو من نصف سنة * وانقطع اثره عن الاعين وخبره عن الالسنة *
وايدكو كان دعيميص تلك الاعقاص والاحقاف * وممن قطع بسير
اقدامه اديم تلك النعال والاخفاف * فصار يتربص ويتبصر * ويفكر
معنى ما قلته ويتذكر * وهو * شعر *

* ترقب الامر وانتظر فرجا * وانتهز وقتها اذا ما جا *

* وامزج الصبر بالحجى فيه * ورق التوت صار ديباجا *

* فلما تيقن ان توقتاميش نسيه * وتحقق ان ليث المنايا افترسه *

شرع يتجسس اخبارة * ويتتبع * ويستشرف آثارة * وينطلع * الى ان تحقق من الخبر * انه في متنزه منفرد من العسكر * فامتطى جناح الخيل * وارتدى جنوح الليل * ووصل السير بالسرى * واستبدل السهر بالكرى * فارعا الى الهضاب * فروع الحباب * مقرعا من الربى * اقراع الندى * حتى وصل اليه * تيمور وهو لا يعلم * وانقض عليه * كالقضاء المبرم * فلم يفق الا والبلايا احتوشته * واسود المنايا انتوشته * وتعاوس الرماح وافاعي السهام نهشته * فحاولهم قليلا * وجاولهم طويلا * ثم انجدل قتيلا * وكانت هذه المرة من الواقعات السادسة عشر خاتمة التلاق * وحاكمة الفراق * فاستقر امر البلد شيء على متولي ايدكو * وصار القاصي والداني والكبير والصغير الى مراسمه يصغو * وتفرقت اولاد توقتاميش في الآفاق * جلال الدين وكريم بردي في الروس وكوبال وباقي اخوته في سغناق * واستمر امر الناس على مراسم ايدكو يولي السلطنة من شاء * ويعزله منها اذا شاء * ويأمر فلا يخالفه احد * ويحد فلا يجاوز ذلك الحد * فممن ولاه قوبليغ تيمور خان واخوه شادي بيك خان * ثم فولاد خان بن قوبليغ تيمور

ثم آخره تيمورخان * وفي ايامه تخبطت الامور * فلم يملم لايدكو زمامه * وقال لا عزله ولا كرامه * انا الكبش المطاع فانى اكون مطيعا * والثور المتبوع فكيف اصبر تبيعا * فالتحم بينهما الشقاق * ونجم من ذوي الضغينة مخبو النفاق * وجرت شرور ومحن * وحروب واحن * وبينا ظلمات الفتن احتبكت * ونجوم الشرور في دياجى الدشت بين الفريقين اشتبكت * اذ ابدر الدولة الجلاليه * من مشارق السلالة التوقتاميشيه * بزغ مهللا * وفرع من بلاد الروس مقبلا * وكانت هذه القضيه * في شهور سنة اربع عشرة وثمانمائه * فتعاظمت الامور * وتفاقمت الشرور * وضعف حال ايدكو وقتله تيمور * واستمر النفاق والشقاق * بين ملوك ممالك قفجاق * الى ان مات ايدكو غريقا جريحا * واخرجوه من نهر سيحون بسرابحوق والقوه طريحا * رحمه الله تعالى * وله حكايات عجيبه * واخبار ونوادر غريبه * وسهام ذواقى في اعدائه مصيبه * وافكار مكائد * ووقائعات مصائد * وله في اصول فقه السياسة نقود وردود * ابحث فيها يخرج عن محصول المقصود * وكان اسمرنخل بلدا لسمرة ربعه * مسمسك

البدن شجاعاً مهاباً ذا رفعة * جواداً محسناً لابتسامه * ذا رأي في مصيب وشهامه * محباً للعلماء والفضلاء * مقرباً للصلحاء والفقراء * يدن اعيهم بالطف عبارة * واظرف اشارة * وكان صواما * وبالليل قواما * متعلقاً باذيال الشريعه * قد جعل الكتاب والسنة واقوال العلماء بينه وبين الله تعالى ذريعه * له نحو من عشرين ولداً كل منهم ملك مطاع * وله ولايات على حدة وجنود واتباع * وكان في جماعات الدشت اماما * نحواً من عشرين عاما * وايامه في جبين الدهر غرة * ولياليه دولته على وجه العصر طرة *

رجعنا الى ما كنا فيه * من امور تيمور ودواهيه *

ولما وصل تيمور الى اذربيجان * وانبث عسكره في ممالك سلطانية وهمذان * واسند علي الملك الطاهر سلطان ماردين واطلقه * وانعم عليه كما ذكروا ستوثقه * وولاه ما بين الشام والعراق * واحكم تلك الممالك بما وسعه من المكر والنفاق * ولم يمكنه الاقامة بملك العجم لما معه من الدشت من امم * رجع عنان قصده * الى ممالك سمرقنده * فنغص فيها وطابه * وفرغ عما كان ملأ به من الدشت جرابه *

ثم خرج من غير توان * وقطع جيحون بالطوفان * ووصل الى خراسان * وواصل السير الى اذربيجان * وتوجه اليه طهرتن حاكم اذربيجان * متلقيا طوق مراسمه بجيد الاطاعة والاذعان * واصلح امر مارد ين وتناساها * ولم يتعرض الى ما يتعلق بها من مدنها وقراها *

ابتداء ثوران ذلك القتام * فيما يتعلق بممالك الشام *

ثم انه قصد الرها * ورام نهبها * فخرج اليه شخص من اعيانها * ورؤساء قطانها * يقال له الحاج عثمان بن الشكشك فصالحه واشتراها * بجمل من الاموال وحملها اليه واداها * فعند ذلك ارسل الى القاضي برهان الدين ابي العباس * احمد الحاكم بقيصرية وتوقات وسيواس * من الرسل عدة * ومن الكتب شدة * يبرق فيها ويرعد * ويرغي في بحرها ويزبد * ويقيم بفحاويها ويقعد * ومن جملة فحواه * ومضمون ذلك وما حواه * ان يخطبوا باسم محمود خان * اوسيورغا تمش خان وباسمه * ويضربوا السكة على طرز ذلك ورسمه * كما هو دابه * ويتحمله رسوله وكتابه * فلم يؤمن له السلطان برسول ولا بكتاب *

ولا تعيد له بجواب عن خطاب * بل قطع رؤوس الروس من قصاده * وعلقها في اعناق الباقين واشهرهم في بلاده * ثم جعلهم شطرين * وقسمهم نصفين * وارسلهم الى جهتين للسلطان الملك الظاهر ابي سعيد برقوق منهم جزء مقسوم * والجزء الآخر الى السلطان ابي يزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم * واخبرهما بالقضية * عن جلية * وما ورد عليه من خطاب تيمور المقوت * وانه جعل في ذلك جوابه السكوت * وقتل قاصديه نكاية * ولم يزده على هذه الحكاية * وانما فعل ذلك برسله وقصاده * استهوانا به واستعظاما لما فعله بعباد الله تعالى وبلاده * ثم قال القاضي اعلموا اني جاركما * وديارى دياركما * وانا ذرة من غباركما * وقطرة من بحاركما * وما فعلت معه هذا مع ضعف حالي * وقلة مالي ورجالي * وضيق دائرتي وبلادي * ورقة حاشية طريفي وتلادي * الا اعتمادا على مظاهرتكما * واتكالا على مناصرتكما * واقامة لاعلام حرمة دولتكما * ونشرا لرايات هيبة صولتكما * فاني جنة ثغركما * ووقاية نحركما * وشاوش جنودكما * وجاليش بنودكما * وربيئة طلائعكما * وطليعة وقائعكما * والا فمن

اين لي مقاومته * واني تيسر لي مصادمته * وقد سمعتم احواله * وعرفتم مشاهدته وافعاله * فكم من جيش كسر * وقيل اسر * وملك ملك * وملك اهلك * وسترهتك * ونفس سفك * وحصن فتح * وفتح منح * ومال نهب * وعز سلب * وصعب اذل * وخطب احل * وعقل ازل * وفهم اخل * وخيل هزم * واس هدم * وسول قطع * وقصد منع * وطود تلع * وطفل فجع * ورأس شدخ * وظهر فضح * وعقد فسخ * ونار اشب * وريح اهب * وماء اغار * ورهج اثار * وقلب شوى * وكبد كوى * وجيد قصم * وطرف اعمى وسمع اصم * واني لي ملاطمة سيل العرم * ومصادمة الفيل المغلم * فان انجلي تماني وجد تماني * وان خذ اماني بذ لماني * ويكفيكما هيبة وشهرة * وناهيكما ابهة ونصرة * ان من خذ اما مكما قد امكما * من كفا كما ماد هاكما * وان اصابني والعياذ بالله منه ضرر * او تطايرا لي مملكتي من جمرات شره شرر * ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث

الى مفعول به وثان وثالث * قلت * شعر *

* والشر كالنار يبدو حين تقدحه * شرارة فاذا بادرته خمدا *

* وإن ترانيت عن اطفائه كسلا * اورى فتائل تشوى القلب والكبدا *
* فلو تجمع اهل الارض كلهم * لما فادوك في اطفائها ابدا *
وانما اهملت خطابه * واهملت جوابه * لترسما فاقتفي * وتامرا
فاكتفي * وتؤسسا فابني عليه * وتجاوبا فيصل ذلك كذلك مني اليه *

ذكر ما اجاب به السلطان * ابو يزيد بن عثمان * للقاضي
برهان الدين ابى العباس * سلطان ممالك سيواس *

فاما السلطان ابو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل اعجبه * ونغم هذا
القول اطربه * واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه * وارسل
اليه يقول ان ارتدع تيمور عنه وانتهى * والا فلنا تبنه بجنود
لا قبل له بها * فليقابله بعين قريرة * وليثبت له بحسن البصيرة *
واخلاص السريرة * ولا يجزع من جنوده الغزيرة * فكم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة * وان اقتضت آراؤه السديدة * واحكامه
السعيدة * توجه بنفسه اليه * وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه *
ليرفع اعلامه * وينفذ احكامه * ويكون لسيفه يدا * ولجناحه
عضدا * ثم ارسل كتابه * وانتظر جوابه * واما الملك الظاهر

فما رأيت له كتابا * ولا حققت منه له جوابا * والظاهر ان
جواب الملك الظاهر ابي سعيد * كان سبق جواب السلطان الغازي
ابي يزيد * اذ افعالهما وافوالهما في الباطن والظاهر * كانت من باب
توارد الخاطر * ثم اني رأيت كتابا * ينضمن خطابا وجوابا * وذكر
ان الخطاب من ذلك الغادر * والجواب من الملك الظاهر * وكلاهما
هوى آي الكتاب غير زاه ولا زاهر * اما صورة الخطاب * بهو قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون * اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه *
مسلطون على من يحل عليه غضبه * لا نرق لشاك * ولا نرحم عبرة
باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبنا * فالويل كل الويل لمن لم يمتثل
امورنا * فانا قد خربنا البلاد * وايتمنا العباد * واظهرنا في الارض
الفساد * قلوبنا كالجبال * وعددنا كالرمال * خيولنا سوابق *
ورماحنا خوارق * ملكنا لا يرام * وجارنا لا يضام * فان انتم قبلتم
شرطنا * واصلحتم امرنا * كان لكم ما لنا * وعليكم ما علينا * وان انتم
خالفتم وابيتم * وعلى بغيكم تماديتم * فلا تلومن الا انفسكم * ر

فالحصون منا لا تمنع * والعسا كر لدينا لا ترد ولا تدفع * ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع * لأنكم اكلتم الحرام وضيعتم الجمع * فابشروا بالذلة والجزع * فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم اننا كفرة * فقد ثبت عندنا انكم فجرة * وقد سلطنا عليكم من بيده امور مقدرة * واحكام مدبرة * كثيركم عندنا قليل * وعزيزكم عندنا ذليل * قد ملكنا الارض شرقا وغربا * واخذنا منها كل سفينة غصبا * وارسلنا اليكم هذا الكتاب * فاسرعوا في رد الجواب * قبل ان ينكشف الغطاء * ولم يبق لكم باقية فينادي عليكم منادي الفناء * هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا * وقد انصفناكم اذ راسلناكم * ونثرنا جواهر هذا الكلام عليكم * والسلام * وهذه صورة الجواب وقيل هو انشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله وما اظن لذلك صحة * وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء * وتنزع الملك ممن تشاء * وتعز من تشاء وتذل من تشاء * بيدك الخير انك على كل شيء قدير * حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانية * والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية * قولكم انا مخلوقون

مَن سَخِطَه * مُسَلطُونَ عَلى مَن يَحِلّ عليهِ غَضَبُهُ * لاتَرِقّ لِشاكٍ * وَلاتَرحَمُ عَبرَةَ باكٍ * قد نَزَعَ اللهُ الرحمةَ مِن قُلُوبِكُم * فهذا مِن أكبرِ عُيُوبِكُم * وَهذا مِن أقبَحِ ما وَصَفتُم بهِ أنفسَكُم * وَيكفيكُم بهذه الشهادةِ واعِظاً إذا اتعظتُم قُل يا أيها الكافِرُونَ * لا أعبُدُ ما تَعبُدُونَ * فَفِي كُلِّ كِتابٍ ذُكِرتُم * وبكُلِّ قَبيحٍ وُصِفتُم * وَزَعَمتُم أنكُم كافِرُونَ * ألا لَعنَةُ اللهِ عَلى الكافِرِينَ * مَن تَشَبَّهَ بالأُصُولِ لا يُبالي بالفُرُوعِ نَحنُ المُؤمِنُونَ حَقّاً لا يَصُدُّنا عَيبٌ * ولا يُداخِلُنا رَيبٌ * القرآنُ عَلينا نَزَلَ * وَهُوَ رَحِيمٌ بِنالَم نَزَل * وقد عَمَّنا بِبَركَةِ تأويلِهِ * وقد خَصَّنا بِفَضلِ تَحرِيمِهِ وتَحلِيلِهِ * إنَّما النّارُ لكُم خُلِقَت * ولِجُلُودِكُم أُضرِمَت * إذا السَّماءُ انفَطَرَت * وَمِنَ العَجَبِ العُجابِ * تَهدِيدُ اللُّيُوثِ باللَّيُوثِ والسِّباعِ بالضِّباعِ * والكُماةِ بالكُراعِ * نَحنُ خُيُولُنا عَرَبِيَّة * وهِمَمنا عَلِيَّة * ولَنا قَناةٌ شَدِيدَةُ المَضارِبِ * ذِكرُها في المَشارِقِ والمَغارِبِ * إن قَتَلناكُم فَنِعمَ البِضاعَه * وإن قَتَلتُمُونا فَبَينَنا وبَينَ الجَنَّةِ ساعَه * ولا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ أمواتاً بَل أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ * وَقَولُكُم قُلُوبُنا كالجِبالِ * وعَدَدُنا كالرِّمالِ * فالجَزّارُ لا يُبالي بِكَثرَةِ الغَنَمِ * وكَثِيرٌ مِنَ الحَطَبِ

يكفيه قليل من الضرم * فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله

والله مع الصابرين * الفرار لا من الرزايا * نحن من المنية * في غاية

الامنية * ان عشنا عشنا سعداء * وان متنا متنا شهداء * الا ان حزب

الله هم الغالبون * ابعد امير المؤمنين * وخليفة رب العالمين *

تطلبون منا طاعة * لا سمع لكم ولا طاعة * وطلبتم ان نوضح لكم امرنا

فهذا الكلام في نظمه تركيك * وفي سلكه تفكيك * لو كشف لبان * قبل

التبيان * أكفر بعد ايمان * ام اتخذتم ربا ثان * لقد جئتم شيئاً ادا *

تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * قل لكاتبك

الذي رصع رسالته * ووصف مقالته * حصل الوقوف على كتاب *

كصرير باب * او طنين ذباب * وسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب

مدا * وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى * ثم اني وجدت

في نسخة مجامر الدهور بنقادمه لدها * وبيض كر العصور على وجه

الزمان من شيبها سوادها * صورة هذا الكتاب * وهيئة هذا الخطاب *

من انشاء نصير الدين الطوسي على لسان هلاكو التتري مرسلا ذلك

الى سلطان مصر *

وصورة الجواب بعينه انشاء من كان في ذلك العصر *

* فصـــــل *

ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق * ورنق بجناحي الغضب وفار دم قلبه ورنق * وغص غضباً فكاد من الغيظ ان يختنق * ولكن علم ان في الزوايا خبايا * وللاسلام جنوداً وسرايا * وفي عرين الدين من ليوث المسلمين بقايا * وان امامه اسوداً هواصر * وجوارح كواسر * فتصبر للزمان ورجع القهقرى وتربص بهم الدوائر *

ذكر توجه العساكر الشامية * لدفع تلك الداهية *

بلغ ان ملك الامراء بالشام هو تنم * خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع وهو مغتنم * ولم يروا في ذلك ضيرا * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا * وعاد من جيش الاسلام كل اسد هصور * وقد اصطاد من كراكي ماضاهى صورته وجاءه نور على نور *

ذكر رجوع ذلك الكنود * وقصده استخلاص بلاد الهنود *

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروزشاه * انتقل من زحمة الدنيا

الى رحمة الله * ولم يكن له ولد يكون له خليفه * فسعى تيمور * لان
يتولى بحكم الوفاة والشعور * تلك الوظيفه * ولما فاض صاحب الهند
صارت الناس فوضى * ومرج بحرا من الهند وماج * فجعل كل بحر ض
خوضا * فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا * ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه
ملو * فراب من امر الناس ما انصدع * ورفع من استحق الرفع وخفض
من بغير استحقاق ارتفع * فعصى عليه اخوه شارنك خان * متولي
مدينة ملتان * ووقع بينهم التخالف * وافترق ملأ الهنود فرقا
وطوائف * فكان اختلافهم لتيمور احسن مساعد *

وا قوى عضد وساعد * قلت * شعر *

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب *

وحين وصل تيمور الى ملتان * عصى عليه شارنك خان * فاقام
يحاصرها * وقعد يضاجرها * وكانت عساكرها جمه * ولياليها كتائبها
السود مدلهمه * حتى قيل ان من جملة عسكرها الفيل * كان ثمانمائة
فيل * مع ان كل امير من اطراف الهند * ورئيس من اكناف السند *
كان قد اقلع اذياله * ولم رحاله ورجاله * وضبط لجوانبه انقاله *

وربطوا نجد افياله * واستمر ذلك اللجج والخصام * نحوا من ثلثة

عام * الى ان استخلصها * ومن يد مخلصها *

* فصل *

ولما استولى ملو واستقر امر الهند عليه * وبلغه توجه تيمور اليه * جدّ

واجتهد * واعدّ العدد والعدد * واستمد الامداد والمدد * واهلك

مالا لبد * وحسب ان لن يقدر عليه احد * وفرق الاموال * وجمع

الخيل والرجال * واحضر ما في مملكته من الافيال * ثم حصن مدائنه *

ومكن كائنه * وشيد على الافيال للمقابلة ابراجا * واحكم في تحرير

المناضلة طريقة فقه فيها ذهب ومنها جا * وجد تيمور في السير *

حتى كاد يسبق الطير * اذ لم يكن له في ذلك الارث من يحجبه * ولا

في عساكر سلطان الهند من يغربه * فلما بلغ الهنود بالجنود * برزت

اليه بالجنود الهنود * وقدموا الفيول * لينفروا الخيول * وقد بنوا

على كل فيل من الافراس برجا * وعبوا في كل برج من المقاتلين من يخشى

في المضائق ويرجى * بعد ما جعلوها من اكبر بركستوانات في حصار *

وعلقوا عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يدعوا العفاريت

الى الفرار * وشدّوا في خرا طيمها سيوفا يصلح ان يقال انها سيوف الهند * تدّ عوالروس شعلة لهيبها فتخرلها ساجدة فيحق ان يقال لها نار السند * وهذا خارج عمّا لتلك الافيلة من الانياب * التى هي في الحروب كالحراب * اذ هي في اداء ما وجب عليها نصاب لا مل * وسهامها التي هي مصيبة في نحور من يقابلها تقصم كل نابل وذابل * فكانت تلك الافيال * في وصف القتال * كأنها قيل باسودها ماشية * او صياص بجنودها جارية * واطواد بنمورها عادية * اوبحار بأفواج امواجها رائحة جائية * اوظلل من الغمام بصواعقها هامية * اوليالي الفراق بنوائبها السود سارية * وخلفها من الهنود * فوارس الحرب * وابطال الطعن والضرب * سود الاسود * وطلس الذئاب ونمش الفهود * بالذابل الخطي * والصارم الهندي * والنبل الخلنجي * مع قلب ذكي وجنان جري * وعزم قوي وصبر رضي *

ذكر ما فعله ذلك المحتال * من الخديعة في اجفال الافيال *

ولما حين اطلع تيمور على هذه الحال * وتحقق ان شقة عساكر الهند نسجت

على هذا المنوال * أعمل المكيدة * في قلع هذه المصيدة * ومزق لهم بمرقة قد رطبتها أخثر من العصيدة * فبدأ أولاً في الاحتيال * بدفع مكيدة الأفيال * فاستعمل الفكر الحديد * في اصطناع شوكات من حديد * مثلثة الأطراف * متبدعة الأوصاف * كأنها في شكلها الخبيث * طرق القائلين بالتثليث * أو وضع أصحاب الأوفاق * أعداد هم المنسوبة الى الوفاق * فصنعوا له من ذلك الألوف * ثم عمد الى مجال الفيول في الصفوف * فنشر ذلك لها ليلا * وجلب لأهلها حربا وويلا * ورقم لذلك حدا * ورسم ان فعل ذلك الحد لا يعدى * ثم ركب أطلابه وأبطاله * ورتب أسوده وأشباله * ومد به خيله وشذب رجاله * وأرصد شمالا ويمينا * من عسكره للعدو كمينا * وحين بث سلطان السيارة في جوانب الآفاق خيله * وضم جيش الظلام رجالة أنجمه وشمر للهزيمة ذيله * مشى عسكره الى ذلك الحد رويدا حتى وصل اليه * ولما ترا آى الجمعان نكص على عقبيه * ثم نكب بها الخيول * على طريق الفيول * فتصوروا أن حيوله أجفلت * وشمس نصرته انكسفت * وكواكب جيشه أفلت * فاقلعوا قلاع الفيول * فانهزم معه انهزام

السيول * وساقوا ما خلفه من ساكرة سوقا * على ذلك الشوك الملقى * واتبع
الفيالة * من الهنود الرجالة والخيالة * فلما وصلت سيول الفيول
من مطارح الشوك الى المقاسم * واخذ ذلك الشوك في تقبيل ايديها
وارجلها وتشبث بتلك المناسم * واخشنت قوائمها بشوكها * رجعت
القهقرى بل ولت الادبار لعدم عقلها * فنهنهوها ونهوها عن التولي
فلم يغن ما النهي والنهنهة * وما زادت في التقدم الى جهة العدو
كفيل ابرهه * ثم لم يسعها لما اضرها الشوك في تلك الجرار * الا التولي
من الزحف والفرار * فحطمت الفيول * الرجال والخيول * وصارت
القتلى كالجبال والدماء في اوديتها سيول * وخرج عليهم الكمين *
من ذات الشمال وذات اليمين * فابادوا سائرهم * والحقوا
باولهم آخرهم * وقيل ان بلاد الهند ليس فيها اباعر * وان منظرها يجعل
الفيل فيصيرا بعد نافر * فامر تيمور ان يهيأ خمس مائة بعير جفول * وتعبأ
بزواحلها والحمول * قصبا محشوا بفتائل وقطن بالدهن مبلول *
وان تساق امام الركبان * الى ان يتراءى الجمعان * فلما تصافوا ولم
يبق الا القتال * امر ان تطلق النيران في تلك الاخشاب والاحمال *

وتُساق الى جهة مواجهة الافيال * فلما احسّ البعران * بحرارة النيران * رغت ورقصت * ونحو الفيول شخصت * وصارت كما قيل

* شعر *

* كأنك من جمال بني اقيش * يقعقع بين رجليها بشن *

فلما رأت الفيلة النيران * وسمعت رغاء البعران * ونظرت الى الابل كيف خلقت * وشاهدتها وقد غنت ورقصت * وباخذاء فيها صفقت * الوت على عقبيها ناكصه * لسائقيها واقصه * ولراكبيها واقصه * فحطمت الخياله * وهشمت الرجاله * وتلا الكافرون آية النصر على اصحاب الفيل * وارسلوا عليهم من السهام طيرًا ابابيل * فلم ينتفعوا بالافيال * بل افنت الافيال غالب الخيل والرجال * ثم تراجعت عساكر الهنود * وابطال الخيالة من الجنود * وانتبوا الكتائب وبندوا البنود * ثم تراموا وتصافوا * وتصاموا وتحافوا * وهم ما بين مجوسي ومسلم * ومبارز منتسب ومناد بالشعار معلم * وكل في سواد اللون من الحديد كقطع الليل المظلم * ثم تدانوا مع الشنار وتزاحفوا * وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تثاقفوا * ثم بالسيوف تضاربوا * ثم تلانبزوا وتزا نبزا * ثم تراموا

من ظهور الخيل * واعتكر في ذلك القتام النهار بالليل * ولا زالت تختلف بينهم الضربات * وتصول فيهم الحملات * وتحمد منهم الصولات * حتى تلالسان القضاء والقدر ان في اختلاف الليل والنهار لآيات * ثم تناهى الاقتحام * وانفرج الازدحام * واسفرت القضية عن ان برد حامي الهند فانهزم جيش حام * وحل بالهنود الوبل * ومحا الله آية الليل * ولما تفرقت الهنود وفلوا * وانتهى عقل عقلهم في المحاربة فحلوا * وقبلت سرواتهم وهرب سلطانهم ملو * ثبت تيمور وحكمه في هذه * الى الآن كما ثبت اوتادة في سمرقند * فجمع اقيالها * وربط افيالها * وضبط احوالها * وما غفل عن ضبطه ما عليها وما لها * وسلم افيالها فيالها * ثم توجه نحو تختها وهي مدينة دهلي * مصر عظيم جمع فنون الفضل وارباب الفخر الجلي * معقل التجار * ومعدن الجواهر والبهار * فتمنعت عليه بالحصار * فاحاط بذلك السواد الاعظم * من عساكره السواد الاعظم * ومن معه من الخلائق والامم * فغلب ان هذه العساكر والخلائق مع عظمها وكثرتها * لم تقدروا ان يكتنفوا لسعة دائرتها * وانه احدها من احد

جوانبها بالمحاصرة * وتم الجانب الآخر ثلاثة ايام في المجاذبة والمشاجرة * ولم يدر من في الجانب المحاصر * لبعد المدى وكثرة الامم ما فعل بالجانب الآخر *

ذكر وصول الخبر الى ذلك المعوق * بوفاة الملكين ابي العباس احمد والملك الظاهر برقوق *

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وامصاره * واحتوى على ممالكه واقطاره * وبلغت مراسيمه اعماق انجاده واغواره * وانبث جيشه في ولاياتها سهلا ووعرا * وظهر فسادهم في رعاياها برا وبحرا * اذ وفد عليه المبشر من جانب الشام * ان القاضي برهان الدين احمد السيواسي والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام * فسر بذلك صدره وانشرح * وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح * فتنجز بسرعة امور الهند * ونقل الى مملكته من فيها من العساكر والجند * بما اخذه من الانفال * ونفائس الاموال * ووزع ذلك الجمهور * من ذلك الجند المأمور * على اطراف ما وراء النهر من الحدود والثغور * واقام في الهند نائبا من غير وجل * ثم حدر

عن سمرقند قاصدًا الى الشام على عجل * ومعه من الهند رؤس اجنادها

ووجوه اعيانها * وسلطان اقيالها واقيال سلطانها * ثم انه صار قرير

العين بتلك الطوائف الطائفة * في اوائل سنة اثنين وثمانمائة *

وانصب بذلك الطوفان * من جيحون الى خراسان * وكان قد قرر

ولده لصلبه اميران شاه بمملكة تبريز وتلك الديار * والسلطان

احمد قد رجع الى بغداد وهو متوفز للفرار * وسبب حركته الى بلاد

الشام * ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس بقصاده الاغتام *

لكنه اراد ان يعمه مقصده * ويغطي عن الناس مصدره ومورده *

قلت بديها * شعر *

* واني يختفي للشمس ضوء * عن الابصار في ضحو النهار *

* وكيف يسرّ ذفر المسك يحشو * خياشيم الورى في يوم حار *

* واني يختفي للطبل صوت * عن الاسماع في وقت النفار *

فان قصده كان بعيدا المدد * طويل الامد * محتاجا الى اعداد اهبة

الملوك * ويخشى ان تضاهي غزوة تبوك * واظهر سببا ابطن فيه *

ما رامه من مكره ودواهيه * واشاع ذلك واذاع * فامتلأت منه القلوب *

والأسماع * ذكر معنى كتاب وفد وهو في الهند عليه * زعموا ان ولد

اميران شاه ارسله اليه * وذلك ان ابنه اميران شاه المذكور راسله *

وانهى اليه يقول على ما قيل في بعض ما قاوله وحاوله * انك قد عجزت

لكبر سنك * وشمول الضعف ببدنك ووهنك * عن اقامة شعائر

الرياسه * والقيام باعباء الايالة والسياسه * والاولى بحالك ان كنت

من المتقين * ان تقعد في زاوية مسجد وتعبد ربك حتى يأتيك اليقين *

وقد تم في اولادك واحفادك * من يكفيك امر رعيتك واجنادك *

ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك * واني لك بلاد ومالك * وانت

من قريب هالك * فان كان لك عين باصره * وبصيرة في نقد الاشياء

ماهره * فاترك الدنيا واشتغل بعمل الاخره * ولو ملكت ملك شداد *

ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد * وساعدك النصر والعون *

حتى تبلغ مقام هامان وفرعون * ورفع اليك خراج الربع المسكون *

حتى تفوق في جمع المال قارون * وصرت في خراب البلاد كبختنصر *

الذي طول الله تعالى له فقصر * وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار *

وقضيت من دنياك غاية الاوطار * وصار عمرك فيها اطول الاعمار *

وخذ املك فيها ملوكها الاغمار * فقصر جندك قيصر * وكسر كسرى فانكسر * وتبعك تبع والنجاشي * واوساط الملوك والاقيال غنك والك خدما وحواشي * ونغرلك فغفور بالثناء * وانحنيت علي الخان وخاقان فوجه كل في رقعة دستك شاه * واذعن لك فرعون مصر وسلطانها * وجبي اليك علي يد خيرا الدين ابران الدنيا ونورانها * وآل امرك الي ان كان لك سكان الاقاليم وقطانها * اليس قصاري تطاول قصورك الي القصور * ونهاية كمالك النقص وحيوتك الموت وسكناك القبور *

قلت * شعر *

*تعش ماشئت في الدنيا وادرك * بها ما رمت من صيت وصوت *
* فخيط العيش موصول بقطع * وحبل العمر معقود بموت *

وقيل * شعر *

* قميص من القطن من حلة * وشربة ماء قراح وقوت *
* ينال به المرء ما يرتجي * وهذا كثير على من يموت *

فاين انت من نوح وطول عمره * ونياحته على قومه وحسن عبوديته وشكره * ولقمان ووعظه ولده * وتربيته لطول الحيوة لبده * وداود

في ملكه الفسيح * مع قيامه بأوامر الله تعالى و كثرة الذكر والتسبيح *
وسليمان بعده وحكمه على الانس والجن والطير والوحش والريح * وذي
القرنين الذي ملك المشرقين * وبلغ المغربين وبنى السد بين الصدفين *
ودانت له البلاد * وملك العباد * واين ذلك من سيد الانبياء * وخاتم
الرسل وصفوة الاصفياء * المرسل رحمة للعالمين * الكائن نبيا وآدم
بين الماء والطين * محمد المصطفى * واحمد المجتبى * الذي زويت له مشارق
الارض ومغاربها * وتمثل بين يديه شاهدها وغائبها * وفتحت له خزائنها *
وعرض عليه ظاهرها وكامنها * وكانت جنوده الملائكة الكرام * وآمن به الانس
والجن والطير والوحش والهوام * وايده الله الكريم المتعال * بان ارسل
لطاعته ملك الجبال * وكان حامل رايات نصرته نسيم الصبا باليمين
والشمال * فملك الجبابرة بالهيبة والقهر * وكانت الاكاسرة والقياصرة
تهابه من مسيرة شهر * وايده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين
والانصار * وتولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما
في الغار * وان الله سبحانه به اسرى * في بعض ليالي من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى * وكان مركوبه الشريف البراق * ثم عرج به

الى السبع الطباق * وقرن اسمه الكريم مع اسمه * وتعبد عباده
بما شرعه الى يوم القيامة من غير تغيير لحده ورسمه * وخلق لاجله
الكائنات * وانار بوجهه الموجودات * ولم يخلق في الكون اشرف منه
ولا فخر * وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر * واظهر من معجزاته
ان اشبع الجم الغفير * من قرص الشعير * وسقى الكثير من الرجال *
مما نبع من بين اصابعه من الماء الزلال * وانشق له القمر * وسعى
اليه الشجر * وآمن به الضب وسلم عليه الحجر * ولا تحصى معجزاته *
وتحصر كراماته * وناهيك بمعجزته المؤيدة * وكرامته المؤبدة المخلدة *
على مر الزمان * الباقية ما دار الحدثان * الساكنة ما تحرك الملوان * وهو
القرآن المجيد * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد * وهذه منازله في الدنيا * غير ما ادخر له في العقبى *
وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى *
مع ان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره فلو ادركوه
لم يسعهم الا اتباعه وامتثال امره * فهو دعوة ابراهيم الخليل * وموسى
موسى وعلماء بني اسرائيل * والمبشر بقدومه على لسان عيسى في الانجيل *

وحامل لواء حمد ربه يوم لقائه * فآدم ومن دونه تحت لوائه * وهو صاحب الحوض المورود * والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة والمقام المحمود * بمعنى ما قلت مقوفا مقتبسا * شعر *

* قل تسمع اشفع تشفع سل تنله تجل * تفويف خلعة عز واقتبس نعمي *

فانظر لى هولاء السادة * معادن الخير ومفاتيح السعادة * هل رغبوا في الدنيا واعتمدوا عليها * او نظروا الا بعين الاحتقار والاعتبار اليها * او هل كان نظرهم غير التعظيم لامر الله * والشفقة على خلق الله * وناهيك بالخلفاء الراشدين * واعظم بالعمرين * اللذين كانا في هذه الامة بمنزلة القمرين * ومن هم جرا بالخلفاء العادلين * والملوك الكاملين والسلاطين الفاضلين * الذين تولوا فرعوا حقوق الله تعالى في عباده وحموا عباد الله عن الظلم في بلاده * واسسوا قواعد الخير * وساروا في نهج العدل والانصاف احسن سير * فمضوا على ذلك وبقيت آثارهم * واحيت بعد موتهم اياههم اخبارهم * فمضى على ذلك مثل الاولين * وبقي لهم لسان صدق في الآخرين *

اذ صنعوا * بموجب ما سمعوا

* شعر *

* فكن حديثا حسنا ذكره * فانما الناس احاديث *

وانت وان كنت تسلطت على الخلق * فقد عدلت ايضا ولكن عن الحق * ورعيت ولكن اموالهم وزروعهم * وحميت ولكن بالنار قلوبهم وضلوعهم * واسست ولكن قواعد الفتن * وسرت ولكن على سير اماتة السنن * ومع هذا فلو عرجت الى السبع الشداد * ما بلغت منزلة فرعون رشداد * ولو رفعت قصور كـ على شوامخ الاطواد * ما ضاهت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد * فانظر لمن نهى وامر * ثم مضى وغبر * ولا تكن ممن طغى وفجر * وتولى وكفر * واقنع بهذا الخطاب * من الجواب * واعط القوس باريها * واترك الدار لبانيها * وتولى الله ورسوله والذين آمنوا والا فانت اذا ممن تولى في الارض ليفسد فيها * فاني اذ ذاك امشي عليك * واضرب على يديك * وامنعك من السعي في الفساد بان اسوي بين رجليك * مع قلة آداب جرائمها كثيرة عبارات ذنوبها كبيرة * فلما وقف تيمور على هذا الكتاب * وجه الى تبريز عنان الركاب * وكان عند امير انشاه من المعتدين * جماعة سعوا في الارض

مُفسِدين * منهم قطبُ الموصلي اعجوبةُ الزمانِ الدوار * واُستاذ علم الموسيقا والادوار * اذا استنطق اليراعه * اسكت اهل البراعه * واذا وضع الناي بفيه * سحق عود اسحق وابيه * وان اخذ في الاغاني * اغنى عن الغواني * تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عني انيني * فتشير براعته بالاصبع وتقول على عيني * ثم ينفخ فيها الروح * فيشفي كل قلب مجروح * ويداوي كل فؤاد مقروح * فان اقامت قامتها الرشيقة راقصة في سماعها * تحني الجنك ظهره خاضعا لطيب استماعها * وان فتحت فاها لتفريغ اسماع القلوب الحانه * يميل العود عنقه مصغيا اليها عاركا بانامل الادب آذانه * قيل انه كان يؤدي جميع الانغام الفروع والمركبات والشعب والاصول * من كل ثقب من اثقب الماصول * وله مصنفات في ادوار المقامات * وجرت بينه وبين الاستاذ عبد القادر المراغي مباحثات * وكان اميران شاه به مغرما * يعد صحبته والعشرة معه مغنما * وكان تيمور لا يعجبه العجب * ولا يستهويه اللهو والطرب * فقال ان القطب افسد عقل اميران شاه * كما افسد عبد القادر واحمد بن الشيخ اويس واطغاه * فوصل ذلك الطاغ * سابع عشر شهر

ربيع الاول سنة اثنتين وثمانمائة الى قراباغ * فاناخ بها ركابه * واراح بها دوابه * وضبط ممالك اذربيجان * وقتل اولئك المفسدين واهل العدوان * ولم يتعرض لاميران شاه * لانه ولده وهو انشاه * وبينهما امور متشابهات لا يعلم تأويلها الا الله * ثم توجه بذلك الخميس * ثاني جمادى الآخرة يوم الخميس * واخذ مدينة تفليس * وقصد بلاد الكرج * ومهد ما استولى عليه من قلعة وبرج * وقلعهم الى الصياصي * والقلاع العواصي * وقتل من ظفر به من طائع وعاصي * وجزهم ما بين رؤس ونواصي * ثم ثنى عنان الفساد * وحرش البغاة على بغداد * فهرب السلطان احمد من ذلك اللجب * الى قرا يوسف في ثامن عشرين شهر رجب * فتمسك بعروة زعازعه * وطمن بذلك مراتبه ومنازعه * وتمهل في الصبر * واستعمل في نحوه مع مناظريه مباحث سوى وغير * وصار بتجاوزه يتجاول * وينشد وهو يتغافل

* شعر *

* امرة عن سعدى بعلوى وانتم * مرادي فلا سعدى اريد ولا علوى *

فتراجع السلطان احمد وقرا يوسف يوما الى مدينة السلام * منصورين

انه لم يبرح من بلاد الكرج اللئام * فلما تحققا منه الخروج *
وكانا حققا انه اذا عرج على شيء فلا يعوج * طار طائرهما نحو الروم *
وتركا ديارهما ينعق فيها الغراب والبوم * فتوجه ذانك الغشمان *
الى مضيف التركمان * فاغمد السيف * وكف عن الحيف وصوم الصيف *

ذكر ما وقع * من الفتن والبدع * وما سل الشرور من
حسام * بعد موت سلطان سيواس والشام *

وكان اذ ذاك قد تخبط امر الناس * ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام
الى سيواس * اما مصر والشام فلموت سلطانهما * واما سيواس
فلقتل برهانها * وكان موتهما متقارب الزمان * كموت قرا يوسف
والملك المؤيد الشيخ ابي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان * فان مدة
ما بين موت هولاء الملوك العظام * كان نحوا من نصف عام * وكذا
كان ما بين موت ذينك السلطانين *

ذكر نبذة من امور القاضي * وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضي *
وسبب قتل القاضي برهان الدين * مخالفة وقعت بينه وبين عثمان
قرايلوك رأس المعتدين * وسيزداد بيانها * اذا اتى مكانها * وهذا

السلطان ابوه كان قاضيا عند السلطان ارتنا حاكم قيصرية وبعض
ممالك قرمان * وكان بين الامراء والوزراء ذا امكانة وامكان *
وكان ابنه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه * من طلبة
العلم الشريف واصحابه * المجتهدين في تحصيله واكتسابه * فتوجه
الى مصر لاقتناء العلوم * وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم *
وكان ذا فطنة وقادة * وقريحة نقادة * ومقلة غير رقادة * فحصل
من العلوم عدة * في ادنى مدة * فبينا هو في مصر يسير * اذ هو بفقير جالس
على الطريق كبير * فناوله شيأ يسد به خلته * ويجبر به فقرة وكسرته *
فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم * وكشف له عن السر المكتوم * وقال له
لا تقعد في هذه الدار فانك سلطان الروم * فصدع بهذا الكلام قلبه *
فاخذ في اعداد الاهبة * وقطع العلاق * ودخل الطرق صحبة
الرفاق * ولما وصل الى سيواس * ابتهج به والده واعيان الناس *
وشيد له بين الخلائق اسد بنيان واشد اساس * وشرع في القاء
الدروس * ومصاحبة الاعيان والرؤس * وكان ذا همة ابية *
وراحة سخية * ونفس زكية * وخصائل رضية * وشمائل مرضية *

وتحرير شاف * وتقرير واف * يحقق كلام العلماء * ويدقق النظر في مقالات الفضلاء * وله مصنفات في المعقول * ولطائف في المنقول * ينظم الشعر الرقيق * ويعطي عليه العطاء الجزيل * ويعجبه اللفظ الدقيق * ويثيب عليه الثواب الجزيل * وهو في ذلك ينزع بازي الاجياد * ويسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد * ويلازم ابواب السلطان * ويتخذ الخدم والاعوان * فمات السلطان عن ولد صغير * فاجلسوه على السرير * وكان عنده من اعيان الامراء * ورؤس الوزراء * اناس منهم غضنفر بن مظفر وفريدون وابن المؤيد وحاجي كلدي وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن اكبرهم ابو القاضي برهان الدين بن نصار هؤلاء الامراء * والرؤس من الوزراء والكبراء * يدبرون مصالح الرعية * ولا يفصلون الا بالاتفاق ما يقع من قضية * فمات ابو القاضي برهان الدين وتولى ولده مكانه * وفاق بالعلم وحسن السياسة اباه واقرانه * ففرق ولايات ذلك الاقليم * على ابن المؤيد وحاجي كلدي وحاجي ابراهيم * فبقي حوالي السلطان محمد * فريدون وغضنفر وبرهان الدين بن احمد * ثم توفي السلطان محمد * عن غير ولد * فبقيت

الولاية بين الثلاثة * على سبيل الاشتراك وراثة * وقلما اتفق ضرتان
على زوج واحد والتقتا * ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * ومائة
فقير * يلتفون في حصير * وملكان لا يسعهما اقليم كبير * فاراد برهان
الدين بن الاسنبل اد بالملك والاستقلال * فنصب لشريكه اشراك الاحتيال *
اذ الملك عقيم * فرصد لذلك الطالع المستقيم * ونظر نظرة في النجوم
فقال اني سقيم * فرأى شريكه ان العيادة عبادة * وطلبا عبادته
الحسنى ورام هو الزيادة * فعاداه وقد عاداهما * وما راعاه ولكن
راعهما وما راعاهما * فدخلا عليه وقد ارصد لهما رصدا * واعد لهما
من الرجال المعدة عددا * وقتلهما وقد حصلا في قبضة الاشراك *
وخلص توحيد السلطنة الاحمدية عن الاشراك * فقوي بالتوحيد
سلطانه * واضاء به للدين حجته وبرهانه * ولكن ناواه انداده *
وعصى عليه من النواب اكفاؤه واضداده * واظهروا من العداوة
اعداه وحساده * وقالوا هذه مرتبة لم ينلها آباؤه ولا اجداده * ونحن
كلنا سواسية اذ انتمينا * فانى يكون له الملك علينا * وحسد الرياسة
هو الغل القمل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * فمنهم شيخ نجيب

صاحب توقات القاسية * ومنهم حاجي كلبي وكان نائب اماسية *
فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان * وكان قد استولى اذ ذاك
السلطان علاء الدين على ممالك قرمان * فقال السلطان برهان الدين
ان رواة التواريخ حدثتنا واسمعتنا * وكتب السير انبأتنا واخبرتنا *
ان ما هو الينا من الممالك متعلق بنا * من سلطاننا وارثنا * ثم شرع
في استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه * وجعل يشن الغارات على
من يتمادى في عصيانه * فقلع قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا *
واستصحبه معه طيبة وقهرا * وانحازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير *
وعثمان الملقب بقرا يلوك قال له انا تحت اوامرك امشي وفي قيدي
طاعتك اسير * فكان قرا يلوك من جملة خدمه * وفي حساب تراكمته
وحشمه * فكان يرحل هو ومن معه من الناس * شتاء وصيفا بضواحي سيواس *

ذكر محو قرا يلوك عثمان آثار انوار برهان الدين

السلطان * بسبب ما اظهره من العدوان * واضمره حالة

العصيان * وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان *

ثم انه وقع بين قرا يلوك وبين السلطان منافرة * ادت الى المشاجرة *

وانتهت الى المراضخة والمنافرة * فنقض العهود والذمم * وامتنع من حمل النقادم والخدم * وتمنع فى الاماكن الغاصبة بمن معه من الزراكمة والحشم * فلم تكترث به السلطان * لانه كان اقل الاعوان * وجعل يتوجه تارة الى اماسية واخرى الى ارزنجان * وكان بالقرب من سيواس مصيف * منظره ظريف * وترابه نظيف * وماؤه خفيف * وهواؤه لطيف * كأن الحلل خلع على اكتاف رباضه سندسه الاخضر * والفردوس فجر فى خلال اشجاره من نهره الكوثر * على حدائقه من روضات الجنات شبه * وفي ربوة جبهته للابصار مشابت وللبصائر نزه *

* قلت * شعر *

عليه شقيق قد زها فكأنه * صحون عقيق اترعت بالعبائر *

فقصده قرا ملوك * ورام في طريقة الملوك * فمر على سيواس * وبها القاضي ابو العباس * فجاز بركابه * ولم يعبأ به * فالتهب تموز قيظه * وكاد يتميز من غيظه * وقال بلغ من هذا العواء ان يلج برج الاسد * ويقدم قدم اقدامه وانا حل بهذا البلد * ثم امرجما عنه بالركوب * وقص عليه الوثوب * واستفزه الغضب والطيش * ان ركب

وسبق الجيش * فقال له بعض من معه من الجماعه * لو يلبث مولانا السلطان ساعة * حتى يتلاحق العسكر * كان احزم واوفق واجدر * وان كان حزمة مولانا السلطان فيها كفاية ولها ايد * لكن قرايلوك تركماني ذو دهاء وكيد * فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام * ولم يزل هاجما وراءه حتى هجم الظلام * فكر عليه قرايلوك بجماعته * فقبض عليه باليد من ساعته * ولم يدر بحاله العسكر * وتفرق امراؤه وجنده شذر مذر *

ذكر ما كان نواه قرايلوك من الرأى المصيب *
ورجوعه عنه لسوء طويته بشيخ نجيب *

ثم ان قرايلوك عزم ان يجدد معه العهد والميثاق * ويقلع عروق الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة والوفاق * ويرده الى مملكته * ويصير كما كان اولا من انصاره واعوانه * ويعلم بذلك السلطان انه له ناصح * فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح * واذا بشيخ نجيب الذي كان متولي قلعة توقات * وحاصره السلطان وضيق عليه مسالك الطرقات * ثم قهره وغلبه * واخذ قلعته وبالكرامة استصحبه *

وجد فرصة فانتهزها * وكان في قلبه كمائن صحية فابرزها * فجاء

الى قرا يلوك * ووقف في خدمته كالمملوك * وقال اعيذ عالم عقلك

ان يزل * ودليل فهمك ان يضل * ومصيب رأيك ان يصاب * وجميل

فكرك ان يعاب * قد امكن الله من العدو * واني لك مع

هذا سكون وهدو * قلت * شعر *

* ما اللذ مرا لا ساعة وتنقضي * والمرء فيها حازم او نادم *

فلئن ابقيت عليه لا يبقي عليك * ولئن نظرت اليه بعين الرحمة

فالله لا ينظر اليك * فانه رجل غبي * وبانواع المكر واصناف الخديعة عبي *

عمر العباد وابيك لا ينجع فيه الخير والبي * وهيك والعياذ بالله

مكانه منك * اكان برق لك او يصفح عنك * هيهات هذا والله محال *

فقد وقع لك مجال * فما كل اوان * يسمح بالمراد الزمان * والدهر

فرص واكثره غصص * فاياك ان تفوت الفرصه * لتقع في الغصة

واي غصه * ولا ينفعك الندم * اذا زلت بك القدم * وتفكر فيما اقول *

واستنبط دليل هذه المسئلة من المعقول * واستبق شرفك الرفيع باراقة

دمه * وحسن استار حرمك بابتذال حرمه * وقد كريا امير * امور

قابوس و شمكير * ولازال ذلك الشيطان * يحسن له الرأى في قتل السلطان * ويقول هذا الرأى انفع لك وعليك اعود * كما فعل بسطام أمير الكرد بقرا يوسف لما قبض على السلطان احمد * فرجع قرا يلوك عن رأيه لما خدعه ودهاه * فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف رحمه الله * وكان قتل قرا يوسف السلطان احمد بن الشيخ اويس في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة * وكان السلطان رحمه الله كما ذكرنا اولا * عالما فاضلا كريما متفضلا * محققا في التقرير * مدققا في التحرير * قريبا من الناس * مع كونه شديد الباس * رقيق الحاشية اديبا * شاعرا ظريفا لبيبا اريبا * جوادا مقداما * قرما همّاما * تهاب الدنيا وهابها * يهب الالوف ولمن يهابها * يحب العلماء ويجالسهم * ويدني الفقراء ويكايسهم * قد جعل يوم الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصة * لا يدخل عليه معهم غيرهم من تلك الامم الغاصة * وكان قد اقلع قبل وفاته عن جميع ما كان عليه * وتاب الى الله تعالى ورجع اليه * وله مصنفات منها الترجيع على التلويح * وكان عنده نديم للفضل حريز * بغدادي

الأصل يد عي عبد العزيز * وكان أعجوبة الزمان * وفي لطائف
النثر والنظم فارسيا وعربيا طروفة الدوران * سرقه من بغداد
من السلطان احمد بن الشيخ أويس * فكان عنده رأس ندمائه
وعين أهل الفضل والكيس * والقاضي كان يربي الفضلاء * متجاليا
من كل جهة الأدباء والشعراء * وكان أهل الفضل والأدب يفدون
عليه من كل فج * حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة الحج *
وصورة سرقته له انه لما سمع بأوصافه أحبه فاراد قربه فالتمسه
من مخدومه * فلم تسمح نفس السلطان احمد بمفارقته نديمه *
ثم احتشى من القاضي رعبه * وخاف لشدة دهيه قربه * فوصى به
وحرج عليه * واقام له معقبات يحفظونه من خلفه ومن بين يديه *
فارسل القاضي اليه رسولا ذكيا * فناداه نداء خفيا * وأجزل له
العطيه * ووعده مواعيد سنيه * وفرق ما بين السلطانين من الحسن
والقبح * كفرق ما بين البحرين العذب والملح * والمؤذنين المساء والصبح *
فلبي دعوته بالقبول * وواعد للخروج بعض الفقول * ثم خرج
وليهيب الحر قد رقد * والسلطان احمد عند الحريم قد رقد * ووضع

ثيابه على ساحل دجلة * ووجه الى داخل النهر في الطين رجله *
ثم غاص في الماء ومخر * وخرج من مكان آخر * ولحق برفقائه * واختفى
بينهم اختفاء اليربوع في نافقائه * فطلبه السلطان احمد * ففتشوا
عليه فلم يوجد * فبالغوا في طلابه * الى ان وقفوا على ثيابه *
ورأوا آثار رجليه في الطين * فلم يشكوا ان المرجا اختطفه فكان
من المغرقين * فكفوا قدم السعي عن طلبه * ولم يضيقوا على احد بسببه *
ثم بعد اياما يسيرة * اخرج غريق بغداد رأسه بسيواس عند القاضي
برهان الدين من تحت الحصيرة * نغرقه في احسانه * واسبغ
عليه ذيل كرمه وافضاله * فصار عنده مقدما * ولديه مبجلا
معظما * الف له تاريخا بديعا * سلك فيه مهيعا رفيعا * وانتهج
منهجا منيعا * ذكر فيه من بدو امره الى قرب وفاته * مع مواقفه
ووقائعه ومصافاته * ووشحه بظريف كناياته * ولطيف استعاراته *
وفصيح لغاته وبليغ كلماته * ورشيق اشاراته ودقيق عباراته *
مد فيه عنان اللسان * وهو موجود في ممالك قرمان * في اربع
مجلدات ذكر ذلك لي من غاص بحره * واستخرج دره * ووقف

فى تاريخ العتبى فى اليمينى * السلطان محمود بن سبكتكين * وان

هذا احسن من ذلك اسلوبا * واغزر ينبوعا * واعذب مشروبا *

مع انى لم اقف عليهما * ولا وصلت لقصر الباع اليهما * ثم ان الشيخ عماد

العزيز هذا بعد لهيب هذه النائرة * انتقل الى القاهرة * ولم يبرح

على الابراح * ومعاقرة راح الاتراح * حتى خامرته نشأة الوجد

فصاح * وتردى من سطح عال فطاح * ومات متلبسا مينة

صاحب الصحاح * والله اعلم *

ذكر ما وقع من الفساد فى الدنيا والدين * بعد قتل قرايلوك

السلطان برهان الدين *

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في اولاده من يصلح للرياسة *

ويتقلد احكام السلطنة والسياسة * فرجع قرايلوك الى سيواس * ودعا

الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * ولعنوه وسبوه * فاخذ يحاصرهم

ويناكدهم * ويضيق عليهم ويعاندهم * فاستمدوا عليه التتار

فامدوهم * واتت طائفة منهم فنجدوهم * فكسرهم قرايلوك ففروا *

واستنجدوا طوائفهم وكروا * واقبلوا بالقض والقضيض * وملأوا البقاع

والحضيض * فلم يكن لقرا يلوك على جبهة قتالهم طوق * بل خل عليهم من تحت وجاءهم من فوق * وتوجه الى تيمور * وكان بحر جيشه في اذربيجان يمور * وقبل يديه * وانتمى اليه * وجعل يناديه الى هذه البلاد ويدعو * كما فعل معه الامرا بدكو * فحاك له في الدبرة * فاجابه اجابة بر صبا بامره *

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس انى يسلكون ومن يملكون *

ثم ان اهل سيواس * والاعيان من رؤسائها والاكياس * تشاوروا فيمن يملكون قيادهم * والى من يسلمون بلادهم * لسلطان مصر ام لابن قرمان * ام للسلطان الغازى بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم السديد * على المرحوم يلدريم بايزيد * فارسلوا اليه قاصدا واستنهضوه اليهم وافدا * وانشدوه * وقد استنجدوه *

* شعر *

* وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختيارى *

فتوجه من ساعته اليهم * وقدم بالعساكر والجنود عليهم * ومهد القواعد والاركان * وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان * واضاف اليه

خمسة انفار * من امرائه الكبار * يعقوب بن اورانبش وحمزة
بن بجار وقوج علي ومصطفى ودوادار * واستمال خواطر الاعيان *
وتوجه الى ارزنجان * فهرب منها طهرتن الملكور * وقصد في انهزامه
تيمور * فاستولى ابن عثمان * على مدينة ارزنجان * واخذ اموال
طهرتن وذخائره وحرمه * ومكن منهن مواسه وغلمانه وخدمه *
ورجع بالاموال والحمول * واشتغل بمحاصرة استنبول *

* فصـــــل *

فتنبه قرايلوك وطهرتن * من تيمور نائم الفتن * وان كان المتحرك منه
في الفساد ما سكن * حتى توجه الى هذه البلاد * وعم فساده البلاد
والعباد * فوصلوا الى ارزنجان واردبين * ثم ارتحلوا ونزلوا مفسلي بين
ماردين * فعصى عليه الملك الطاهر * لما كان قاساه اولا من طاعة
ذلك الغادر * فندم على اطلاقه اول مرة * كما سيندم يوم القيامة
ولم تنفعه الندامة والحسرة * وكان ذلك في سنة اثنين وثمانمائه *
والخلف قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية وانحاز الى كل فئة *
وتفرقت آراؤهم ايادي سبا * ومال هوى كل منهم الى دبور وشمال

وصبا * واهملوا امور الرعايا * وغفلوا عن حلول الرزايا *

قلت * شعر *

* من يهمل الاعدا ويأمن كيدهم * مثل النؤوم وراءه مستيقظ *

قلت * شعر *

* واللص ليس له دليل هائر * نحو الذي يبغي كنوم الحارس *

ثم قتل هو تنم ملك الامراء بالشام المحروس * أعيان الأمراء والاعلام الرؤس * في شهر رمضان من العام المذكور * وبيان هذه الامور في كتب التواريخ مسطور *

قلت * شعر *

* واذا العزين تصرعت آساده * عوت الثعالب فيه آمنة الردى *

ذكر قصد ذلك الغدار * سيواس وما يليها من هذه الديار *

ثم تيمور رجه عنان الباس * نحو مدينة سيواس * وبها كما ذكرامير سليمان * بن بايزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان * فارسل يخبر اباه بهذا الامر المهول * ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر استنبول * فلم يطق ان يمد اليه يدا * لاحتياجه الى المدد ولبعد المدى * فاستحصر من جند

اهل المنعه * وحصن المدينة والقلعه * واستعد للقتال واستعد للحصار * وفرّق رؤس امرآئه على ابدان الاسوار * وجهز تيمور من جيشه العيون * ليتحقق ما هو عنده مظنون * ولما كشفت جيوشه لامير سليمان زينها * فولّا ان رأى عينها * فعزم على التوجه الى ابيه * واشترط مع امرآئه وذويه * انهم يحفظون له البلد * ريثما يجهز لهم العَدد والعُدد * فلم يسعهم الا الموافقه * والتخلف وعدم المرافقه * فرام لنفسه الخلاص * وافلت وله حصاص * فوصل اليها تيمور بتلك السيول الهاميه * سابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وثمانمائه * ولما احل بسيوا من رجله الشوم * قال انا فاتح هذه المدينة في ثمانية عشر يوما * ثم اقام في محاصرتها علامات الحشر * وفتحها في اليوم الثامن عشر * بعد ما عثى فيها وعاث * وذلك يوم الخميس خامس المحرم سنة ثلاث * وبعد ان حلف للمقاتلة ان لا يريق دمهم * وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمهم وحرمهم * ولما فرغت المقاتلة * واستمكن من المقاتله * ربطهم في الوثاق سربا * وحفر لهم في الارض سربا * والقاهم احياء افي تلك الاخاديد * كما القي في قليب بدر الصناديد * وعاد

ن ألقي في تلك الحفر * كان ثلاثة آلاف نفر * ثم أطلق عنان النهب * واتبع النهب الأسر والخراب * وكانت هذه المدينة من أظرف الأمصار * في أحسن الأقطار * ذات عمائر مكينة * وأماكن حصينة * ومواطن مشهودة * ومشاهد للخير معهودة * ماؤها رائق * وهواؤها للأمزجة موافق * وسكانها من أحشم الخلائق يتعانون التوقير والاحتشام * ويتعاطون أسباب التكلف والاحترام * وهي متاخمة تلات تخوم الشام واذربيجان والروم * وأما الآن فقد حلت بها الغير * وتفرق أهلها شذر مذر * وانمحت مراسم نقوشها * فهي خاوية على عروشها *

ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام * من غمام الغرام على فرق ممالك الشام *

ولما استنقى سيواس لحماً ونقياً * واستوفاها حصداً ورعياً * فوق سهام الانتقام الى نحو ممالك الشام * بجنود ان قيل كالجراد المنتشر * فالجراد كان من أعوانها * أو كالسيل المنهمر * فسيل الدماء جار من فرندها وخرصانها * أو كالفراش المبثوث فالفراش يحترق عند بقطاير سهامها * أو كالقطر الهامي فالديم تضمحل عند انعقاد قتامها *

رجالُ توران * وابطالُ ايران * ونمورُ تركستان * وببورُ بدخشان *
وصقورُ الدشت والخطا * ونمورُ المغولِ وكواسر الجتا * وافاعي خجند
وثعابين اندكان * وهوامُ خوارزم وجوارح جرجان * وعقبان
صغانيان * وضواري حصار شادمان * وفوارس فارس واسود خراسان *
وضباع الجبل وليوث مازندران * وسباع الجبال وتماسيح رستمدار
وطالقان * واصلّ قبائل خوز وكرمان * وطلس ذئاب طابالسة
اصبهان * وذئاب الري وغزني وهمذان * وافيال الهند والسند
وملتان * وكباش ولايات اللور * وثيران شواهق الغور * وعقارب
شهرزور * وجرارات عسكر مكرم وجندي سابور *

* شعر *

* قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا *

مع ما اضيف اليهم من اعيار الخدم * وفراعل التراكمة والاوباش
والحشم * وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم * وحثالة
عباد الاوثان وانجاس مجوس الامم * مالا يكتنفه ديوان * ولا يحيط
به دفتر حسبان * وبالجملة فانه الدجال ومعه ياجوج وماجوج *

ورياح الاقيمة الهوج فتوجه وللنصر قائده * والسعد رائده * والقضاء موافقه لقلّ مصاعده * ومشيئة الله تعالى سائقته * وارادة الله عز وجل في تدمير العباد والبلاد سابقته * فبلغ خبره البلاد الشاميه * واتصل ذلك بالديار المصريه * فورد مرسوم شريف الى نائب الشام * وسائر النواب والحكام * وعزاة الدين وكماة الاسلام * ان يتوجهوا الى حلب * ويقيموا عليه الجلب * ويجتهدوا في دفعه * ويتعاونوا على منعه * فتجهز نائب الشام سيدي سودون مع النواب والعسكر * ورحلوا الى حلب سنة ثلث وثمانمائة في شهر صفر * ووصل تيمور الى بهسنا * فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا * وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليله * فاخذها ولكن كف عنها للطبقة ربانية نبوره وويله * ثم وطئ مدينة ملطية فاباد ها * ودك اطوادها * ثم حل كعبه المشوم * بقلعة الروم * وكان نائبها الناصري * محمد بن موسى بن شهري * وسنذكر ما جرى له معه مشبعا * وكيف اجهد في مجاهدته وسعى * فاقام بها يوما * فلم ينتج له روما * ولم يحتفل لها بحصار وهياج * وقال هي اهون على من قها له على الحجاج * وذلك انه لما رآها من بعيد * قال فيها ما قاله

ممن لم يصل الى العنا قيل * والحق انه لما رآها * قال إن الله لما بناها *
ذخرها لنفسه واصطفاها * ثم انجاب ذلك السحاب * الى عين تاب *
وكان نائبها اركماس * رجلاً شديد الباس * فحصنها وامتعل *
وباشر القتال بنفسه واستبل * ثم خرج فهرب الى حلب *
فلم يرسل وراءه الطلب *

ذكر ما ارسل من كتاب وشيخ خطاب * الى النوايد
بحلب وصوفي عين تاب *

ثم ارسل الى النواب * قاصده وصوفي عين تاب * وصحبته مرسوم *
بانواع التفخيم موسوم * وباصناف التهويل مرقوم * ومن جملته
أن يطيعوا أوامره * ويكفوا عن القتال والمشاجرة * ويخطبوا باسم
محمود خان * وباسم الامير الكبير تيمور كوركان * ويرسلوا اليه
أطلاميش الذي كان عنده فخان * واقتنصه التركمان * وارسله الى مصر
لحضرة السلطان * واطلاميش هذا زوج بنت اخت تيمور * وكان جاء
الى الشام قبل وقوع هذه الشرور * وفيما بين ذلك امور * كان لها بطون
فما رلها ظهور * وكان أولا في مصر محبوسا * ونال ضرا وبوسا *

ا رمعززا مكرما * معظما مقدما * وكان تيمور عليه مغضبا *

ل ذلك حجة للمعاداة وسببا * ثم شرع يقول * وهو بجول *

في ميدان هذه الرسالة ويصول * انه هو اولى بسياسة الانام * وان

من نصبه هو الخليفة والامام * وانه ينبغي ان يكون هو المتبوع

والمطاع * وما سواه من ملوك الارض له خدام واتباع * وانى لغيره

دربه الرياسه * وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسه * مع كثير

من التهويل * والحشو والتطويل * وكان يعلم ان اجابتهم سؤاله محال *

وانه طلب منهم ما لا ينال * ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال *

وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال * فلم يجيبوه بالمقال *

ولكنهم قصدوا مرادة بالفعال * ولم يلتفت سيدي سودون لما يقول * وضرب

على رؤس الاشهاد عنق الرسول * واستعدوا للمبارزة * واستمدوا للمناجزة

كر ما تشاور علبه النواب * وهم في حلب وتيمور في عين تاب *

ن النواب والامراء * ورؤس الاجناد والكبراء * تشاوروا كيف

يكافحونه * وفي اي ميدان يناطحونه * فقال بعضهم عندي الرأي

سد * ان نحصن البلد * ونكون على اسوارها بالرصد * نحرس بروج

أفلاكها * حراسة السماء بأملاكها * فإن رأينا حواليها من شياطين العدو واحدا * أرسلنا عليه من رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا رصدا * وقال آخر هذا عين الحصر * وعلامة العجز والكسر * بل نخلق حواليها * ونمنع العدو أن يصل إليها * ويكون ذلك أفسح للمجال * واشرح للجدال * ثم ذكر كل من أولئك * ما عن له في ذلك * وخلطوا غث القول بسمينه * وساقوا هجان الرأي مع هجينه * فقال الملك المؤيد * شيخ الخاصكي وكان ذا رأي مسدد * وهو إذ ذاك نائب طرابلس يا معشر الأصحاب * وأسود الحرب وفوارس الضراب * إعلموا أن أمركم خطر * وعدوكم داء عسر * داهية دهياء * معضلة عضلاء * جنده ثقيل * وفكره وبيل * ومصابه عريض طويل * فخذوا حذركم * واعملوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم * فإن صائب الأفكار * يفعل ما لا يفعله الصارم البتار * ومشاورة الأذكياء * مقدحة الفكر * ومباحثة العلماء * مقدمة النظر * إن هذا البحر ما يحمله بر * وجيشه عددا كالقطر والذر * وهو وإن كان كالوابل الصيب * لكنه أعمى لأنه في بلادنا غريب * فعندي الرأي الصائب * أن نحصن

يَنةً من كُلِّ جانب * وتكونَ خارِجها مُجتمعين في جانبٍ واحد *
كُلّنا له مراقبٌ مراصِد * ثم نحفِرُ حولنا هناك خنادق * ونجعلُ اسوارها
الُبباذقَ والبوارق * ونُطيِّرُ الى الآفاقِ اجنحةَ البطائق * الى الاعرابِ
والاكراد * والتراكمةِ ومعاشرِ البلاد * فيتسلطون عليه
الجوانب * ويثبُ عليه كلُّ راجلٍ وراكب * ويصير ما بين
قاتلٍ وناهب * وخاطفٍ وسالب * فان اقامَ واتي له ذلك ففي
شرِّ مقام * وان تقدَّم الينا صافحناه بنواصِلِ الاسنّةِ واكفِّ الدرقِ
واناملِ السهام * وان رجعَ وهو المرامُ رجعَ بخيبه * واقيمت لنا عنده
سلطانتنا الحرمةُ والهيبه * وان كانَ بسلطانه علينا عرَج * فلنا بحمد
الله سلطانٌ وفي سلطاننا فرج * واقلُّ الاشياءِ ان نمادَه ونتحرز من جنده *
فعسى الله ان يأتي بالفتحِ او امرٍ من عنده * وهذا الرأيُ الاسدّ * بعينه
رأيُ شاه منصورٍ لا اسد * فقالَ تمرداش وهو نائبُ المدينه * ما هذه
. . راءٌ مكينةٌ ولا هذه الافكارُ رصينه * بل المناضلةُ خيرٌ من المطاولة *
والمناجزةُ * في هذه المواطنِ قبلَ المحاجزة * ومقامُ المنازله * لا تجدي
المغازلة * ولكلِّ مقامٍ مقال * ولكلِّ مجالٍ جدال * وهذا طيرٌ

في قفص * وصيد مقتنص * فاغتنموا فيه الفرص * وناوشوه بالحرب *
وسابقوه بالطعن والضرب * لئلا يتوهم فينا الخور * ويستنشق من ركود
ريحنا عرف الظفر * فاجمعوا امركم واعجلوا * ولا تنازعوا فتفشلوا *
وانهضوا وثابروا * واصبروا وصابروا * فانتم بحمد الله اهل النجدة *
واولوا الباس والشدة * وكل منكم في فقه المناضلة مغن ومختار * وعنده
في افاضة دماء الاعداء منار * وله في ذلك كفايه * وهل ايه ونهايه *
وغيره له بدايه * وهو لجمع الاسلام كنز وافي وجامع كاف ووقايه *
تنحوا لسنة سيوفكم الى تكليم الروس فهي في لفظها كافية شافيه *
وتصرف اسنان اسنتكم في مضاعفة كل ذي فعل معتل فهي في تصريف
عللها شافية كافيه * فان كسرناه فزنا بالمنال * وكفى الله المؤمنين
القتال * وتلك من الله معونه * وقد كفينا عساكر المصريين المؤنه *
وكان ذلك ادلى لحرمتنا * واقوى في ورود النصر لشوكتنا * واذكى
لريح نصرنا وازكى * وابكى لعينه السخينة وانكى * وان كانت والعياذ
بالله الاخرى * فلا علينا اذا بذلنا مجهودا واقمنا عذرا * ومخذ ومنا
يدرك ثارنا * ويحيي آثارنا * فتوكلوا على الله العزيز الجبار *

فاستعد والملاقاة هو لاء الاشرار * واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم الادبار * ولازال تمرداش * يحسن لهم هذا الرأي اللاش * حتى اجمعوا عليه * واتفقوا على الخروج اليه * لانه كان صاحب البلد * وعلى كلامه المعول والمعتمد * وكان تمرداش قد خالف الجمهور * ووافق في الباطن تمور * وهذه كانت عادته * وعلى المراوغة جبلت طينته * فانه كان كالشاة العائرة * والمرأة العاهرة الغادرة * اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت في احدهما جبنا منه ومكرا * بل يعير الى هذا مرة والى هذا اخرى * مع انه كان صورة بلا معنى * ولفظا بلا فحوى * فاعتمد تيمور عليه * وفوض الامور اليه * وكذلك عساكر الشام * وجنود الاسلام * ثم حصنوا المدينة وارصدوا ابوابها * وضيقوا شوارعها ورحابها * ووكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها * وفتحوا الابواب التي تقابل ملتقاه * وهي باب النصر وباب الفرج وباب القناة *

ذكر ما صبه من صواعق البيض واليلب * على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب *

ثم ان تيمور نقل الركاب * فوصل في سبعة ايام الى حلب من عين تاب *

فحل بذلك الخميس * تاسع شهر الربيع الاول يوم الخميس * وبرز من ذلك
العسكر * طائفة نحوا من الفي نفر * فتقدم لهم من الاسود الشامية *
نحو من ثلثمائة * ففلوهم بالصفاح * وشلوهم بالرماح * فبددوهم
وطردوهم * وخذروهم وشردوهم * ثم اصبحوا يوم الجمعة فبرز
من عسكره نحو من خمسة آلاف * الى مصاف الثقاف * فتقدم اليهم
طائفة اخرى * ارسالا وتترى * فالتحم بينهم النطاح * واشتبكت
بين الطائفتين انامل الرماح * فازدحموا واقتحموا * واشتد واوالتحموا *
ولازالت اقلام الخط * في الواح الصدور تخط * والقضبان الصوارم لرؤس
تلك الاقلام والاعلام تقط * ومشاربط النبال لمدامبل الدمال تبط *
والارض من اثقال احمال القتال تئط * حتى تجلى ليلا الظلام والقتام
واغطشا * فتراجعوا وقد اعطى الله النصر لمن يشا * وجرى من دماء العدو
مع فرق نهران * وفقد من العساكر الاسلامية نفران * ثم اصبحوا يوم
السبت حادي عشره وقد تعبت الجنود الشامية * والعساكر الاسلامية
السلطانية * بالعدة البالغة * والاهبة السابغة * والخيول المسومة *
والرماح المقومة * والاعلام المعلمة * ولم يعوزا وليك الصناديد *

تقوى شمة من النصر والتأييد * فنحوا قصده * وقصد ارده وصده *
واقبلت عساكره والسعد الميمون طائره * والقضاء موازره والقدر
مظاهره * بالجنود المذكورة * والجيوش المعهودة المنصورة *
تؤمهم الاقيال * واقيال القتال * واذا به قد اضمر لهم الويل *
[illegible]بيّ عساكره تحت جنح الليل * وبثهم فيهم وارسل عليهم قنابلهم بمقدمتهم
وشغلهم باوائلهم * واحاط الباقون بهم فاتوهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم * فمشى عليهم مشي الموسى
على الشعر * وسعى سعي الدبا على الزرع الاخضر * وكان هذا الجولان
على قربة حيلان * ولما اهتمش امر الناس وهاش * وجاشت الهوشة
والامتحاش * وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش * فرت الميمنة
وكان رأسها تمرداش * فانكسر العسكر وطاش * واخذ الابطال من الدهشة
[illegible]ش * وغلبتهم الحيرة والانبهار * فلم يلبثوا الا ساعة من نهار *
ثم ولوا الدبر * وصارت لاقلام رماحه ظهورهم الزبر * واستمروا امامهم
يتواثبون * وعسكره وراءهم يتخاطبون *

بمعنى ما قلت * شعر *

* جعلنا ظهور القوم في الحرب اوجها * ورقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا *

فقصدوا المدينة من الباب المفتوح * وهم ما بين مهشوم ومجروح *

والسيوف تشقهم * والرماح تدلقهم * وقد سالت بدمائهم الاباطح *

ونثر من سائر لحمهم كل كاسر وجارح * فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا *

وهجموا فيه يدا واحدة وتكردسوا * ولا زال يدوس بعضهم بعضا *

حتى صارت العتبة العليا من الباب ارضا * فانسدت الابواب بالقتلى *

ولم يمكن الدخول منها اصلا * فتشتتوا في البلاد * وتفرقوا في المهامه

والاطواد * وكسر باب انطاكية المماليك الاغنام * وخرجوا منه

قاصدين بلاد الشام * فوصل فلهم الى دمشق في ابشع صورة * وحكوا

في كيفية هذه الوقعة اشنع سيرة * وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا *

فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستامنوا * وتزلوا بواسطة تمرداش

اليه * وقد غسل كل منهم من الحيوة يديه * ثم انه مشى على هيبته *

مع وقاره ورزانته وسكينته * ودخل حلب * ونال منها ما طلب *

وفاز بالروح والسلب * ولما نزل النواب اليه * قبض على سيدي

سودون وشيخ المحاصكي واما تمرداش فخلع عليه * وقبض

على التونبغا العثماني نائب صفد * وعلى عمر بن الطحان نائب غزة جعل الكل في صفد * وشرع في استخلاص الاموال * وضبط الاثقال والانفال * وقد ملأت القلوب هواجس هيبته * وانتشر في الآفاق شرار صولته * ثم انه لم يكتف بما ازهقه من النفوس * حتى بنى المياذين رؤس * وسبب ذلك ان ذا قرابة البريد الذي ارسله الى حلب * وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب * ذكر تيمور بغصنه * واراد القود من اهل حلب لذي قرابته * فاجابوا سؤاله فمكنه * من يختار منهم ان يفعل فيه ما استحسنه * فقتل طائفة منهم وبنى من رؤسهم كذا وكذا مئذنة *

زيادة ايضاح لهذه المحنة * مما نقلته من تاريخ ابن الشحنة *

قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر تيمور بثمانمائة الف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان نائبها الناصري محمد بن موسى بن شهري وانه عصى عليه وكان يخرج للغارات ثم قال مانصه بحروفه وكان قد ابدع تجمائع تمرلنك وطراشته مدة اقامته على بهسنا وقتل منهم جماعة وارسل رؤسهم الى حلب

وكسر توماناً كان جهزه اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بانفسهم
فى الفرات وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه انى خرجت
من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امامى وسائر ملوك البلاد حضروا
الى وانت سلطت على جماعتى من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به
منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك
فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة مالامزيد عليه والا نزلنا عليك
وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فاستعد لما يحيط بك
ان ابيت الحضور * فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت
الى كلام تمرلنك فمشى اليه اوائل عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم
وكسرهم وفى اليوم الثانى حضر تمرلنك على قلعة المسلمين وبرز اليه
المشار اليه وقاتله قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها منه
تمرلنك شدة حزم ورجع عن محاربته واخذ فى مخادعته وملاطفته
وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالا لاجل حرمته فلم ينخدع منه
وتنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يعطه وعاد خائبا واخذ

المشار اليه في اواخره قتلا ونهبا واسرا كل ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما واحدا وانشد فيه لسان الحال *

* شعر *

* هذا الامير الذي صحت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره *
* ولى تمرلنك مكسورا اوائله * منه مرارا ومنه عورا اواخره *

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والاخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية رضي الله عنها * ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب وكان نائبها المقر السيفي تمرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد الشامية وعسكر دمشق مع نائبها سيدي سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماة مع نائبها المقر السيفي دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت آراؤهم وبين قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد تلقاء العدو وبالخيام فلما رأى المقر السيفي اختلافهم اذن لاهل حلب في اخلائها والتوجه حيث شاؤا وكان نعم الرأي

فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو
وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه ويوم
الجمعة حصل بين الاطراف تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادي
عشر شهر الربيع الاول زحف تمرلنك بجيوشه وقبائله فولى المسلمون
نحو المدينة وازدحموا فى الابواب ومات منهم خلق عظيم والعدو
وراءهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نواب
المملكة وخواص الناس الى القلعة وكان اهل حلب قد جعلوا غالب
اموالهم فيها وفي يوم الثلثاء رابع عشر شهر ربيع الاول اخذ القلعة
بالامان والايمان التي ليس معها ايمان وفي ثاني يوم صعد اليها
وآخر النهار طلب علماءها وقضاتها فحضرنا اليه ثم اوقفنا ساعة
ثم امر بجلوسنا وطلب من معه من اهل العلم فقال لاميرهم عنده
وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي والده من العلماء
المشهورين بسمرقند قل لهم اني سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء
سمرقند وبخارا وهراة وسائر البلاد التي فتحتها فلم يفصحوا عن جواب
فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني الا اعلمكم وافضلكم وليعرف ما يتكلم فاني

فخالطت العلماء ولي بهم اختصاص والفة ولي في العلم طلب قد يم
وكان بلغنا عنه انه يتعنت العلماء في الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم
اووقعه بهم فقال القاضي شرف الدين موسى الانصاري الشافعي عني هذا
شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان فقال لي عبد الجبار
سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم
فوجم الجميع وقمنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت وسكت
القوم ففتح الله علي بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما اجاب به سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي صاحبي القاضي شرف الدين
موسى الانصاري بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا
سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محدث زماني
قلت هذا عالم قد اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب
عنه في هذا المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تمرلنك
اليه سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت جاء اعرابي

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فاينا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد ثم قال تمرلنك خوب خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال اني رجل نصف آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل احدا فقال والله اني لا اقتل احدا قصدا وانما انتم قتلتم انفسكم في الابواب والله لا اقتل احدا منكم وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا فطمع كل من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فاسر الي القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي

علم الدين القفصي المالكي كلاماً معناه ان الكل مجتهد ون فغضب لذلك غضباً شديداً وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فاخذت في ملاطفته والاعتذار عن المالكي بانه اجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط واخذ عبد الجبار يسأل مني وعن القاضي شرف الدين فقال عني هذا عالم مليح وعن شرف الدين وهذا رجل فصيح فسألني تمرلنك عن عمري فقلت مولدي سنة تسع واربعين وسبع مائة وقد بلغت الآن اربعا وخمسين سنة فقال للقاضي شرف الدين وانت كم عمرك فقال انا اكبر منه بسنة فقال تمرلنك انتم في عمر اولادي انا عمري اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضرت صلوة المغرب واقيمت الصلوة وامنا عبد الجبار وصلى تمرلنك الى جانبي قائماً يركع ويسجد * ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني غدر بكل من في القلعة واخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة ما لا يحصى * اخبرني بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه القلعة وعوقب غالب المسلمين بانواع من العقوبة وحبسوا بالقلعة

مَا بينَ مقيلٍ ومزنجرٍ ومسجونٍ ومرسمٍ عليه ونزلَ تمرلنك من القلعةِ
واقام بدار النيابةِ وصنعَ وليمةً على زيِّ المغلِ ووقف سائرُ الملوكِ والنوابين
في خدمتهِ وادارَ عليهم كؤوسَ الخمرِ والمسلمونَ في عقابٍ وعذابٍ
وسبيٍ وقتلٍ واسرٍ وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدمٍ وحرقٍ
وتخريبٍ ونبشٍ الى آخرِ شهرِ الربيعِ الاولِ # ثم طلبني ورفيقي القاضيَ
شرفَ الدينِ واعادَ السؤالَ عن عليٍّ ومعاويةَ فقلتُ لهُ لاشكَّ انَّ الحقَّ
كانَ معَ عليٍّ وليسَ معاويةُ من الخلفاءِ فانهُ صحَّ عن رسولِ اللهِ صلى الله
عليهِ وسلَّمَ انهُ قالَ الخلافةُ بعدي ثلاثونَ سنةً وقد تمتْ بعليٍّ
فقالَ تمرلنك قلْ عليٌّ على الحقِّ ومعاويةُ ظالمٌ قلتُ قالَ صاحبُ الهدايةِ
يجوزُ تقليدُ القضاءِ من ولاةِ الجورِ فانَّ كثيراً من الصحابةِ والتابعينَ
تقلدوا القضاءَ من معاويةَ وكانَ الحقُّ معَ عليٍّ في نوبتهِ فانسرَّ لذلك
وطلبَ الامراءَ الذينَ عينهم للاقامةِ بحلبَ وقالَ انَّ هذينِ الرجلينِ
نزولٌ عندكم بحلبَ فاحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما ومن
ينضمُّ اليهما ولا تمكنوا احداً من اذيتهما ورتبوا لهما علوفةً ولا تدعوهما
في القلعةِ بل اجعلوا اقامتهما في المدرسةِ يعني السلطانيةَ التي تجاهَ

القلعة ففعلوا ما أوصاهم به إلا أنهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي

ولي الحكم منهم بحلب وكان يدعى الامير موسى بن حاجي طغاي

اني اخاف عليكما والذي فيه همة من سياق كلامه تمرلنك انه اذا امر بشيء

فعل بسرعة ولا يجيب عنه واذا امر بخيره فالامر تبعه لمن وليه *

وفي اول يوم من الربيع الآخر رحل الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق

وثاني يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحضنا لديه والمسلمين في امره دين

وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تمرلنك ارسل يطلب من عسكره رؤسا

من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي احدها فلما

وصلنا اليه جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عمر فسألنا عن طلبنا

فقال يريد بسئلتيكم في قتل نائب دمشق الذي قتل رسوله فقلت

هذه رؤس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير استفتاء وهو حلف ان لا يفعل

مثل ... فقعد افعاله ونحن ننظره ويدين يديه لحم سلق في طبق

يأكل منه ويتكلم معه بخير ثم جاء الينا شخص بشيء من ذلك اللحم فلم

نفرغ من اكله الا ورأينا تمرلنك صوته عال وساق شخص هكذا

وآخر هكذا وجاءنا امير عدل ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار

رؤس المسلمين وانما امر بقطع رؤس القتلى وان يجعل منها قبة اقامة لحرمته على جاري عادته ففهموا منه غير ما اراد وانه قل اطلقكم فامضوا حيث شئتم * وركب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة فى الاقامة بها واخذ الامير موسى احسن الله اليه فى الاحسان الينا وقبول شفاعتنا ونفذ احوالنا مدة اقامته بحلب وقلعتها وتجيئنا الاخبار ان سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تمرلنك ومرة تجي بالعكس الى ان انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل مع تمرلنك قتالا عظيما اشرف تمرلنك منه على الكسر والهزيمة وانما حصل من بعض امرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه آخذا بالحزم ودخل تمرلنك الى دمشق ونهبها واحرقها وفعل فيها فوق ما فعل بحلب ولم يدخل طرابلس بل احضر له منها مال ولا جاز فلسطين وعاد نحو حلب راجعا طالبا بلاده * ولما كان سابع عشر شعبان من السنة المذكورة وصل تمرلنك عائدا من الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخلها بل امر المقيمين بها من جهته بتخريبها واحراق المدينة ففعلوا وطلبني الامير

عزّ الدين وكان من اكبر امرائه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق من معك فاطلب من شئت وكثير لا روح معكم الى مشهد الحسين واقيم عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا احد وكان القاضي شرف الدين لا يفارقني فطلبنا باقي القضاة واجتمع معنا نحو من الفي مسلم وتوجهنا الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه واقمنا ننظر الى النار وهي تضرم في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق بها احد فنزلنا اليها فلم نر بها احدا فاستوحشنا وما قدرنا على الاقامة بها من النتن والوحشة ولم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك *

* شعر *

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر *

وكانت نواب بلاد الشام معه ماسورين وانفلتوا اولا باول وهم مسودون بالبطن معه في قبة يلبغا واستقر في نيابة دمشق تنكري وردي

والله اعلم * هذا ما نقلته من كلام ابن الشحنة *

كما وجدته *

ذكر ورود هذا الخبر الى اقلق * ووصول امتنبوغا الدوادار *

وعبد القادر الي جلق *

فورد من حلب استنبوغا اتكدار * والفتح الامر المدعو بعبد القادر * وقال لامراء الشر المسلمين * الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين * من بغتل رحلي حل * فليطلب لنفسه طريق النجا * ومن اطاق ان يشمر ذيله فلا يبيتن في دمشق ليلة * ولا يغالط نفسه بالله امنة * فليس الخبر كالمعاينة * فتفرقت الآراء * واختلفت الاهواء * وماج امر الناس موجا * وتفرقوا كما هو دأبهم فوجا فوجا * فبعض الناس انتصح * وجهز امره وانتزح * وبعضهم كابر واصر * وكشر انيابه لاستنبوغا وعبد القادر واهر * وارادوا رجم هذين الناصحين * وان يسقوهما كاس حين * وقالوا انما ارادتما بذلك تبديد الناس وتشريدهم * واجلاءهم عن اوطانهم وتجريدهم * وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم * والا فالامن حاصل * والسلطان بحمد الله واصل * والنواب في حلب كانوا شرذمة قليلة * ولم يتم لهم منه الفكر والحيلة * مع انه حصل من بعضهم مخامرة * ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهرة * ولم يكن لهم راس * فلاتاخذوا في هذه المسئلة بالقياس *

وأما عساكر مصر فانهم كاملوا العدة * وما بغوا العدة * وفيهم للمسلمين فرج بعد الشدة * فقالا نحن بعد اللتيا والتي من شرة سلمنا * وما شهدنا الا بما علمنا * وكل منا انصح عما ادى اليه اجتهاده وابان * ووالله انه في نصيحته المسلمين الذي يرا لعرفان * وقد نصحنا لكم ان كنتم مفلحين * ولكن لا تحبون الناصحين * واستمر امر الناس في التردد والشاعب * والتفرق والتبديد والتشاغب * فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه * وتوجه بعض الى الديار المصريه * وبعض تشبث باذيال الجروف العاصيه * وتحصن آخرون بالاماكن الغامصة القاصية *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر * من القاهرة بجنود الاسلام والعساكر *

ثم ان السلطان * خرج من غير توان * وتوجه بالعساكر والاستعداد التام * الى جهة بلاد الشام * فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم * وزال استيحاشهم * ورد غالب من كان برح منهم * وانفرج الكرب والضيق عنهم * واما اولوا العزم * وذووا الرأي السديد والحزم * فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان * بل طلبوا لنفسهم الامان * وانتظروا

بما يتولد من حادثات الزمان * وكأن انامل الفكر انبر * كتبت لهم على مرآة الخاطر ما انشده الشاعر * شعر *

* الا انما الايام ابناء واحد * وهذي الليالي كلها اخوات *
* فلا تطلبن من عند يوم وليلة * خلاف الذي مرت به السنوات *

وقلت * شعر *

ان اختفى ما في الزمان الآتي * فقس على الماضي من الاوقات

* فصـــــل *

ولما انجز تيمور امر حلب * ضبط اثقالها وما اخذ منها من مال وسلب * ووضعه في القلعه * ووكل به بعض امرائه من ذوي الشجاعة والمنعه * وهو الامير موسى بن حاجي طغاي * وكان ذا عزم شديد وراى * وتوجه بذلك البحر الطام * غرة شهر الربيع الآخر الى جهة الشام * فوصل الى حماه * ونهب ما حوت يداه * ولم يحتفل بامر نهب واسر * ولا باسراع في مسير * بل ما زرويدا * وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا *

* حكاية *

رأيت حين توجهت الى بلاد الروم في اوائل شهر الربيع الاول سنة

تسع وثلاثين وثمانمائة عند وصولنا الى حماة بالجامع النوري بها

من الجانب الشرقي على حائطه القبلي نقشا على رخامة بالفارسي

ما ترجمته * وسبب تصوير * هذا التسطير * هوان الله تعالى يسر لنا

فتح البلاد * حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد *

فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف

والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك

ان تنعقد المودة بين الجانبين * وتأكد الصداقة من الطرفين *

ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم

الى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا

لاستخلاص متعلقينا من ايدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماة

في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة *

* فصـــــل *

ثم وصل الى حمص فلم يتعرض بها لتشتيت وتبديل * ووهبها لسيدي

خالد بن الوليد *

قلت بديها * شعر *

* ألا لا تجاوروا سوى الخير * بين حيا وكن جارهم في القبور *
* ألم تر حمص وسكانها * نجوا من بحار بلا يا تمور *
* لأنهم جاوروا خالدا * ومن جاورا لا تقبا لا يبور *

وخرج إليه شخص من آحاد الناس * يدعى عمر بن الرواس * فاستجلب خاطره * وكأنه قدم إليه تقدمة فاخرة * فولاه أمور البلد * وركن إليه واعتمد * وولى قضاء تلك البلاد * رئيسا يسمى شمس الدين بن الحداد * ونادى بالأمان * للقاصي والدان * وتبايعوا بها وتشاوروا * وفي استفادة ربح الأمن لم يتماروا * ثم إن نائب الشام ضعف معه ومات على قبة يلبغا * ونائب طرابلس هرب منه وللخلاص ابتغى * فوصل إلى مدينته * واستقر في ولايته * فاضطرم غضبا * واستشاط لهبا * واشتعل قيظ غيظه * وقتل كل من وكله بحفظه * وأسعر بهم سقر * وكانوا ستة عشر * وأما تمرداش فإنه داراه وماراه * وهرب منه في قارا * واستمر علاء الدين التونبغا العثماني نائب صفد وزين الدين نائب غزة وغيرهما معه في صفد * ثم سار وما ارتبك * حتى نزل على بعلبك * فخرج أهلها ودخلوا عليه * وتراموا طالبين

الصلح بين يديه * فلم يلتفت الى هذا المقال * وارسل فيهم جوارح النهب والاستيصال * ثم ارتحل مجرياً ذلك البحر الزخار * والسيل التيار والطوفان الثرثار * حتى اشرف على دمشق من قبة سيار * ووصلت العساكر المصريه * والجنود الاسلاميه * وقد ملأوا الفضاء * واشرق الكون منهم واضاء * فيالق سهامها بحجب قلب من نوى الخلاف فالقه * وصواعق سيوفها في عفاص كل عقص صاعقه * واسنة رماحها لرتق سماء الارواح عن ارض الاشباح فاتقه * وقد طلبوا الاطلاب * وحزبوا الاحزاب * وعبوا الميمنة والميسرة * ورتبوا المقدمة والمؤخرة * وسووا القلب والجناح * وملأوا البطاح والبراح * وسابروا بالمقانب المكتبه * والكتائب المقنبه * والكواكب المكوكبه * والمراكب الموكبه * والمراتب المقربه * والمقربات المرتبه * والسلاهب المجنبه * والنجائب التي هي على اكل الشيم مستلهبه * وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم * ومن النسور القشاعم *

* قلت * شعر *

* ورب ذي لجب كالطود ذي حنق * كأنه البحر في أثناه غابات *

* بحران في كل موج منهما أسد * يلاعب الموت في كفيه حيات *

* كل يرى العين معناه وصورته * عند النزال وإن نزل فشطفات *

* إن يسر تلق السما في الأرض دائرة * أو سار تقل أرضا منه غبرات *

وقد تنكبوا حنايا المنايا ونقلوا سيوف الحتوف واعتقلوا الذوابل النواهل * وثبتوا حيث نبتوا وكأنهم خلقوا من كواهل الصواهل *

* قلت * شعر *

* كأن الجو ثوب لازوردي * يزركش نسجه قصب الرماح *

فإن عقد القتام عليه ليلا * أرتك صفاحه لمع الصباح *

* كأن نجومه النشاب ترمي * شياطين الكفاح لدى النطاح *

ولازالت أفواج هذه الأمواج * على هذا المنهاج متلاطمه * وأثماج هذا البحر العجاج * تحت العجاج متصادمه * وكل ينادي بطريق المفهوم * وما منا إلا له مقام معلوم * فوصلت غيلان الوغى * إلى قبة يلبغا * يوم الأحد العاشر * من شهر الربيع الآخر * عام ثلاثة وثمانمائة من الهجرة * فنزل كل من العساكر ميمنة وميسرة * واستقرت العساكر

والأمراءُ الاسلاميةُ * في البيوتِ والمساكن * ونزلت الجنودُ

رية * غربي دمشق من داريا والخولة وما يلي تلك الاماكن *

ودخل بعض اثقال السلطان الى البلد * وتحصنت القلعةُ والمدينةُ

بالسلاح والعدد * ثم اخذ كلٌّ من الجيشين حذره * وتجهز للمقابلة

والمقاتلة امره * وحفروا الخنادق * وسد كلٌّ على الآخر افواه المضائق *

وشرعوا في المهاوشة والمناوشة * والمهارشة والمعافشة * ثم امر السلطان

العساكر * بالبروز من المدينة الى الظاهر * وجعل يخرج من المدينة

رؤساء اعيانها * وتنحاز في المقاتلة الى سلطانها * والاطفال الصغار

والرجال * يجأرون الى الجبال * ينادون بحرقة * كل ليلة في الازقة *

يا الله يا رحمن * انصر مولانا السلطان * والناس في اضطراب

وحركات * يستنزلون النصر والبركات * ويستغيثون الليل والنهار *

يا مجاهدون الاسوار * واستشهد من رؤساء البلد في تلك الايام *

قاضي القضاة برهان الدين الشاذلي المالكي الحاكم بالشام * وشلت

يد قاضي القضاة شرف الدين عيسى المالكي بضربة حسام * وجعلوا

يأتون بمن يظفرون به من العدو فيمثلونه * وبما غنموا منهم من ناطق

وما مني فيشهرونه *

ذكر واقعة وقعت * ومعركة صدعت * لو انها نفعت *

ثم في بعض الايام * تعلم من اولئك الاغنام * نحو من عشرة آلاف * وزحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشاميه * نحو من خمس مائه * ثم انبعهم الامير اسنبغا في نحو من ثلاث مائه *

* شعر *

* اسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا ارسوا بحار اذا اسروا *
* شموس اذا الاحوال وراذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا همو ا *
* صقور اذا انقضوا نمور اذا سموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا *

مع كل منهم خطار تتجدد ورد الملاح لخطراته * وبتار يتعلم سفك الدماء من لحظاته * وحنية تضاهي حاجبه * وسهام في تشبيهها باجفانه صائبه * وترس لين اللمس * اذا تغطى به رأيت البدر على شمس * وعليه خوذة * كأنها من لمعان وجنته مأخوذة * او من بوارق طلعته مفلوذة * اذا نظر الطرف اليها يأخذه الانبهار * يكاد سنا برقها يذهب بالابصار * وليوس اشبه لابسه * وما ر ملابسه * ظاهرة حرير

فاعم كبشرته * وباطنه حب يذ كقلبه في قسوته * وقد امتطوا لفحول * من نجائب الخيول * فكأن بدور تلك الجموع * مع الرماح المتنسبة الاسنة عروس تجلى تحت الشموع * وتوجهوا الى حومة الوغى * وتلا قوا في واد خلف قبة يلبغا *

* فصـــــل *

ولما رأت هذه الاسود تلك الذئاب والكلاب * كانوا كالمؤمنين وقد رأوا الاحزاب * فبان منهم صحيح الضرب وعليله * وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله * فاحاط اولئك بهولاء لكثرة الغلبه * وادارا لقرضهم على هذه البحور الدائرة المجتلبه * وحين صاروا في خدن هذه الدائرة كالعروض * اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة بالحرب العضوض * فلولا ما اضمروا لهم في ذلك الزحف * قطف الرأس وخبل العقل وقطع الكف * فصلبوا بالرمح الطويل عقلهم * ونلموا بالرشق المديد شكلهم * وبتروا بالعضب البسيط وافرهم * وشتروا بالسهم السريع كاملهم * فحذوهم وقصموهم * وخزموهم وشعثوهم وثرموهم * وهتموهم ووقصوهم وعضبوهم * وعقصوهم وخزلوهم ونقصوهم *

فردٌ واصلٌ وهم على الاعجاز * وسلّوا على حقيقة الخلاص منهم المجاز * فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطورٍ ومقطوعٍ ومحذوفٍ ومجزورٍ ومنهوكٍ وموقوف * ورجع استنباط المشار اليه وقيل اقتضب بحر دماء المتدارك خفيفهم * واجتث بضربه المتقارب المتماسك ثقيلهم نحو عبقهم * وتسبيغ سوابغهم بالنصر مرفل * وبالتمكين التام مذيل * وبيت دائرتهم المتفقة آمن من التخلل * وعروضه وضربه سالم من الزحاف والعلل *

ذكر ما افتعله سلطان حسين * ابن اخت تيمور من المكر والمين *

ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور * اظهر انه خالف على خاله وجاء الى السلطان وفي باطنه امور * وكان شاباً ذا شجاعة * وعنده طيش ورقاعة * فاظهروا بقدومه الفرح واستشعروا النصر والمرح * وكان في رأسه جمة شعر فازالوه * وخلعوا عليه وفي زيهم اظهروه *

* فصــــل *

ثم ان تيمورا شاع انه خار وتتعتع * فرحل قليلاً ورجع القهقرى

وتكعكع * كل ذلك من مكائده * وحبائل مصائده * وبيان ذلك انه

بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيفرون * فيفوتونه

باذ ذاك فاظهر الخون * وشيع انه راحل لبثينهم * وعن الفرار

يثبطهم * فلما عزموا على الفرار * لم يبن لهم ثبات ولا قرار *

ذكر ما نجم من النفاق * بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق *

وكان اتابك العساكر * وكافل الملك الناصر * الامير الكبير تاش بيك

وتحت يده الاكابر والاصاغر * والجند وان كان عدده كثيرا * والجيش

وان تراءى عدده غزيرا * لكن كان كل منهم اميرا * ولم يكن ذي

منهم سوى الرأي صغيرا * فتشتت آراؤهم * وتصادمت اهواؤهم *

وانتقلت اشعار شعائرهم من الدائرة المؤتلفة * الى الدائرة المختلفة *

ونقل كل منهم عن وزن بيته الى اعاريض * واخذ في عرض صاحبه

بالتقاريض * وظهرت تلك الساعة آيات الرحمن * في اختلاف

الالسنة والالوان * وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع *

وسلطوا على مرعى هزيلها النمر الغضوب والسبع * ولحق في سنة دنا

الجد بين الاصاغر بالاكابر * والاسافل بالاعالي

والاوائلُ بالاواخر * وصاروا كما قال الشاعر *

* شعر *

* تفرقت غنمي يوماً فقلت لها * يا ربِّ سلّط عليها الذئب والضبعا *

وتوجه منهم رؤس الى القاهرة * تاركاً كلٌّ منهم قوته وناصرة * وصدقوا تيمور في بغيه عنهم معرفة السياسة * والدربة في سلوك طرائق الرياسة *

* فصل *

ولما علم الغابرون * ما فعله السائرون * لم يسعهم غير تشمير الذيل * واتباعهم تحت جنح الليل * ومن تخلف عن قوم * اواخذته سنة اونوم * وقع في الشرك * وهوى الى اسفل الدرك * وكان الناس في الليل والنهار * ملازمين الاقامة على الاسوار * وكل قد فرح وابتهج * وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج * ففي بعض الليالي صعد الناس الى مكان عالي * واذا باماكن مخيم السلطان * قد ملئت من النيران * ولم يعرف احد ما الخبر * غير ان الدنيا ملئت بالشر والشرر * واصبحوا وقد خلت الديار * ولم يبق في قبة يلبغا نافخ نار * فخشعت اصواتهم وسكنت حركاتهم * فجعلوا يتهافتون وفيما بينهم

بها فتون * وماج الشر واضطرب * وقال الناس السلطان هرب *
فانقصم ظهر الناس * وايقنوا حلول الباس * وتفاقمت الهموم *
وتعاظمت الغموم * وتقطعت بهم الاسباب * وشمل الخلائق انواع
العذاب * وضاقت الحيل كالصدور * وتخبطت الاوامر والامور *

* فصـــل *

ثم ان تيمور حمد ربه * ورحل من مكانه ونزل القبة * والقى عصاه *
ونام مستريحا على قفاه * ونادى بمعنى ما قلت * شعر *

* الحمد لله نلنا ما نؤمله * والضد ادبر والمأمول قد حصلا *
وحفر الخنادق حوله * وبث في الاطراف رجله وخيله * وارسل
الطلب * وراء من هرب * وصار كلما اتي باحد من اجناد الرجال *
امر بالقائه بين يدي تلك الافيال * فتفعل معه الافيال في تلك
الفلاة * ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكوة *

* فصـــل *

واما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم * لانه نشز نشوز الغيم *
وانما بانصباب الايم * وتوجه على وادي التيم * فانتشرت شياطين

تيمور في الارض * وملأت الطول والعرض * ووصلت طرا شتهم الى اطراف البلاد وضواحيها * وعامة القرى ونواحيها * وجعلوا من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها * وتقدموا الى المدينة * وكانت كما ذكرنا لاهبة حصينة * وبانواع الاستعدادات مكينة * مسدولة الحجاب * مغلقة الابواب * فتمنع اهلها عليهم * ولم يسلموها اليهم * رجاء ان يشموا من النجدة الارج * او يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج * فاستمروا على ذلك نحوا من يومين * ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة * ومن ظنهم المين * فكان قدوم السلطان وذهابه بالعساكر * كما قال الشاعر *

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها اقشعت وتجلت *

ذكر خروج الاعيان * بعد ذهاب السلطان * وطلبهم من تيمور الامان *

ولما خابت بهم الظنون * وعلموا انه حل بهم ريب المنون * اجتمع من المدينة الكبراء * والموجود من الاعيان والرؤساء * وهم قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي وولده قاضي القضاة شهاب الدين وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي وقاضي القضاة

شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين محمد بن
ابي الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير
وكان منصب الوزارة اذ ذاك له ابهة ما في الجملة والقاضي شهاب الدين
الباعوني الشافعي والقاضي شهاب الدين ابراهيم بن القرشي الحنفي
نائب الحكم رحمهم الله فاما القاضي الشافعي وهو علاء الدين ابن
ابي البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو برهان
الدين الشاذلي نائبه استشهد كما ذكر فخرج هولاء الاعيان *
وطلبوا منه الامان * بعد ما وقع المشاورة منهم والاتفاق * ونظمت
كلمتهم في سلك الوفاق *

* فصل *

ولما اقلع السلطان بفلك عساكره المتحون * وقع في بحر العساكر التيمورية
قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون * وكان من اعلام الاعيان *
وممن قدم مع السلطان * فلما قتل السلطان وانفرك * ... كان ...
فوقع في الشرك * وكان نازلا في المدرسة العادلية * فتوجه هولاء
الاعيان اليه في تدبير هذه القضية * فوافق فكره فكرهم * فملكوه

في ذلك امرهم * وما وسعهم * الا متصحبا به معهم * وكان مالكي
المذهب والمنظر * اصمعي الرواية والخبر * فتوجه منهم بعمامة
خفيفة * وهيئة ظريفة * وبرنس كهو رقيق الحاشية * يشبه
من دامس الليل الناشية * فقدموه بين يديهم * ورضوا باقواله
وافعاله لهم وعليهم * وحين دخلوا عليه * وقفوا بين يديه *
واستمروا واقفين * وجلين خائفين * حتى سمح بجلوسهم * وتسكين
نفوسهم * ثم هش اليهم * ومرضاحكا عليهم * وجعل يراقب احوالهم *
ويسبر بمسبار عقله اقوالهم وافعالهم * ولما رأى شكل ابن خلدون
لشكلهم مباينا * قال هذا الرجل ليس من ها هنا * فانفسح للمقال مجال *
فبسط لسانه وسنذكر ما قال * ثم طووا بساط الكلام * ونشروا بساط
الطعام * فكوموا تلالا من اللحم السليق * ووضعوا امام كل ما به يليق *
وبعض تعفف عن ذلك تنزها * وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث
ولها * وبعض مد يده واكل * وما جبن في مصاف الالتهام ولا نكل *
والى الاكل ارشدهم * ونادهم وانشدهم *

* شعر *

نوا اكل من ان عاش اخبروا هله * وان مات يلق الله وهو بطبن *
وكان من جملة الآكلين * قاضي القضاة ولي الدين * وكل ذلك وتيمور
ترمقهم * وعينه الخزراء تسرقهم * وكان ابن خلدون ايضا
يصوب نحو تيمور الحدق * فاذا نظر اليه اطرق * واذا ولى عنه
رمق * ثم نادى وقال * بصوت عال * يامولانا الامير * الحمد لله العلي
الكبير * لقد شرفت بحضوري ملوك الانام * واحييت بتواريخي
ما ماتت لهم من الايام * ورأيت من ملوك العرب فلانا وفلانا *
وحضرت كذا وكذا سلطانا * وشهدت مشارق الارض ومغاربها *
وخالطت في كل بقعة اميرها ونائبها * ولكن لله المنة اذ امتد بي زماني
ومن الله علي بان احياني * حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة *
والمسلك شريعة السلطنة على الطريقة * فان كان طعام الملوك يؤكل
لدفع التلف * فطعام مولانا الامير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف *
فاهتز تيمور عجبا * وكاد يرقص طربا * واقبل بوجه الخطاب اليه *
وعول في ذلك دون الكل عليه * وسأله عن ملوك العرب واخبارها *
وايام دولتها وآثارها * فقص عليه من ذلك ما خلع عقله وحاله *

وجلب لبه وسلبه * وكان تيمور في غير الملوك والامم امه * وبالنار يخ شرقا وغربا وامه * وسنذكر لهذه المعان * بديع بيان *

* فصل *

وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك البصير * اذا بالقاضي صدر الدين المناوي في ايديهم اسير * وكان قد تبع السلطان في الهرب * فادركه في ميسلون الطلب * فقبضوا عليه * واحضروه بين يديه * واذا هو بعمامة كالبرج * وازدان كالخرج * فتخطى الرقاب * وجلس من غير اذن فوق الاصحاب * فاستشاط تيمور غضبا * وملأ المجلس لهبا * وانتفخ سحره * وسجر غيظا نهره * وشخر ونخر وهمهم وانتهر ونقه ورخر * وامر طائفة من المعتدين * بالتنكيل بالقاضي صدر الدين * فسحبوه سحب الكلاب * ومزقوا ما عليه من ثياب * واوسعوه ضربا وشتما * واشبعوه ركلا ولكما * ثم امرهم بتشديد اسره * وتجديد كسره * وترادف الاساءة اليه * وتضاعف الكسرات على رغم التصريف فيه عليه * فاخرج اخراج الظالم * يوم يولي مدبرا ماله من دون الله من عاصم * ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه * من ترتيب غوائله ودواهيه *

فألبس كلاً من هؤلاء الأعيان خلعة * وأقامه عنده في عزة ورفعة *
ثم ردهم منشرحي الصدور * في دعة وسرور * وفي خاطره
شرور * وأمور تمور * فساروا * وقد حاروا *

* قلت * شعر *

* كالهندي بينه المهدي وعظمه * وعن قريب لضيف الموت أطعمه *
وسوغ لهم رأيه ويهم الأمان * على أن يدفعوا إليه أموال السلطان *
وماله وللأمراء من أثقال * وتعلقات وأموال * ودواب ومواش * ومماليك
وحواش * ففعلوا ما به أمر * ورفعوا إليه ما بطن من ذلك
وما ظهر * فأما القلعة فإنها استعدت للحصار * وكان نائبها يدعى
ازدار * فحصنها * وبالأهبة الكاملة مكنها * وانتظر من السلطان
نجدة * أو ما نعار بأنبا يفرج عنه الشدة * فلم يلتفت تيمور في أول
الأمر إليها * ولا احتفل بها ولا عرج عليها * بل صرف همه إلى تحصيل
الأموال * وتوسيق الأحمال بالأثقال * فلما حصل الثقل * وإلى
خزائنه انتقل * طرح على المدينة أموال الأمان * واستعان على
استخلاصها بهؤلاء الأعيان * وأقام عليهم دواوينه وكتبته * وأهل

القبط والخرص من مباشرته وحسبته * وفوض ذلك الى كفاية الله داد * احد اركان دولته ومن عليه الاعتماد * وهو اخو سيف الدين المار ذكره في اول الكتاب لامه * واقام معهم كل جبار عنيد ومن نشأ في حجر الفظاظة ورضع ثدي ظلمه * ونادى بالامان والاطمئنان * وان لا يبغي انسان على انسان * فمد بعض الجغتاي يده الى غارة * بعد ما سمعوا هذا النداء واشتهاره * فبلغ ذلك تيمور * فامر بصلبهم في مكان مشهور * فصلبوهم في التحريريين * براس سوق البزوزيين * ففرح الناس بهذه الفعله * واملوا خيره وعدله * وفتحوا من ابواب المدينة الباب الصغير * وشرعوا يحررون امر المدينة على التقدير والقطمير * فوزعوا هذه الاموال على الحارات * وتنادى اهل الظلم والعدوان من القريب والغريب يا للثارات * وجعلوا دار الذهب مكان المستخلص * وطفقوا يلقون الناس في ذلك المقنص * وتسلط بعض الناس على البعض * واصطادوا ارانب الارض بكلاب الارض * وكان فصل الخريف كجيش مصر قد قفل * وفصل الشتاء بزمهريره كجند تيمور بنيرانه على العالم قد نزل * فانتقل الى القصر الابلق *

ثم الى بيت الامير جخاص وامر بالقصران يهدم ويحرق * ودخل
الى المدينة من الباب الصغير * في جمع كثير * وصلى الجمعة في جامع
بني امية * وقدم الحنفية على الشافعية * وخطب به قاضي القضاة
محيي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور * وجرى ما يطول شرحه
من امور وشرور * ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي
المعتزلي * وبين علماء الشام لاسيما قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم
بن مفلح الحنبلي * مناظرات ومناقشات * ومباحثات ومراجعات *
وهو في ذلك كترجمانه * يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه * فمنها
وقائع علي ومعاويه * وما مضى بينهم في تلك القرون الخاليه *
ومنها امور يزيد وما يزيد * وقتله الحسين السعيد الشهيد * وان
ذلك ظلم وفسق بلا نكر * ومن استحله فهو واقع في الكفر * ولا شك
ان ذلك الفعل الحرام * كان بمظاهرة اهل الشام * فان كانوا مستحليه
فهم كفار * وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واشرار * وان
الحاضرين * على مذهب الغابرين * فحصل منهم في ذلك انواع
الاجوبه * فمنها ما ردة ومنها ما اعجبه * الى ان اجاب كاتب السر

وايجاز * واصاب فيما قال لو افاد * اطال الله الكبير * بقاء مولانا الامير *
اما انا فنسبي متصل بعمر وعثمان * وان جدي الاعلى كان من اعيان
ذلك الزمان * وحضر تلك الوقائع * وخاض هاتيك المعامع * وكان
من رجال الحق * وابطال الصدق * ومما تواتر من فعله * ووضعه
الشيء في محله * انه توصل الى راس سيدنا الحسين * ونزهه
عما حصل له من ابتذال وشين * ثم نظفه وغسله * وعظمه وقبله
وطيبه وبجله * وواراه في تربه * وعد ذلك عند الله تعالى
من افضل قربه * فلذلك ايها الغمام الصيب * كنوه بابي الطيب *
وعلى كل تقدير * ايها الامير * فتلك امة قد خلت * وغموم غيوم بها انجلت *
وبما جرعت انقضت * وبما اذاقت مرت او حلت * وفتن اراحنا الله
اذ ازاحنا عنها * ودماء طهر الله سيوفنا منها * واما الساعه *
فاعتقادنا اعتقاد اهل السنة والجماعه * فلما سمع هذا الكلام قال يا لله
العجب * وما سميتم باولاد ابي الطيب الا لهذا السبب * قال نعم
ويشهد لي بذلك القاضي والله اني * وانا محمد بن عمر محمد بن ابي
القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن ابي الطيب العمري العثماني * فقال

لكَ المعذرة * ياطيِّبَ الأسلاف * لولا انّي ظاهرُ العذرِ لحمّلتك على ما تقي والأكتاف * ولكن سترى ما افعلهُ معكَ ومعَ اصحابكَ من التكريم والألطاف * ثم انه ودعهم * وبالتعظيم والاحترام شيّعهم * ومنها انه سألهم كناية * سؤالَ اضرارٍ ونكاية * فقالَ ما اعلى الرتب * درجة العلم اودرجةُ النسب * فاذكروا فضله وفهموا * لكن عن ردِّ الجواب وجموا * وعلم كلٌّ منهم انه قد ابتُلي * فابتدر بالجواب القاضي شمسُ الدينِ النابلسيُّ الحنبلي * وقالَ درجةُ العلمِ اعلى من درجةِ النسبَ * ومرتبتها عندَ الخالقِ والمخلوقِ اسنى الرتب * والهجينُ الفاضل * يقدَّمُ على الهجانِ الجاهل * والمقرفُ المنيف * اولى للإمامةِ من السيدِ الشريف * والدليلُ في هذا جلي * وهوَ اجماعُ الصحابةِ على تقديمِ ابي بكرٍ على علي * وقد اجمعوا على أنّ ابا بكرٍ اعلمهم * واثبتهم قدما في الاسلامِ واقدمهم * واثباتُ هذهِ الدلالة * من قولِ صاحبِ الرسالة * لاتجتمعُ امتي على ضلالة * ثم اخذَ في نزعِ ثيابه * مصيخا لتيمورَ وما يصدرُ من جوابه * ففكَّ ازرارهُ * وقرر تيسه انما انت عارة * وكاسُ الموتِ لابدَّ من شربها * فسواء ما بين بُعدها

وقربها * والموت على الشهادة * من افضل العبادة * واحسن اقوال من اعتقد انه الى الله صائر * كلمة حق عند سلطان جائر * فسال ما يفعل * هذا المهمل * فقال يا مولانا الجليل * ان فرق عساكرك كامم بني اسرائيل * وفيهم من ابتدعوا بدعا * وتقطعوا في مذهبهم قطعا * وفرقوا دينهم وكانوا شيعا * ولا شك ان مجالس حضرتك تنعقد وعقائل مباحثها تحل العقد وتعتقل * واذا ثبت هذا الكلام عني * ووعاه احد غير سني * خصوصا من ادعى موالاة علي * ويسمى في رفضه ابا بكر بالرافضي * وتحقق مني يقيني * وانه لاناصر لي يقيني * فانه يقتلني جهارا * ويريق دمي نهارا * واذا كان كذلك فانا استعذ لهذه السعادة * احتم احكام القضاء بالشهادة * فقال لله هذا ما افصحه * واجراه في الكلام واوقحه * ثم نظر الى القوم * وقال لايد خلن هذا محلي بعد اليوم

* فصـــل *

وهذا الرجل اعني عبد الجبار كان عالم تيمور وامامه * وممن يخوض في دماء المسلمين امامه * وكان عالما فاضلا * فقيها كاملا * بحاثا محققا *

اصوليا جدليا مدققا * وابوه النعمان * في سمرقند كان * وهو في الفروع من اعلم اهل الزمان * حتى كان يقال له النعمان الثاني * وكان من القائلين بعدم الرؤية في الاخرى * فاعمى الله تعالى بصره كبصيرته في الدنيا * واكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه الفروع ونقل عنه مسائل المشروع * ولا خلاف في الفروع بين اهل السنة واهل الاعتزال * وانما اختلافهم في اصول الدين في مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال *

* فصــــل *

وتصدى لاستخلاص الاموال من اهل الشام * كل غشوم ظلام وكفور صدام * وكان في قلة وفاقه * كصدقة بن الحاربي وابن المحدث وعبد الملك بن التكوبتي المنبوز بسماقه * وغيرهم من نظرائهم * من عواقب الظلم وابنائهم * مع حضور اكابر المدينة واعيانها المار ذكرهم ورؤساء قطانها * فانه لم يمكنهم في ذلك ان يتخلفوا * ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا * وحضور دواوينه وحسابه وضابطي امور خزائنه وكتابه * ومنهم خواجه مسعود السمناني *

ومولانا عمر تاج الدين السلماني * كل ذلك في دار الذهب وهو مكان مشهور * ونزل الله داد داخل الباب الصغير في دار ابن مشكور * وجعل كل من في قلبه من احد ضغينه * او بغية دفينه * او غل او حسد او حقد او نكد * يغمز على اخوته او ليث الظلمة الفظاظ * والزبانية الشداد الغلاظ *

* شعر *

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا *

بلى بادنى اشارة * واقل عبارة * يبنون على ارض وجود ذلك المسكين من جبال النكال قصورا شواهق * وينشئون على حدائق ذاته من سماء العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق * وتبرق له من الدمار والبوار بوارق *

* فصـــــل *

ثم انه صار في هذه المدة * يحاصر القلعة ويعد لها ما استطاع من عدة * وامر ان يبني مقابلتها بناء يعلوها * ليصعدوا عليه فيهدوها * فجمعوا الاخشاب والاحطاب وعبوها * وصبوا فوقها الاحجار والتراب

وَدَكُوها * وذالك من جهة الشام والغرب * ثم علوا عليه وناوشوها
الطعن والضرب * وفوض امر الحصار * لامير من امرائه الكبار *
يدعى جهان شاه * فتكفل بذلك وعاناه * ونصب عليها المجانيق *
ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق * وكان فيها من المقاتلة * فئة
غير عاطلة * امثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقي *
وشهاب الدين احمد الزردكاش الحلبي * فابليا في عسكره بلاء
حسنا * وكان على جيشه كلما فاء الى فنائهم وباء مصيبة وفنا * فاهلكا
من جيشه بالاحراق * وارعاد المدافع والابراق * ما فات العد *
وتبدد عن دائرة الحد * ولكنه لما احاط بها من بحار تخريبه سيل
عرم مائلها * وامطر عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق
كماته صيب وابلها * اتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن ايمانها
وعن شمائلها * وكلت عن المجاذبة والمنابذة ايدي مقاتلها * فطلبوا
الامان * ونزلوا اليه من غير توان * وكل هذا الامر المهول والقضاء
العجب * في اواخر شهر الربيع الآخر وجمادين وشهر رجب * ولكن
ما نال من القلعة روما * الا بعد محاصرتها ثلاثة واربعين يوما *

وصار في هذه المدة بتطاب الافاضل * واصحاب الحرف والصنائع وارباب الفضائل * ونسج الحريريون له قباءً بالحرير والذهب * ليس له درز فاذا هو شيء عجب * وبنى في مقابر الباب الصغير قبتين مثلا صغيرتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم * وامر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم وقدم *

ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس * خوفا من ان يحل به الباس * ووقي وقيا بنفائسه النفوس والانفاس *

وكان في صفد * تاجر من اهل البلد * احد الروساء والتجار * يدعى علاء الدين وينسب الى دوادار * كانه تقدمت له خدمة على السلطان * فولاه حجابة ذلك المكان * فلما توجه النواب الى حلب * والعادة ان ينوب عن نائب البلدة في غيبته من حجب * ناب عن نائبها التونبغا العثماني * حاجبها علاء الدين الدواداري * فغرق في اسر ذلك الطوفان * كل النواب من جملتهم العثماني وابن الطحان * ومات منهم من مات وفر من فر * واستمر في قيد الاسر التونبغا وعمر * فلما قدم تيمور الشام * وحل بها منه ما يحل من قضاة السوء باموال الايتام *

شرع كل متول في بلاد * يفعل ما ادى اليه الاجتهاد * فبعض حصن اماكنه * وبعض مكن كمائنه * وطائفة استنجزت للنفار * وفرقة استوفزت للفرار * وقوم سالموا وساكنوا * وهادوا وهادنوا * ففكر علاء الدين المذكور وقدر * وتأمل في خلاص صاحبه وبلده وتبصر * وكان من انباء الناس * وعنده ذوق الاكياس * واستشار مصيب عقله في ذلك واستنطقه * فقال دارة بما معك من مال واترك سرب الفرار ونفقه * وما كنى به اذ قال له كل مداراة عن العرض ستر له وصدقة * وكان ذا مال ممدود * فقال ما ادخرت الدنانير الصفر والدراهم البيض الا للايام السود * فطلب من تيمور الرياضه * واراد ان يجس اولا بمياملته مخاضه * فعالج هذا الامر علاج النطس المريض * وبادر بالمهاداة وحال الجريض دون القريض * وارسل الى تيمور اجناسا من ماله الطويل العريض * واستمال خاطره * واستدعى اوامره * ثم اردفها باضعافها * واضعف حوامرها باردافها * فشكر تيمور له صنعه * وزاده ذلك عنده منزلة ورفعه * وارسل اليه مرسوم امان * وان يعامل هو واهل بلده بالمجاملة والاحسان * فليومن روعهم * وليسكن

جنسهم ونوعهم * ولتؤنس وحشتهم * ولتذهب دهشتهم * بحيث
انهم ربما يعون وينشارون * والى معاملتهم من عساكره يتجارون *
وان استطال احد من اجناده * ولو انه من اخوته واولاده *
فليقابله بالمنع والانكار * والضرب والاشهار * وصار يطلب منه ما ارادة *
فيرسله اليه بزيادة * وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقل وجنس
طلبا * زاد علاء الدين لذلك نشاطا وطربا * ومن جملة ما اقترح
عليه في ذلك المقبض * حمل بصل ابيض * بناء على ان ذلك لا يوجد *
فى الشام باسرها فضلا عن صفد * ففى الحال وجد من ذلك ثلاثة
احمال فارسلها اليه كما هي * وكان ذلك من الفضل الالهي * حتى احبه *
وتمنى قربه * وقال فيه معنى *

ما قلت * شعر *

* داريت وفتك واحتميت ببذل لى ما لك يا بشر *
* لو كان مثلك آخر * فى الشام ما سمت بشر .

وتوجه طوائف من العسكر اليهم * واشتروا منهم وباعوا عليهم * واستمرت
عقود المصادقة لم تحل * الى ان قوض خيامه عن دمشق ورحل *

فلما انقشع عن الشام ضباب ضيره * وامتد في ميدان الرحيل
حبل سيره * اعقب علاء الدين الدواداري * فاصل الى ذلك الاسد
الضاري * رمعه تحف سنيه * وننب موكبه * ومطالعة فحاويها رائقه *
ومبانيها فائقه * والفاظها بالخضوع والخشوع ناطقه * فيها
من الترقيقات ما تقشعر منه الجلود * ويلين له الجلمد والصخر
الجلمود * ويجري في طبائع الابدان اليابسة جري الماء في العود * وطلب
في اثنائها مرحمة في امر العثماني وابن الطحان * وجزناصية عبوديتهما
بمقراض الاعتاق والامتنان * وان يجعل العفو عنهما شكر القدره *
ويفيض عليهما من بحار مراحمه قطره * وانهما اقل من ان ينسبا
الى اسره * اذ ملوك الارض تود لو كانت اظفا لا تحت حجره * ورأيه
الشريف اعلى * وامتثال ما يبديه من المراسيم اولى * فلما اطلع تيمور
على فحواه * وفهم ما ابداه وما انهاه * وشاهد تحفه وهداياه *
وتفكر في اول امره ما لحمه معه من الخدم وما اسداه * والخبر له
تأثير * والبادئ اكرم * والشر كله تقصير * والبادئ اظلم *

قلت * شعر *

ترقب جزا لحسنى اذا انت محسنا * ولا تخش من سوء اذا انت لا تسي *

وقيل * شعر *

* من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس *

لان تابعه وان كان جديدا * وهان صعبه الذي لم يزل شديدا *

ندماهما * واكرم مثواهما * واحسن اليهما * وذكر لهما شفاعة علاء

الدين فيهما * ثم امنهما الباس * واعطاهما ثلاثة افراس * للعثماني

اثنان * وواحدة لعمر بن الطحان * ثم اضاف اليهما من * بلغهما

المأمن * فوصل كل منهما الى دار عزته * وحل ذاك في صفد

وهذا في غزته *

* فصـــــل *

ولما تنجز لتيمور اخذ القلعة * جهز امره ورام الرجعه * وقد استخرج

منها ما اراد من نفائس واموال * بانواع العقاب واصناف

العذاب والنكال *

ذكر معنى كتاب ارسل اليه * طي بك بيسق بعد ما فروا من بين يديه *

وقيل ان السلطان لما هرب * ارسل اليه كتابا آثاره منه الغضب *

فمن معتاده * وفحوى ما عناه * لاتحسب اننا جزعنا منك * وفررنا عنك *
وانما بعض مما لبكنا قوى انفاسه * واخرج عن ربقة الطاعة راسه *
وتصور ان كل من خرج عرج * ولم يعتبر من رام للارتقاء سلّما ذا درج *
واراد بذلك مثلك القاء الفساد * وهلاك العباد والبلاد * وهيهات فان
دون مرامه خرط القتاد * والكريم اذا ابتلى بجسمه مرضا ندا وى
الاخطر * ورأيناك انت اهون الخطبين واحقر * فثنى عزمنا
الشريف عنانه * ليعرك من ذلك القليل الادب آذانه * ويقيم
في نظم طاعته ميزانه * وايم الله لنكرن عليك كرة الاسد الغضبان *
ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان * ولنحصدنكم
حصد الهشيم * ولندوسنكم دوس الحطيم * فلنلفظنكم رحى الحرب
في كل طريق * لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق *
ولنضيقن عليكم سبل الخلاص * فلنناد ن ولات حين مناص *
ونحو هذه الترهات * ومثل هذه الخرافات * التى هى كالملح
على المجروح * وكالريح عند خروج الروح * ولوكان بدل هذا
الكلام الذى لاطائل فيه * والخطاب الهذ بان الذي تمجه الآذان

وترميه * ما يستميل خاطره * ويطفئ من لهيب غضبه نائرة * مع شيء من الهدايا والتقادم * وابراز قضاياهم في صورة المعتذر النادم *
وربما كان كسر من غيظه * او وهن من حنقه وبرد من قيظه *
وانما فعلوا تلك المعذرة * بعد حريق دمشق وخراب البصرة * وارسلوا الخدم والهدايا فخمة النعام والزرافات * وقد اعجز التدارك
وفات * وصاروا كما قيل *

* شعر *

ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله * في النائبات ولكن بعد ما افتضحا *

وكما قيل * مصراع * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل *

* فصـــل *

ذكر يشبك هذا قال لما مثلت بين يديه * واديت الرسالة اليه *
وقرئ الكتاب عليه * قال لي قل الحق * ما اسمك قلت يشبك * قال
ما معنى لون هذا اللفظ المزري * قلت له مولانا لا ادري * فقال انت
لا يعرف معنى لون اسمك يا شغاله * فكيف تصلح لحمل الرساله * ولولا ان
عادة الملوك ان لا يهيجوا الرسل * وقد مهد وامل ذلك القواعد وسلكوا

السبل * وانا اولى من يتبع آثار السلاطين * ويحيي سنن الملوك الماضين * لفعلت معك ما يجب فعله * ولا وصلتك ما انت اهله * وبعد هذا فلا عتب عليك * وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك * ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه * ومدرك عقله وفهمه * وقد ظهر بفعله الوبيل * نتيجة

ما قيل *

تحير اذا ما كنت في الامر مرسلا * فمبلغ آراء الرجال رسولها *

ثم قال لي توجه الى قلعتكم * ومكان عزتكم ومنعتكم * فلما جئت فوجدتها قد دكت دكا * وسيم حرمها وحريمها خسفا وهتكا * ثم اتيته * وذكرت له ما رأيته * فقال ان مرسلك اقل من ان اجامله * واذل من ان اراسله * ولكن قل له انني واصل اليه على عقبك * وها انا منتسب منها لسبب اسود بذنبك * فليشمر للفرار وللفرار بل * وليبذل لا يهما اختار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل * ثم امرني فاخرجت وما صدقت * ان تصوبت الى جهة مصر وخرجت *

* فصـــــل *

وجيشه ملأ جراب طمعه من نفائس الأموال ورده * واستدر خلفا نها شيأ فشيأ صافيا ورنقا حتى صفاها بقطنه * أمر بتعذيب هؤلاء الأمراء الكبار * فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكووهم بالنار * واستخرجوا خبايا الأموال منهم استخراج الزبيب بالمعصار * ثم اطلق عنان الإذن لعساكره بالنهب العام * والسبي الطام * والفتك والقتل والإحراق * والتقييد بالأسر على الإطلاق * فهجمت أولئك الكفرة الفجرة على ذلك أشد الهجوم * وانقضوا على الناس بالتعذيب * والتتريب والتخريب * انقضاض النجوم * واهتزوا وربوا * وفتكوا وسبوا * وصالوا على المسلمين وأهل الذمم صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم * وفعلوا ما لا يليق فعله * ولا يجمل ذكره ونقله * وأسروا المخدرات * وكشفوا غطاء المستورات * واستنزلوا شموس الخدور * من أفلاك القصور * وبدور الجمال من سماء الدلال * وعذبوا الكبار والأصاغر بأنواع العذاب * وبدا للخلائق ما لم يكن في الحساب * واستخلصوا بإصلاء النار زجوا من الناس منهم خلاصات الذهب * وصنفوا في استخراج النفائس

من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضى منها العجب * وفرقوا بين الوالدة وولدها * والروح وجسدها * وذهلت كل مرضعة عما ارضعت * وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعته * وفر المرء من اخيه وامه وابيه * وصاحبته وبنيه * وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه * وذل العزيز والكريم * وهان الخطير والجسيم * وطم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم * وتبلدت الفهوم وتراكمت غيوم الغموم * فاقسم بالله لقد كانت تلك الايام * علامة من علامات يوم القيام * اسفرت تلك الساعة * عن اشراط الساعة * واستمر هذا النهب العام * نحواً من ثلاثة ايام *

ذكر القائهم النار * في البلد لمحو الآثار *

ثم انهم لما انتهوا العيث والعبث * وقضوا في حج فسادهم التفث * واتموه بالفسق والجدال والرفث * وطافوا وسعوا في المنكرات * رموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات * وافاضوا ما اراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار * ورملوا في اشواط الاحراق فارسلوا في حرم الله بنيرانا من نار * وكان فيهم من روافض الخراسانية * فاطلقوا النار في جامع

بني امية * فتشبثت النار بلهبها * وساعدت الريح بهبوبها * فتسلرقا في محو الآثار * ريحا ونارا * واستمرا على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا * فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس * وانمحى باسان النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس * وامست تلك المغاني لاتسمع فيها لاغية ولا الهمس * واصبحت حصيدا كان لم تغن بالامس * وذلك بعد ان اظهروا ما اخذوا من اموال * واوسقوا منه الاحمال *

ذكر اقلاع هاتيك الرزايا * واقشاع غمام تلك الدواهي والبلايا * عن بلاد الشام بما تحمله من اوزار وخطايا *

ثم ارتحل ذلك الفتان * واقلع صيب بلائه الهتان * يوم السبت ثالث شعبان * وقد اخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم * وتحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوة استطاعتهم * فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل * ويلقونه شيأ فشيأ في اوعار المراحل * وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل * واضحت القفار والبراري * والجبال والصحاري * من الامتعة والاقمشة * كأنها اسواق الدهشة * وكأن

الارض فتحت خزائنها * واظهرت من المعادن والفلزات كامنها *

قلت بديها * شعر *

* وصار لسان شرهم ينادي * على قنن الشواهق والبوادي *

الا ذي شنشنة عرفناها * وعادة نساد الفناها * ومن ملكنا ودينه اقترفناها * نهبنا اموال المسلمين وحفظناها * وما في وجهها صرفناها * ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها *

ومع ذلك فلو اخذ من نفائس دمشق اضعاف ما اخذ * وقلل من اكباد ذخائرها آلاف ما فلذ * ما غاض ذلك ما في عينها * ولا نقص من بحار معينها * ولكن النار كانت هي البلاء الداهي * والمصاب المتناهي * لانها احرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغوث * فما ظنك بما يكون من العمائر والاقمشة والاثاث * وضربت الكلاب باكل لحوم من مات داخل البلد * فما صار يجسر على العبور الى جامع بني امية احد *

ذكر ما جرى في مصر وسائر الاقطار * عند سماعهم هذه الاخبار * واستيقانهم هذه الاهوال والاخطار *

فاما مصر فما دونها من البلاد فانها تخبطت * وانحلت قواها وايديها تربطت * وعدمت القرار * واستعدت للفرار * فلو رأيت الناس وهم حيارى * سكارى وما هم بسكارى * اذ انهم راجفة * وقلوبهم واجفة * واصواتهم خافتة * وابصارهم باهتة * وشفاههم يابسة * وصدورهم يائسة * ووجوههم باسرة * تظن ان يفعل بها فاقرة * وقد استوفز كل من اهل الامصار * وسكان الانجاد والاغوار * وقد اصاخ لما يرد عليه من جانب الاخبار * فيبني على ذلك ما يكون * من متعلقات الحركة والسكون * فانثنى تيمور على طريقته العوجا * ورجع على سبيل بغيه التي اتخذها شرعة ومنهاجا * وقد سدت عساكره الآفاق والاكناف * وعمت هيبته الارجاء والاطراف *

ذكر من اصيب من سهام القضاء بالرشق *
ووقع في مخاليب اسره من اعيان دمشق *

واخذ من اعيان الشام * ومشاهيرها الاعلام * قاضي القضاة محيي الدين بن العز الحنفي بعد ان عاقبوه بانواع العقاب وكووه * وسقوه الماء والملح وبالكلس والنار شووه * وولده قاضي القضاة

شهاب الدين ابو العباس * فوصلا الى تبريز ومكثا بها مدة في شدة وباس * ثم رجعا الى الشام * واخذ امرهما في الانتظام * وقاضي القضاة شمس الدين النابلسي الحنبلي * وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي * فتوفي الى رحمة الله الوهاب * غريقا في نهر التراب * وشهاب الدين احمد بن الشهيد المعتبر * وكان متحملا أوزار الوزر * بعد ان راموا عذابه * وطلبوا عقابه * وكان قد جهز متعلقيه الى الاماكن البعيدة * واقام هو في دمشق جريدة * فذكر لهم حكايته * وبذل لهم في دفع موجوده طاقته * فاخذ واما احفاه خفية ولم يعذبوه * ولكنهم بالابهة والقبة استصحبوه * فوصل الى سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن * انواعا من غربة وفقر ومحن * ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى * ومن الامراء الخاص * الامير الكبير بتخاص * وكان مقيد امعه ومات * عند وصوله الى الفرات * فاما القاضي ناصر الدين ابن ابي الطيب فانهم عاقبوه بكل بلية * وكان رقيق البدن لطيف المزاج سوداويه * فما كان عنده لذلك ثبات * فاعجزهم عما يرومون منه بالموت وفات * فمات واستراح * وشرب

من الشهادة كاس مدام جاءه وراح * فلذ فنوه عشيه * بالمدرسة
الكروسيه * ولما شرع في النهب العام المبرح * استشهد غلطا قاضي
القضاة تقي الدين بن مفلح * وبرهان الدين بن القوشة ضعف
سبعة عشر يوما * وانقطع في حارة تل الجبن لحق بالاموات قوما *
وكانوا قد خرجوا عن الاحياء والاموات * وخافوا ان لايكون لاحد
منهم من ايديهم بحجة الوفاة نوات * فضبطوا بيوت المدينة بيتا بيتا *
وحرجوا ان لايخرج الاحياء ولا تجهز الموتى * فلما مات المذكور
تعسرت الامور * فتحيروا في تجهيزه * وتغلبوا في امره وتجهيزه *
ثم بعد جهد بليغ وسعي كثير * دفنوه في الصالحية بعد اخراجه من
الباب الصغير * وخرج مع تيمور بالاختيار من الشام * عبد الملك بن
التكريتي فولاه نيابة سيرام * فمكث فيها القليل من الايام *
وهي وراء سيحون * وشخص آخر يدعى يلبغا المجنون * وكان مقربا
عنده * وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده * واخبره على ما قيل
بعد اوي * فخلصه بذلك من المهالك والمهاوي * وحصل له بذلك
قربه * وزيادة ملازمة وصحبة * فولاه ذلك الجساس * نيابة مدينة

قلعة هي ينكي بلاس * وراء نهر خجند * نحو خمسة عشر يوماً عن
سمرقند * بينها وبين سيرام * نحو من اربعة ايام * وكان اسم ذلك
الخؤن * احمد فلقت بيلبغا المجنون * واخذ من دمشق ارباب
الفضل واهل الصنائع * وكل ماهر في فن من الفنون بارع * من النساجين
والخياطين * والحجارين والنجارين * والاقباعية والبياطرة
والخيمية * والنقاشين والقواسين والبازدارية * وفي الجملة اهل اي
فن كان * وجمع كما ذكر السودان * وفرق هؤلاء الطوائف على
رؤس الجند * وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند * واخذ جمال الدين
رئيس الطب وشهاب الدين احمد الزردكاش وكان في القلعة كما ذكر
وأبادهم عسكره خلقا لا يحصون * ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون *
وكان في حدود التسعين وقد احدودب * فلما رآه قابله بالسخط
والغضب * وقال له انك افنيت صا غيتي * وحصيت غاشيتي *
وقصيت حاشيتي * فان قتلتك مرة واحدة لا يشفي غليلي * ولا يهدأ
عليلي * ولكن اعذبك كبر سنك * وازيدك كسرا على كسرك
ووهنا على وهنك * فقيده بقيد من فوق ركبتيه * زنته سبعة

أرطالٍ ونصف رطلٍ بالدِّمشقي وقصد بذلك التشديد عليه * فلم
يزل مقيدًا * مكتوب على قيده مخلَّدًا أبدًا * حتى مات تيمور *
وارتفعت الشرور * وخلص من القيد ذلك المأسور * ثم توفي الى
رحمة الله تعالى وربما يكون اخذ أناسًا من الفضلاء * والأعيان
والسادات والنبلاء * من لا أعرفه * فكيف أصفه * وكذلك كل
أميرٍ من أمرائه * وزعيمٍ من زعمائه * أخذ من الفقهاء والعلماء *
وحفاظ القرآن والفضلاء * وأهل الحرف والصناعات * والعبيد
والنساء والصبيان والبنات * ما لا يسع الضبط * ولا يحل الربط *
وكذلك كل من عسكره * اخذ كبيرًا وصغيرًا وأمره في أسره * لانه
ما ثم حرج على من نهب شيئًا وعزله * وكل من سبقت يده الى شيءٍ نهبوه *
وهذا اذا أطلق عنان الاذن بالنهب العام * تساوى فيه الخواص
من عسكره والعوام * ولو كان الناهب أسيرًا فيهم * او دخيلًا عليهم *
والسالب من غير طينتهم * ولكن أبيح له ذلك لما سار بسيرتهم *
وتخلق بشيمتهم * وأطلق عليه حكمهم * وأجري عليه حكمهم *
فاما قبل الاذن فلو تعدى احد على احد * وكان عند تيمور بمنزلة الوالد

او الولد * او استطال بمعقد ارجبه * او تقاعد بغارة او نهبه * فانه يهدر
ماله ودمه * ويهتك حرمته وحرمه * ولا ينجيه استغفاره وندمه *
ولا يحتج به اهله وخدمه * ولا يقال لعاثر من زلت به قدمه * وكانت
هذه قاعدة لا تخرم * وبنية لا تهدم *

ذكر ما اباده الجراد *

ولما فرغ من مستغلات اموال دمشق الحصاد * وقارب الرحيل عنها
اعقبه لغاط الجراد * وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد *
فاعرى كل شجراء ومردا * وجرد ما على وجه الارض جردا * فوصل
الى حمص وما نهبها * لخالد كما ذكر وهبها * ولكن نهبوا قراها *
ومدموا قواها * ثم الى حماة فنهبوا نفائسها * واستخرجوا مكامنها *
واسروا عرائسها * واستملكوا كنائنها * وفي سابع عشر شعبان *
انصب الى الجبول ذلك الطوفان * وارسل الى حلب واخذ من قلعتها
ما استودعها * ثم الى الفرات وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها * ثم
الى الرها * فنهبها واستحلب درها * ثم ارسل ذلك الغادر * رسوله
الى ماردين يستدعي الملك الطاهر * وديباجة كتابه الدقل * طوا

مانُقِل * شعر *

* سلامٌ عليكم والعهودُ بحالها * لقد بلَغَ الاشواقُ منّا كمالها *

فابى ان ينزلَ اليه * ولا استمع كلامه ولا التفت اليه * فانه كان آذاه كما

ذُكر اول مرة * فما احتاج الى تجربته آخر كرة * فسلك معه برا لسلامة *

وقال شطر بيت (ع) من جرّب المجرّب حلّت به الندامة *

ولكن ارسل اليه قاصدا من بعض الخدم * يدعى الحاج محمد بن خاصبك

ومعه التقادم والخدم * واعتذر عن الحضور * بعدة امور *

وعنوان جوابه * موافق لخطابه * وهو *

* شعر *

* فشوقي اليكم زائد الحد وصفه * ولكن تخاف النفس مما جرى لها *

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام * واخذ يعنف نفسه بانواع الملام *

كيف خلص من مخاليبه اول مرة بسلام *

ذكر ورود ماردين بالهيبة * وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة *

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان وارد بن ماء ماردين * فنزلوا

دنيسر وغدوا للحصار قاصدين * واذا باهلها قد اخلوا المدينة *

وانتقلوا الى قلعتهم الحصينه *

* صفة هذه القلعة *

وهذه القلعة عنقاء قلتها تكبر ان تصاد * وعزيز عانسها يأبى أن يدلّ لخاطب تحت مقود انقياد * لأنها في قلة من القلل * على ظهر جبل لم يكن فرق بينه وبين قبة الافلاك * الا أن تلك لاثبات لها وهذا ثابت ليس به حراك * بظاهره وادبطنه اوسع من صدر الاحرار * فيه جنات تجري من تحتها الانهار * وبه مطارح الزروع * ومسارح المواشي والضروع * وحدوده جروف لا تصل همم ذوي الكرم الى ارجائها * وخروف يعجز قارئ التفكر عن تعديد هجائها * وطريقه من القلعة او على القلعة * والقلعة في غاية المناعة والرفعة * والمدينة مبنية حواليها * مشبثة بذيلها * تأكل من فضلات نعمها * وتشرب من فائض سيلها * فهم بين نعيمهم ونقمهم يترددون * وفي السماء رزقهم وما يوعدون * فاقام لمحاصرتها على مضايقها * يسترشد الى طرق المضايقة وطرائقها * ولم يكن حواليها مكان للقتال * ولا لنصب المجانيق مجال * فعول على نقبها بالمعاول والفؤس * واستعان على ذلك بالمناويل

والرؤس * وحاشا دِرِّ ذيلِ حشمتِها وعِصمتِها أن يُسام فتقا * لانها

وان كانت عذراء قد اعجزت الفحول لكونها رتقا * فلا زلت المعاول تفل *

والقطاطيس تكلّ * ومناقير الغوص تتعقّف * وخصور المرازيب كهيف

القدود تتقصف *

قلت * شعر *

* كأن معولهم في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجرِ *

* او عذل ذي حسد صبا به صمم * او غمز عين معنى فاقد البصرِ *

واستمر على اللدد والخصام * الى العشرين من شهر رمضان ولم يحصل

على طائل ولم يظفر بمرام *

ذكر تركه في المحاصرة * العناد والمكابرة * وتوجيهه

بما رديه ذوى الفساد * عن ماردين الى بغداد *

ولما علم انه رمي منها بالداهية الدهيا * وطلاب ما لا يستطاع عيا *

والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج * والبلاغة في غير مقامها حي

لجلج * ستر عيبه * وابقى بعض الحرمة والهيبه * وخرب المدينة

واسوارها * ومحا آثارها * وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها *

وقلع اساسها واحجارها * ثم انحدر الى بغداد * بعساكر كالذر والفراش والجراد * وجهز بعض الثقل الى سمرقند مع الله داد * فوصلوا الى مدينة صور وليس بها بيت مشاد * ثم الى خلاط وعيد الجوز وهى بلاد الاكراد * آهلة عامرة البنيان * واول ما هو جار تحت حكمه من ولايات تبريز واذربيجان * فعيد الثقل بعيد الجوز عيد رمضان * ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك خراسان * وكان اذ ذاك قد خرج فصل الشتاء * وفصل الربيع تزين واتى * ونفحات الرياض بانامل صباغ القدرة تلونت * وعروس الروض قد اخذت من صواغ الحكمة زخرفها وازينت * والاطيار فى الازهار ما بين مائة بلبل والف هزار * قد شنفت الاسماع * واقامت السماع * واستمالت الطباع برخيم صوتها * واحيت آثار رحمة الله الارض بعد موتها * ولا زال الثقل بين تأويب وادلاج * وسير ولا سير الحاج * كل يوم فى مرحلة وكل ليلة فى مقام * فوصلوا الى نيسابور ثم الى جام * ثم قطعوا مفاوز باورد وماخان * ثم الى اندخود وانتهوا الى نهر جيحان * فعبروه بالمراكب * وساروا سير النجم الثاقب *

ولم يزالوا مُتبعثين على ذلك انبعاثا * فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلثا * سنة اربع وثمانمائة * وفيهم من اهل الشام فئة * امثالهم القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * وباقيهم بيادة وصباغون ونساجة الحرير * هذا اول ما تحمله من الشام من احمال الاثقال * وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمار الاسارى والاموال * ثم ارسل الاثقال تترى * بالانفال واحمال الاموال والاسرى *

* فصـــــل *

ثم ان تيمور ولى آمد قرا يلوك عثمان * وولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان * وكان خامس ايار * وجعل يعبث في تلك الديار * وخرب نصيبين ورعى مستغلاتها * ثم محا من صحف الوجود صور رسومها وآياتها * وكانت خالية من سكانها * خاوية من عامري عمرانها * ثم وجه الى الموصل همه * واحنى عليها بكلكله الملهمه * فبعد ان احلها الحين * وهبها الحسين بيك بن حسين * ثم جمو بزمجرة * الى ناحية القنطرة * واشاع انه كف فساده وقصد بلاده * ولكن السلطان احمد كان قد تحقق انه قاصد بغداده *

وقل اوهم وورع كما له يقل لك دأب وعادة *

ذكر ما فعله السلطان احمد بن الشيخ اويس * لما بلغه انه توجه اليه

ذلك النجيس *

فلما بلغ السلطان احمد * ان تيمور بعد ان تل مشق تمرد * ثم عزم
على ان يتبغدد * وقال العود احمد * استعد ولكن للفرار * واستقر
رأيه على ان لا قرار * ثم استناب نائباً يدعى فرج * واوصى اليه
والى ابن البليقي باموروصحبة قرا يوسف الى الروم وخرج * وكان
من جملة ما وصى به انه لا يعلق في وجه تيمور باب * ولا يسدل
دون ما يرومه حجاب * ولا يشهر في وجهه سيف * ولا يقابل فيما
يامره بلم وكيف * فبلغ تيمور * هذه الامور * فجهز ذلك المخاتل *
الى بغداد عشرين الف مقاتل * وامر عليهم من امرائه ورؤساء
وزرائه والظلمة المعتدين * امير زاده رستم وجلال الاسلامي
وشيخ نور الدين * وامر ان يكون المقدم * من الثلاثة الامير
رستم * فاذا تسلموا بغداد * يكون هو حاكم البلاد * وحين غربت
عن سماء بغداد شمس السلطان احمد في غرب الغربة * ومد ظلام

الظلم جناح العساكر التيمورية على آفاقها وأرسل عليها شهبه * أبى فرج المذكور أن يسلم المدينة طوعا * واستعد للمقاتلة فجمع ما عنده من أهبة لمحاصرة زاوعي * فأطلعوا تيمور على ذلك الأمر * وانتظروا ما يكون منه من نهي وأمر * فثنى نحوها عنان الحنق * وأضمر ما تصل إليه يده من غرق وحرق * وأظل عليهم بغمام غيم بعد ما رعد وبرق * فوصل بتلك الفرق * وأحل بهم البوس والقلق * وأذاقهم لباس الجوع والفرق * فرجهم أي رج * وحاصرهم في أشهر الحج * فثبتت مقاتلتهم وأكثروا من عساكره القتلى والجرحى فحنق * أشد الحنق * وزحف عليها برجله وخيله فأخذها عنوة يوم الأضحى * فتقرب في زعمه بأن جعل المسلمين قرابين وعليهم ضحى * ثم أمر كل من هو في دفتر ديوانه محسوب * وإلى يزك عساكره من الجند والجيش منسوب * أن يأتيه من رؤس أهل بغداد برأسين * فسقوا كل واحد من خمرة سلب الروح والمال كاسين * ثم أتوا بهم فرادى وجملة * وجاروا بسيل دمائهم نهر الدجلة * وطرحوا أبدانهم في تلك الميادين * وجمعوا رؤسهم فبنى بها مياذين * فقتلوا من أهل بغداد نحوا

من تسعين الف نفس صبرا * وبعضهم عجز عن تحصيل ابغداد بين
فقطع رؤس من معه من اهل الشام وغيرها امرئ * وعجز بعض
عن رؤس الرجال * فقطع رؤس ربات الحجال * وبعض لم يكن معه
رفيق * فاصطاد من وجده في طريق * واغتال من معه من رفيق *
وفدى نفسه بعد زوجه صديق * ولم يلتفت الى شقيق وشفيق * ذلك ان منعهم
الخروج عن ربقة الطاعة * ولا يقبل منهم عدل ولا تنفعهم شفاعة *
وهذا العدد المذكور * سوى من قتل وهو محصور * او قتل في مضيق *
او مات في الدجلة وهو غريق * فقد ذكر ان خلقا * القوا انفسهم في الماء
وماتوا غرقى * ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة وابق * فاحتوشوه
من الجانبين بالسهام فجرحوه وانقلبت السفينة فادركه الغرق *
وبنى من المآذين * نحوا من مائة وعشرين * كذا اخبرني القاضي
تاج الدين احمد النعمان * الحنفي الحاكم ببغداد كان * وتوفي
في غرة المحرم سنة اربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى *
ثم ان تيمور خرب المدينة * بعد ان اخذ ما بها من اموال خزينة *
وافقر اهلها واقفر منازلها * وجعل عاليها سافلها * وصارت بعد

أن كانت مدينة السلام * دار السام * وأسروا من بقي من ضعفة أهلها فتمزق * ومزقتهم أيدي الزمان كل ممزق * بعد أن كانوا في ظلال ودلال * ومن مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال * فاليوم عشش البوم والغراب أماكنهم * وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم * وهذه المدينة هي أشهر من أن توصف * وعرف عارفتها وعرفانها أذكى من أن يعرف * وناهيك أنها كاسمها مدينة السلام * وإنه على ما قيل لم يمت بها إمام *

ذكر رجوع ذلك الطاغ * وإقامته في قراباغ *

ثم ألوى بتلك الأتراك التي يصح أن يقال لكل منها أنه في التركية طاغية طاغ * وعزم أن يشتي في مكان يصلح أن يكون في الترك والعرب كصفاته وذاته قراباغ * وأمسى كالبازي المطل بل كاليوم المشوم * مراقبا أطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم *

ذكر مراسلة ذلك المريد * سلطان الروم ايلدريم بايزيد *

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز * وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز * وجعل السلطان احمد وقرا يوسف

هيبا * وذكروا انهما من سطوات سيوفه هربا * وانهما مادة الفساد * وبوار البلاد * ودمار العباد * وسنخ الخمول والادبار * وكفرعون وهامان في العلو والاستكبار * وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين * وقد صار ابن معهما في حمى ذراكم لاطئين * واينما حلوا حلت التعاسة والشوم * وحاشا ان يكون منهما من الملوكين تحت جناح صاحب الروم * فاياكم ان تؤووهم بل اخرجوهم * وخذوهم واحصروهم * واقتلوهم حيث وجدتموهم * واياكم ومخالفة امرنا * فتحل عليكم دائرة قهرنا * فقد سمعتم قضايا مخالفينا واضرابهم * وما نزل بهم منا في حرابهم وضرابهم * وتبين لكم كيف فعلنا بهم * فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال * فضلا عن جدال وقتال * فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال * وفي اثناء ذلك انواع التهديد والتخويف * واصناف التهويل والاراجيف * وكان ابن عثمان عنده رقاعة وشجاعه * ولم يكن عنده صبر ساعه * مع انه كان من الملوك العادلين * وعنده تقوى وصلابة في الدين * وكان اذا تكلم وهو في صدر مكان * فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان *

وكان بواسطة عدله هاعدة الزمان * وتقويت شوكته في المكان *
فاستصفى ممالك قرمان * وقتل مليكها السلطان علاء الدين واسر
له عدة ولدان * واستولى على ممالك منشا وصاروخان * وهرب منه
الى تيمور الامير يعقوب بن علي شاه حاكم ولايات كرمان * وصفا له
من حدود جبل بالقان * من ممالك النصارى الى ممالك ارزنجان *
فلما وقف على كتابه * وفهم فحوى خطابه * نهض وربض *
وامعض وارتمض * ورفع صوته وخفض * وكأنه تجرع نقوع
الحصص * ثم قال ايخوفني بهذه الترهات * ويستفزني بهذه الخزعبلات *
او يحسب انني مثل ملوك الاعجام * او تتار الدشت الاغنام * او في
جمع الجنود * كجيش الهنود * او جندي في الشقاق * كجمع العراق *
او ما عندي من غزاة الاسلام * كعساكر الشام * او ان قفله
المجمع كجندي * او ما يعلم ان اخباره عندي * وكيف ختل الملوك
وختر * وكيف تولى وكفر * وما صدر عنه وعنهم * وكيف كان
كل ذنب يستضعف طائفة منهم * وانا افصل جمل هذه الامور * واكشف
ما خزنه في الناموس * واما اول امره فحرامي صعلوك بشم * ...

الحرم نقاض العهود والذمم * طرف منحرف عن الصواب في الخطا *
فصال وجال وسطا * ثم طال واستطال * واتسع له المجال * وغفل
عنه الرجال * ومن حين نبغ * استصبى حتى شاب الشيب بالعيب
فادرك ما ادرك وما بلغ * فالتهبت فتيلته بعد ان كانت شرارة *
وانتشرت فروع حبته فصارت غرارة * اما ملوك العجم فانه
استنزلهم بحيله وختله * ثم استفزهم بخيله ورجله * وبادر الى قتلهم
بعد ان امكنته فرصة قتله * واما توقتاميش خان * فان غالب
عسكره خان * ومن اين للتتار الطغام * الضرب بالبتار الحسام * ومالهم
سوى رشق السهام * بخلاف ضراغم الاروام * واما جنود الهنود
فانه ختلهم في امورهم * وردكيده في نحورهم * فوهت اركانهم * لاسيما
وقد مات سلطانهم * واما عساكر الشام * فامرهم مشهور * وماجرى
عليهم فظاهر غير مستور * ولما مات سلطانهم * وتضعضعت اركانهم *
وانفض امرهم وانقض * وبغى بعضهم على بعض * قطعت منهم الرؤس
الكبار * ولم يبق فيهم الا رؤس صغار * فتترا الزمان نظامهم *
وسام التبدد ملكهم وشامهم * مع انهم في الصور ربيع وفي المعاني

جمادى * يرمون بواحدة وهي انهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى

وفرادى * لا جرم تفرقت ايادي سبا احزاب تلك الزمر * فاشتغل

جيشه فيها بالمحروم فيما ض لما خلا له الجو وصفر * ولو كان بينهم اتفاق

لفتوه فتا * وبددوا شمله وبتوه بتا * ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم

شتى * ومع اتساق نظامهم * وتسديد مهامهم * وقوة نطاحهم *

وشدة كفاحهم * وشدة رماحهم * وكونهم ظهرا للحاج * واسود

الهياج * انى لهم نظام عساكرنا * وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا *

وكم فرق بين من تكفل بامر الحفاة العراة * وبين من تحمل امر

الكماة الغزاة * فان الحرب دأبنا * والضرب طلابنا * والجهاد صنعتنا *

وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا * ان قاتل احد تكالبا

على الدنيا * فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا * رجالنا باعوا

انفسهم واموالهم من الله بان لهم الجنة * وكم لضرباتهم في آذان

الكفار من طنه * ولسيوفهم في قلانس القوانس من رنه * ولنون قسيهم

في خياشيم بني الصليب من غنه * لو سمناهم خوض البحار خاضوها *

او كلفناهم افاضة دماء الكفار افاضوها * قد اطلوا من صياصيهم

على قلع قلاع الكفار وا حنوا عليها * وامسكوا بعنان افراسهم فكلما سمعوا هيعة طاروا اليها * لا يقولون لملكهم اذا غلرهم في البلاء والابتلا * انا هاهنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا * ومعنا من الغزاة مشاة * افرس من فوارس الكماة * اظفارهم باترة * واظفارهم ظافرة * كالاسود الكاسرة * والنمور الجاسرة * والذئاب الهاصرة * قلوبهم بود اذنا عامرة * لا تخامر بوا طنهم علينا مخامرة * بل وجوههم في الحرب ناضرة * الى ربها ناظرة * وحاصل الامر ان كل اشغالنا وجل احوالنا وافعالنا * حم الكفار ولم الاسرى وضم الغنائم * فنحن المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم * وانا اعلم ان هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا * فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا * وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم اقاتلك البتة * فزوجاتي اذ ذاك طوالق ثلاثا بتة * ثم انهى خطابه * ورد على هذا الطريق جوابه * فلما وقف تيمور على جوابه القلق * قال ابن عثمان مجنون حمق * لانه اطال واساء * وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء * لان ذكر النساء عندهم من العيوب * واكبر الذنوب * حتى انهم لا يلفظون

بلفظ امرأة ولا بانثى * وانما يعبرون عن كل انثى بلفظ آخر يحتون على الاحتراز عنه جثا * ولو ولك لاجل بنت يقولون ولك له مخدرة * او من ربات الحجال او مستورة * او نحو ذلك *

ذكر ايران ذلك البوم * وقصده خرايب ممالك الروم *

فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل * وطلب الرفيق والطريق ورام الدليل * وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت * وانبثوا على وجه الارض فاذا الكواكب انتثرت * وماج فاذا الجبال سيرت * وماج فاذا القبور بعثرت * وسار فزلزلت الارض زلزالها * ومار فاظهرت القيامة اهوالها * وارسل الى ولي عهده ووصيه من بعده * حفيده محمد سلطان بن جهانكير * ان يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف الله بن الامير * وركب الى الروم الطريق * وساعده الاتفاق لا التوفيق * وجره بذلك البحر المطرخم * والليل المدلهم * فدار وداخ * وعلى قلعة كماخ اناخ * فاذا هي في الوثاقة كيقين موحد * وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد * لا يقطع خندق مناعتها سهم وهم * ولا يهتدي الى طريق التوصل اليها صائب فهم * مؤسس اركان

مضايقها معمار القدرة * ومهندس بنيان قبابها نجار الفطرة * ثبتت

بالعالية الشاهقة * ولا بالقصيرة اللاصقة * غير أنها في مناعتها

وحصانتها فائقة * من إحدى جهاتها نهر الفرات يقبل أقدامها *

ومن الجهة الأخرى واد متسع يحفظ أعلامها * لا يمكن للأقدام فيه

الثبات * وهو مسيل ماء يصب في نهر الفرات * ومن الجهتين الآخرتين

هضاب * يتلو لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها إن هذا لشيء

عجاب * فأخذها من غير كلفة * وولج حرمها من غير طواف بها

ووقفة * وذلك بعد أن قدم محمد سلطان عليه * ووكل أمر حصارها

وقتالها إليه * وسبب ذلك أن الوادي الذي وراءها * كان يرد

بالخيبة لوعورته من جاءها * لكونه مزلة الأقدام * واسع الأفغام

بعيد مهوى المرام * لا يثلب لسان السهم له عرض عرض * ولا يثبت

له تحت قدم غواص البصر قرار أرض * فبمجرد ما وقع نظره عليها *

نظر بعين الفراسة إليها * ثم أمر بقطع الأخشاب * ونقل الأحطاب *

فلم يكن إلا كلمح البصر * حتى هدموا البيوت وقطعوا الشجر * ونقلوا

جميع ذلك الخشب والأعواد * وطرحوها في قعر ذلك الواد * فساووا

به الأرض * وملأوا طوله والعرض * وحين شعر اهل القلعة بهذه
الفعال * ألقوا النار والبارود على تلك الاخشاب فاخذت في الاشتعال *
واما اساس القلعة فلا ينهار * لانه راكب على قلل الجبال *
فلم يبد ذلك من امره * ولم يشرد من فكره * بل امر في الحال * كل
واحد من الرجال * ان يأتي من تلك القفار * بعدل من الاحجار *
فانبثوا كالنمل والجراد * في تلك المهامه والاطواد * والبراري والمهاد *
وجابوا الصخر بالواد * ففي الحال ملأوا تلك الدارة * من الحصباء
والحجارة * ثم امر ان يفعل بتلك الحجارة في ذلك المهوى البعيد *
ما يفعل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد *
فالقوا في ذلك الوادي بعض ما لموه * من اكداس تلك الحجارة
فطموه * وبقي في بيادر ذلك الحجر * اضعاف ما رمي من البصر * ولما امتلأ
الوادي من الاحجار * مشوا عليها وقربوا من الاسوار * ونصبوا السلالم
وتسلقوا * وبناصية مراميها تعلقوا * فاقلع اهل القلعة عن الكلام *
وطلبوا الامان وقالوا ادخلوها بسلام * وكان هذا الحصار والنجيه
في شوال سنة اربع وثمانمائة * ولما استقر فيها * امر بتلك الاحجار ان تنقل

مَن وَادِيها * فِفي الحالِ سقّوها * وفي مكانٍ اخذوها منه رموها * ثم ولّى بها شخصًا يدعى الشمس * وولّى عنها كما ولّى امس * وهذه القلعة نحو من نصف يوم عن ارزنجان * ومن القلاع المشهورة في الدنيا بالمناعة والعصيان * فلاجرم حين استولى عليها * وافضى بصارمه الذكر اليها * وفتحها قهرًا * ومنحها جبرا * ابرد بهذا المغنم البارد * الى كل صادر في ممالكه ووارد * بكتب ترجم فيها من الاخبار كل سانح وشارد * وعنوان هذه الترجمة * بلفظها من غير ترجمة *

* شعر *

* بحد سيوف داميات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ *

وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه * وكيف رد جوابه الحمق عليه * ومن جملته * وبعض ترجمته * انا ما جفوناه ولا تعدينا عليه * ولكن رفقنا له القول وتلطفنا اليه * وقلنا له يخرج من فروج مملكته مادة الفساد * وهي احمد الجلايري وقرا يوسف التركماني اللذان اخربا البلاد واهلكا العباد * والرضا بالمعصية * معصية * والاقرار على الكفر * كفر * والفاسق المحروم البائس * شر من الفاجر الظلوم

الملابس * فصارا في الفساد وريبته وهو الامير * وفي العناد صغيرين
وهو الكبير * وعاشراه على ذلك والياه فلبئس المولى ولبئس العشير *
فافسداه وما انصلحا * وخسراه وما ربحا * فكأنه عنى شأنهم *
من ظاهر قولهم وشانهم * بقوله

* شعر *

* ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب *

ولم يزل على طريقته العوجاء * فاشبه لما اجارهما جيوام عامر العرجاء *
فنهيناه فما انتهى * ونبهناه فما ارعوى * واريناه العبر * في غيره
فما اعتبر * وزاده لسان انتقامنا من المخالفين الحذر والحذر *
وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا * على عادة حشمتنا وادبنا في المراسلات
ورسمنا * فعدل عن طورنا * وابدل عن جورنا * وكان في بعض مراسلاته
وما وضعه في مكاتبته * كتب اسمه تحت اسم طهرتن * وهذا هو الواجب
عليه والحسن * ولا شك ان طهرتن بالنسبة الينا * كبعض خدمنا
واقل حشمنا * ثم انه اعني بايزيد لما طالع كتابنا * ودرجوا بنا *
وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب * وهذا لما فيه من كثرة الحماقة وقلة

الاَدَج * ثم ذكرانه توجه يروم * استخلاص ممالك الروم * وتشدّق

في هذا الكتاب * وتفيهق في هذا الخطاب * فهو احد ساتير

الكُتّاب * والاساطير المُستعان بها في الخطاب والجواب *

ذكر ماعزم ابن عثمان عليه * عند انصباب ذلك الطوفان اليه *

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده * وانه جعل طالعه في سماء الحرب رصده *

توجه لقتاله * واستعد لاستقباله * وكان على مدينة استنبول

محاصرا آثمها وكفارها * وقد قارب ان يفتحها وتضع الحرب عنها

أوزارها * وان جنده * كان عنده * ولكن امرا بطارقة الغزاة * والشواهين

من كواسر جيشه والبزاة * وسراة السرايا وكرام كرمان * واحلاس

خيل السواحل وقروم قرمان * واجناد ولايات منشا واساورة

صاروخان * وجميع امراء التومانات والصناجق * واصحاب الرايات

ورؤس الغيالق * ونواب جميع الثغور والامكنه * مماهو جار تحت

تختي بروسا وادرنه * وكل من دب البحر الاخضر * من بني الاصفر *

عن رايته البيضاء بالدم الاحمر * وفلق سويداء كل عدو ازرق *

بسهامه السود على جواده الابلق * ان يعملوا مصلحتهم * ويأخذوا

حتى زهم واسلحتهم * واستعان في ذلك بكل بطريق وعلج طرجي *
داخل في امان المسلمين على قتال كل باغ وخارجي * واستدعى
التتار * وهم قوم ذو يمين ويسار * ناس سواذج * لهم مواش
نواتج * ملأوا الاقطار بمواشيهم * وعلوا الشواهق والبوادي بروؤسهم
وحواشيهم * ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل * ما منها
واحد حمل * ومثل ذلك افراس * ما اسرج لها ظهر ولا الجم رأس *
واما الغنم والبقر * فلا يحصى عددها ولا تحصر * وما يعلم جنود ربك
الا هو وما هي الا ذكرى للبشر * لهم في ممالك الروم وقرمان
الى ضواحي جبواس مشتات ومصائف * وللملوك والسلاطين عليهم
اعتماد كمالهم في انواع المبرات وظائف * لو قصدهم فقيرا وغريب
او طالب علم او اديب * جمعوا له من الغنم والبقر * والصوف والشعر
والسمن والاقط والوبر * ما يكفيه وذويه الى آخر العمر * وكانوا
يسمون لكثرتهم وما معهم من الامم * ثمانية عشر الف عالم * فلبى
كل من صدى هؤلاء الجبال مدى صوته بالاجابه * ربا درالى امتثال
اوامره بالاطاعة والانابه * وانبعث اليه التتار بقضهم وقضيضهم بعثا *

طوادُ عساكِرها وبحارُ جنودِها قتَّا * وحثَّ على ملاد
تيمور عساكرَ الغزاة والمجاهدين حتّا *

ذكر ما فعله ذلك الخداع المكار * ونمقه في تخذيله عن ابن عثمان
جنود التتار *

وتقلبت تيمور في امره * واستوري زناد فكره * فاورى زناده ذارة *
أن يخذل عن ابن عثمان تتاره * فارسل الى زعمائهم * والكبار من
امرائهم ورؤسائهم * واميرهم يدعى بالقاضل * وكان في المكرمات
من الأفاضل * غير انه ما مارس الايام * ولا اطلع على مكائد اللئام *
ان حسبكم حسبي * ونسبكم متصل بنسبي * وان بلادنا بلادكم * واجدادنا
اجدادكم * فكلنا فروع نبعة * واغصان دوحة * وان آباءنا
من قديم العصر وغابر الدهر نشأوا في عش متوحد * ودرجوا في
وكر غير متعدد * فانتم في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من اغصاني *
وجارحة من جوارحي وخالصتي وخلاني * وانتم لي شعار * وباقي
الناس دثار * وان كان الناس ملوكا بالاكتساب * فانتم ملوك بالانتساب *
وان آباءكم من قديم الزمان * كانوا ملوك ممالك توران * ذانتقل

منهم طائفة من غير اختيار * الى هذه الديار * فاستوطنوها وهم على
ماهم عليه من الكرامة * وشعار السلطنة واسباب الزعامة * ولم
يزالوا على هذا النشاط والهزة * الى ان انك رجوا الى رحمة الله تعالى
وهم على هذه العزة * وكان المرحوم ارتنا آخر ملوككم * واكبر مالك
في بلاد الروم اصغر مماليككم * وليس بحمد الله في شوكتكم قلة *
ولا في كثرتكم قلة * فانى رضيتم لانفسكم بهذه الذلة * وان تصبروا
متحيرين * كانكم من المسحورين * وبعد ان كنتم اكابر مكبرين *
كيف صرتم اصاغر مصغرين * ولستم بلا ارهوان ولا مضيعة * وارض
الله واسعة * ولم صرتم مرقوقي * رجل من اولاد معتوقي طي
السلجوقي * ولا ادري ما العلة لهذا والسبب * ومن اين هذا الاخاء
والنسب * سوى عدم الاتفاق * وانتفاء الاتساق * وعلى كل حال
فانا اولى بكم * واحق بعمل مصالحكم وتهيئة اسبابكم * وان كان
لابد من استيطانكم هذه التخوم * وبيع تلك البلاد الفسيحة بمضائق
ممالك الروم * فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم حكامها * مالكي نواصي
صياصيها راقبين سنامها * باسطي ايديكم فيها قابضين زمامها *

وهذا المهم انما يتم اذا كفينا هذه المنازلة * وقضينا الارب من هذه
المناضلة * وتمهد لنا الميدان * وارتفع من البين ابن عثمان * فاذا
خلا الجو من المنازع * وصفت لي في هذه البلاد المشارع * وظفرت
بهذه الممالك * وسلكت فيها الطرق والمسالك * اعطيت القوس
باريها * وانزلت الدار بانيها * ورددت المياه الى مجاريها *
جعلتكم ملوك قراها وصياصيها * ومدنها وضواحيها * وقررت
كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها * وان رأيتم ان لا تعينوا علينا *
وامكنكم ان تنحازوا الينا * فاغتنموا فرصتكم * وخذوا من انتهازها
حصتكم * فانكم تقربون منا صورة ومعنى * واما الآن فكونوا
بظاهركم مع ابن عثمان وبباطنكم معنا * حتى اذا التقينا امتازوا *
والى عساكرنا انحازوا * ولا زال يحل كلامه بنزو على حجر حجرهم
ولا يجفر * مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر *
فانصافي ذردورا فكارهم ليردها عن ان تتبع ابن عثمان وتقفو *
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر * حتى خلبهم بهذا المقال *
واستحثهم في معنى ما قال * واستهواهم حب الرياسة الدلة طالما

تحرق احرار الصديقين * واستعمل كبار الاولياء والصالحين *

وكبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين * فوافقوه

على الانخزال * عند الموافقة للنزال *

ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل * وتوجهه الى ملاقاة

تيمور بعسكره الثقيل *

فاما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم * على بلاد الروم * لان

الزروع كانت قد استحصدت * وصدور الفواكه والثمار قد استنهدت *

وخضراوات الارض قد اسودت * والرعايا في ظل الامن والرفاهية

قد امتدت * فخشي ابن عثمان ان يصيب العباد منه ضرر * او يتطاير الى

قبائل بلاده من لهيب ناره شرر * فبادر الى ملاقاته * وساقته سوائق

المنون الى شرب كاسها في مساقاته * واراد ان يكون مصطدم الناس *

خارج بلاده على ضواحي سيواس * فاجرى من عساكره السيول

الهامره * واخذ بهم على قفار غامره * حذرا على رعاياه * من مواطئ

مطاياه * فانه كان على الضعيف من رعيته شفيقا * وبالفقير من حشمه

وخدمه رفيقا * يحكى انه كان في بعض مغازيه * فعطش بعض

حواشيه * فأتى في قرية بعض النساء * فطلب منها شربة ماء * وكانت أشأم من البسوس * يضرب بها المثل في اللؤم والبوس * فقالت ما عندي ما تشرب * خذ طريقك ولا تتعب * وكان العطش قد غلبه * ورأى عندها في بعض القعبة شربة لبن فشربه * فقالت هذا قوت الصبيان * واشتكت عليه لابن عثمان * فطلبه واستفسره * فجاء في شدة نقمته فأنكره * فقال للمرأة أنا أبعج قبقبه * وأتبين صدق قوله وكذبه * فإن ظهر في بطنه اللبن * أعطيتك الثمن * وإن تبينت بالصدق جعلتك مثلة مثله * فقالت والله إنه شربه * وما قهت في حقه بكذبه * ولكني فرجت كربته * وأبرأت ذمته * فقال لابد من إجراء العدل * وإنهاء هذه الحكومة بالفصل * ثم دعا بالسيف ووسطه * وأجرى على بطنه ما شرطه * فانفجر بطنه وهو منعفر * وجرى اللبن وهو بدمه ممتزج * فاشتهر في الوثاق * ونادى عليه هذا جزاء من يتناول في دولة الملك العادل ابن عثمان شيأ بغير استحقاق * ثم إن ابن عثمان تابع الترحال * وسلك في رمضان السفر صوم الوصال *

ذكر ما فعله ذلك الساقطه * مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه *

ولما بلغ تيمور ان ابن عثمان اخذ على الطريق الغامرة * نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واخذ على الجادة العامرة * فنزل هو وعسكره على ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * ولسان حالهم الفصيح * ينشد في الآماق ويصيح *

* شعر *

* لست ابالي بعد ادراكي العلى * اكان تراثا ما تناولت ام كسبا *

فلم يزالوا في مراح ومرتع * ومراع وضروع * بين سدر مخضود وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وهواء بالراحة مصبوب * ونعيم بالسلامة مصحوب * في امن ودعه * وخصب وسعه * آمنا من الوجل * سائرا على غير عجل * مستيقنا بالنصر والظفر * مستبشرا بالملك والوزر * مستتبعا تدبيره القضاء والقدر *

لا يبرد حرارة حميته لتسخين عين عدوه واحرازالمغنم البارد فترة * ولا في اكليل كواكب عساكره المنتظمة نثرة * ولا بين اسود جيشه مكاسرة ولا نفرة * ولا في افواههم الاعادي اللهذميات على موائد طعام

جبر ولا حسرة * فلم يفق ابن عثمان من رقاده * الا وقد دمر على بلاده * فقامت عليه القيمة * واكل يديه حسرة وندامة *
ورأ روزقا * والتهب حنقا * وكاد ان يموت خنقا * وسلب القرار
والهجوع * وعزم في الحال على الرجوع * فتلاطمت من تيار
عساكره امواجه * وتصادمت اثباج اطواده وابراجه * فرجع عودة
على بدئه * واغرى بوصال السير وحثيثه * فنهنهم السير بسرعته *
لكان بعقفرته * والزمان بهجيره * والسلطان بزئيره * فلم يدركوه
الا وقد ذاب كل منهم وصبا * وتلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

* فصل *

وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقرة * وخيله ورجله مستريحة
موقرة * للقتال منتظرة * وللنزال متشمرة * بل لم يكونوا به مكترثين *
ولا به مختلفين * وقد سبقوا كصناديد قريش الى الماء * وتركوا
عساكر كمسلمي بدر في جانب الظماء * فهلكوا كربا واوراما *
وذابوا عطشا بلا ما * وكأنه الى ذلك المنزل هو ارشدهم * وبلسان حاله
انشدهم *

* شعر *

* يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وانت رب المنزل *

والنقرة هذه هي التي ذكرها الاسود بن يعفر في قصيدته الطنانة وهي

* شعر *

* نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من اطواد *
* فاذا النعيم وكلما يلهى به * يوما يصير الى بلي ونفاد *

* فلما تدانت الجيوش من الجيوش * وضربت الوحوش على الوحوش * وامتلأت منهم الصحاري والقفار * وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار * انقطعت من عساكر ابن عثمان التتار * واتصلت بعسكر تيمور كما رسم اولا واشار * وكانوا هم صلب العسكر * والاوفر من عساكر ابن عثمان والاكثر * حتى قيل ان جماعة التتار * كانوا نحوا من ثلثي ذلك العسكر الجرار * بل قيل ان ذلك الجمهور * كان نحوا من ثلثي جند تيمور * وكان مع ابن عثمان * من اولاده اكبرهم امير سليمان * فلما راى ما فعلته التتار * علم انه حل بابيه البوار * فاخذ باقي العسكر * وقهقر عن ميدان المصاف وتاخر * وترك اباه في شدة

. باسا * وانخزل بمن معهما الى جهة بروسا * فلم يبق مع ابن عثمان الا المشاة ومن داناهم * ونحض من الكماة وقليل ماهم * فثبت للمجادلة بمن معه من الرفاق * وخاف ان فر ان يقع عليه الطلاق * وكانه في تلك المعركة والمعكرة * كان متمثلا بما قاله عنترة

* شعر *

* ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تسفك في دمي *
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم *

فصبر لحادث الدهر وما ازم * واراد ان يفيئ على مذهب الامام مالك ببابه المنزم * فاحاطت به اساورة الجنود * احاطة الاساور بالزنود * وحين تيقنت الاسرة العثمانية بالكسرة * وعلمت انها تورطت في جيش العسرة * وثبت المشاة * على الكماة * واستعملت الاظمار * وكل صارم بتار * وكانوا في ذلك المصاف * نحوا من خمسة آلاف * فنقدوا اذ ذاك ادهم * واذا ادوا اعقد ادهم * ولكن كانوا كسا في الرمال بالكربال * او كالنيل البحار بالغربال * او مجررا وزان الجبال * بقراريط المثقال * فامطروا على قتال اولئك الاطواد وسقول ذوات تلك الاسود * من غمام القتام

صواعق الدّيم المترميات وامطار السهام السود * ونادى محرّش
القدر * وصيّاد القضاء الكلاب على البقر * فلم تبرّ الوا بين وقيذ ووا قذ *
ومضروب بحكم سهم ماض في القضاء نافذ * حتى صاروا كالشياهم
والقنافذ * واستمرّت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى
العصر * وانتقلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر *
ثم لما كلت منهم السواعد * وقلّ المواصر والمساعد * وتحكم فيهم الاباعد
والمباعد * دققوهم بالسيوف والرماح * وملأوا بدمائهم الغدران
وبأشلائهم البطاح * ووقع ابن عثمان في قنص * وصار مقيدا
كالطير في القفص * وكانت هذه المعركة * على نحو ميل من مدينة انقرة *
يوم الاربعا سابع عشري من ذى الحجة * سنة اربع وثمانمائة حجة *
وقد قتل غالب العسكر العطش والضموز * لانه كان ثامن عشري تموز *

* فصل *

ووصل امير سليمان * الى بروسا معقل ابن عثمان * فاحتاط على ما فيها
من الخزائن والاموال * والحريم والاولاد ونفائس الاثقال *
واشتغل بنقل ذلك الى برّ ادرنه * وراء البحر المحيط بكثير من الامتعه *

ن بحر مصر الاخضر بعد ما يتدربس * الى بلاد الدشت

والكرج الفاصل بينه وبين بحر القلزم جبل الجركس *

ذكر ما وقع من الخباط * بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر ورباط *

ولما حصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكه * وانذعكت اجسام

عسكرها الجسام اقوى دعكه * واخنى عليهم الجند المشوم * ونعق

في صباحها غراب البين وزعق في رواحها البوم * وتلا في محراب

سها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم * خضعت

روسها ونواصيها * وتزلزلت حصونها وصياصيها * وتزعزع دانيها

وقاصيها * وانبهر طائعها وعاصيها * فحاصوا حيصة الحمر * وايسوا

من الاهل والاوطان والمال والعمر * اذ قد ذهب منهم الراس *

ولم يبق فيهم من بقيهم الباس * فلما سمعوا ان امير سليمان ضم الناس

الى نحره * وعزم على العبور الى برادرنة بقطع بحره * سالت بهم

الاودية والشعاب اليه * وعولوا في خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه *

فصالح اهل استنبول ووادهم * وعاهدهم على ان لا يغدر كل منهم بالاخر

وماذهم * ثم قصدهم ان يعينوه على الوصول * بقطع البحر من ثغري

كاليبولي واستنبول * اذ ليس لهذين البحرين * من هذين البرين * طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين * فان بحرا سكندريه * يأخذ على انطاكيه * وعلائية ثم يروم * بلاد الروم * فتحصره الجبال * قبل وصوله بلاد الشمال * فلا يزال في حصره يرق * وشفا جانبيه ترق * حتى تتراءى حافتاه * ويكاد تنطبق شفتاه * ومسيرة هذا الانضمام * نحو من ثلاثة ايام * ثم يأخذ في المد والانبساط والجريان على وجه النشاط * ثم تدور كتائب امواجه بتكردس * وتأخذ نحو بلاد الدشت والكرج حتى تصل كما ذكر الى بلاد الجركس * وما امكن احدا من سواحر الحكمة ومهندسي النوافث ان يعبر هذين المعبرين في مدى هذا الانضمام بثالث * وثغر كاليبولي بيد ملاحي المسلمين * وثغر استنبول بيد النصارى اعداء الدين * وهو اعظم الثغرين * واجسم المعبرين * وكانت النصارى ملاحيه * فصار غالب الناس يقصده وينتحيه * فاستطارت الفرنج فرحا واستطالت * وخاضت في دماء المسلمين وحريمهم واموالهم وجالت * فان ابن عثمان كان بالحصار قد انهكها * وابادة قراها وضواحيها واهلكها * وضيق

على اهلها في مجاري ارواحهم مسلكها * فبينما هم وقد بلغ السيل الربا *
وجاوز الحزام الطبا * وانشب كل شر فيهم حده * واذا بتيمور جاءهم
بالفرج بعد الشدة * فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان * وحصل لهم
بذلك الفرج والامان * وزاد ذلك بان احتاج المسلمون اليهم *
وتراموا في طلب الخلاص من العدو عليهم * فبعد ان زالت عنهم
الغصص * اغتنموا في درك الثارات من المسلمين الفرص * فجعلوا
يوسقون المراكب من الناس والحمول * ويتوجهون بذلك الى صوب
استنبول * وان استنبول وراء دروة جبل * ومنحرفة خلف قلة من القلل *
وهي من اكبر مدن الدنيا * حتى قيل انها قسطنطينية الكبرى *
فكانوا اذا عطفوا وراء تلك الذروة بالمراكب * واستتروا بالهضبة
النائية عن عين من هو في هذا الجانب * يصيرون كالاموات النازلين
الى الحفائر * الملقين في قعور اللحود والمقابر * لا يدرى الى اين
يتوجهون * والى اي نادٍ يصيرون * الى بر السلامة والاسلام *
ام الى دار الحرب واسر الكفرة الطغام * فيذهب منهم الذاهبون *
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون * فاذا جاءت المراكب

وهي فوارغ * تعلق كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل وجد بالغ *
ولم يدر زمانا ذا يجري عليه * والى ماذا يصير امره اليه * واشبهوا
في ابصارهم الكليلة وخطوبهم الجليلة * ما لكا الحزين والسمك
المذكورين في كتاب كليلة * وحاصل الامر انه لم يسلم * من ذلك
السواد الاعظم * في كل غراب ادهم * الا مثل الغراب الاعصم *
واستطالت اعداء الدين * كيف شاءت على المسلمين * وقطع
امير سليمان البحر * واستولى على ذلك البر * وضبط ممالكه * وربط
مسالكه * وهو اوسع من هذا الجانب وافسح مرجا * وادر ريعا
واكثر خراجا وخرجا * واعظم حصونا واماكنه * وتخته مدينة ادرنه *
فاجتمع الناس على امير سليمان * وسهل الامر في الجملة شيئا ما وهان *

ذكر اولاد ابن عثمان * وكيف شتتهم واباد هم الزمان *

وكان للسلطان بايزيد المذكور * من الاولاد الذكور * امير سليمان
هذا وهو اكبرهم * وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم *
وكل منهم طلب لنفسه مهربا * وانحاز اليه من ابيه طائفة نجبا * فكان
منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه * وهي حرشنة الشاهقة العاصيه *

التي قال فيها ابو الطيب * شعر *

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع *
للسبي ما نكحوا للاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا *

وقلة قلعتها شاهقة * كأنها بقبة الفلك عالقة * يعيى النازل عنها في نزوله منها * اكثر مما يعيى الصاعد الى غيرها * يسميها اهلها بغداد الروم * لان قرار ارضها بنهر كبير من الوسط مقسوم * وبينها وبين قات مسيرة يوم للمجد * واما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون واستكان * الى ان قتله اخوه امير سليمان * وموسى فيما بعد قتل امير سليمان بعيسى * ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى * ونسخت الاحكام المحمدية * شرائع الملة الموسوية والعيسوية * الى ان مات حتف انفه في اوائل سنة اربع وعشرين وثمانمائة او مات بشيء دس اليه على يد قوجقار في الهدايا الملكية المؤيدية * وانتقل الملك من يده * الى مراد ولده * وهو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة مستقل به * واما مصطفى فانه قد فقد وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه *

* عودا الى ما كنا فيه * من امور تيمور ودواهيه *

ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان * جرد الى برو سا طائفة من الجنود والاعوان * واضافهم الى شيخ نور الدين * ثم اتبعهم بوقار مكين وجاش مستكين * فوصل اليها * ونزل نزول القضاء المبرم عليها * وضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه * وامواله وخزائنه وحشمه وخدمه * وخلع على امراء التتار ورؤسهم * واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم * ووزع امراءهم على امرائه * واضاف كل طائفة منهم الى رأس من رؤسائه * ووصاهم بهم وعليهم * وبالغ في ان يصلوا ما امكنهم من البر اليهم * ومشى على مشيه القديم * في استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبي الحريم * وجعل يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه * ويلاطفه ويباسطه ويترفق اليه ويسخر منه ويضحك عليه *

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية * غدت باوصافه القبيحة على مر الزمان حكاية *

ثم انه في بعض الايام جلس في مجلس عام * وخفض جناح النشاط للخاص والعام * وطوى بساط النهي والامر * ومد سماط الخمر

زمر * وحين غص بالناس المكان * استلقى صريعا ابن عثمان *
فجاءه وفؤاده يرجف * وهو في قيود الرعب * فسكن قلبه * وأزال
رعبه * ثم أحسن جلوسه * وأزال بالاستئناس الية عبوسه * ثم أمر
بأملاك السرور فدارت * وبشموس الراح أن تسير من مشرق الأكواب
السقاة الى مغرب الشفاه فسارت * وحين تقشعت عن شموس السقاة
سحاب الخدور * ودارت في سماء العشرة نجوم تحتها من مراتبه
ورتب البدور * نظر ابن عثمان فاذا السقاة جواريه * وعامتهم حرمه
وسراريه * فاسودت الدنيا في عينيه * واستحلى مرارة سكرات حينه *
وتصدع قلبه * وتضرم لبه * وتزايد كمده * وتفتت كبده * وتصاعدت
زفراته * وتضاعفت حسراته * ونكئ جرحه واغل قرحه * ونثر على جرح
مصابه من قصبات الاسى ملحه * وكانت هذه نكاية لابن عثمان بما اسلفه * في
مكاتباته بذكر النساء وحلفه * لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاي
وقبائل الترك من أكبر الجرم * وأعظم من الجناية في الحرم *
وايضا مكافاة لما فعله ابن عثمان * مع حريم طهرتن في ارزنجان *
ومن تمام اهانته لابن عثمان * احضر اولاد بني قرمان * وكان

قبل ذلك ابن عثمان * قد استولى على ممالك قرمان * وقتل متوليها

السلطان علاء الدين بعد ان حاصره وقبض عليه * ونقل الى حبس

بروسه محمدا وعليا ولديه * فلم يزالا عنده في ضيق وضنك * حتى افرج

عنهما بالحبس عليه تمرلنك * فاخرجهما وخلع عليهما * وابرهما

واحسن اليهما * راولاهما ما اواهما وليس ذلك لحب

علي كرم الله وجهه ولكن لبغض معوية

* قلت *

* ولم يرفض معاوية محبا * عليا بل لان ربى يزيدا *

* وقيل *

* * وليس لحبه تحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرينا * *

* وقلت بديها *

* اصادق ضد اعدائي وان لم * يكن بيني وبينهم ولاء *

* وابغض من يعادي لي صديقا * وان اثنى علي بما اشاء *

* وذاك لينكي ضدي ويهنا * فتى قد سرني منه الاحاء *

والامير محمد هذا هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين * محمد بن

فارامبروا لتراكمة المفسدين * وقتل ولده مصطفى فى البلاد *
وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا * وذلك في شهر رجب سنة احدى
وعشرين وثمانمائة

ذكر ورود اسفنديار عليه * ومثوله سامعا مطيعا بين يديه *

ثم ان الامير اسفنديار ابن بايزيد * وهو احد ملوك الروم وله
السلطنة قصر مشيد * ورث الملك عن ابيه وكان متنقلا بالامرة *
بينه وبين الملوك العثمانية عداوة موروثة ونفرة * وتحت حكمه
بعض مدن وقلاع * واودية وبقاع * منها مدينة سينوب الملقبة
بجزيرة العشاق * يضرب بظرافتها المثل فى الآفاق * وهي فى البحر
من البحر في جزيرة كبيرة * سبيل الدخول اليها عسيرة * بها جبل
احسن من اردا ف الحور * متصل بمعبر ادق من رقيق الخصور *
وهي معقل اسفنديار ومعاذه * وحرز خزائنه وملاذه * اعصى
من ابليس * واوثق من كف بخيل تخاف التفليس * ومنها
قسطمونية تخت ملكه * وبحر فلكه * ومنها سامسون وهي قلعة
على جانب البحر للمسلمين * مقابلتها نظيرتها للنصارى المجرمين *

بينهما دون رمية حجر * وكلٌّ منهما آخذة من الأخرى الحذر *
وغير ذلك من القلاع والقرى * والقصبات في الوهد والذرى *
ولما بلغه ما فعله تيمور الغدار * مع أولاد بن قرمان والتتار * ومع
قرا يلوك وطهرتن حاكم ارزنجان * والامير يعقوب بن علي شاه
متولي كرمان * ومن توجه اليه من حكام منشا وصاروخان *
وانه لا يهيج من أطاعه * وتلبس لاوامره بالسمع والطاعه *
سارع الى المثول بين يديه * وتهيأ للوفود عليه * فاقبل بالتحف
العاليه * والنتف الغاليه * فقابله بالبشرى * وعامله باليسرا *
واقره في مكانه نكاية لابن عثمان * ثم امره واولاد قرمان *
ومن اتسم له بميسم الطاعة والاذعان * من أمراء تلك الاكناف
والاكنان * أن يخطبوا ويضربوا السكة باسم محمود خان *
والامير الكبير تيمور كوركان * فامتثلوا اوامره * وحذروا زواجره *
وامنوا بذلك الغارة والمصادره * وتوفي اسفنديار المذكور *
في شهور سنة ثلاث واربعين وثمانمائة وهو طاعن في السن وهو من أواخر
ملوك الذين وفدوا على تيمور * واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك ورقع

وبين اخيه قاسم بك مشاجرات والتجأ قاسم الى الملك مراد بن عثمان * ولله الامر من قبل ومن بعد *

* فصل *

ثم ان تيمورا اخرج ما لابن عثمان وغيره من الذخائر * واستصفى لخزائنه ما كان ارثا وكسبا للملوك الاروام من النفائس والاخائر * وشتى في ولايات منشا * والقى لذرسها مباحث تصريفه كيف شا * وانتهى الى اقصاها * وحرر البحث في مسائل الخمس والمغانم فاستقصاها * وانبثت جنوده في آفاقها * وغاصت في بحار ممالكها من اثباج اطوادها الى قرارة اعماقها * فمن فارع الى جبال جبالها وقمم صياصيها * ومن متعلق بآذان مراقبها ومتسلق باذيال نواصيها * ومن راكب اكتاف اكنافها نازل في سواحلها * دائس بارجل سعيه خدود روضها لانعب جائس بكاهل مناهلها * ومن دامغ دماغها باهداب رماحه لاجل العين * بالغ من غير حاجب له منها ما رام باليد واليدين * ومن حامل على نهب صدرها * تال رؤسها ووجوهها للجبين على ظهرها * ومن مادّ انامل تعدّيه من غير كف الى معاصيها ومرافقها *

كادباقدام الفساد في بطون مغاربها وافخاذ مشارقها * فجزوا الرؤس وحزوا الرقاب وفتوا الاعضاد * وبتوا الاكتاد وحرقوا الاكباد * وشوهوا الوجوه وسالوا العيون * واشخصوا الابصار وبطوا البطون * واخرسوا الالسنه * وصكوا المسامع * وارغموا الانوف * واذلوا العرانين * وهشموا الثغور * وحطموا الصدور * وقصموا الظهور * ودقوا الفقر * وشقوا السرر * واذابوا القلوب * وفطروا المرائر * وارقوا الدماء * واستحلوا الفروج * واحروا الانفاس * واباد وا النفوس وسبكوا الاشباح * وسلبوا الارواح * ولم يتخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع * وصارت جماعاتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما اكل السبع *

ذكر فتح قلعة ازمير وحتفها * ونبذة من عجيب وضعها ووصفها *

وحاصر قلعة ازمير * وهي حصن في وسط البحر منا له عسير * بهمزة مكسورة وزاي معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة * قلعة قد قلعت في البحار * واضرمت في قلب خاطبها بتمنعها وعصيانها النار * اعصى من قلاع الجبال * واقصى في المنال ان تنال بخيل

ورجال * فأعدّ لها أنواعاً من آلات المحاصرة * وأخذها يوم الأربعاء عاشر جمادى الآخرة * سنة خمس وثمانمائة * سادس كانون الأول من السنين الرومية * فقتل كبارها * وأسر نساءها وصغارها * وبنى من أبدان القتلى جوامع وشيد من رؤسها منارها * ثم سلب عن القلعة غناءها وأفقرها * وأقواها من ذخائرها وأقفرها * وأخلاها وقد استصفى منها أبيضها وأصفرها * وطير بهذه الأمور أجنحة البشائر * وأطارها على رغمه في الآفاق بأسعد فال وأسرع طائر *

ذكر ما صنعه من أمر مروم * وهو في بلاد الروم * من قصده بلاد الخطا * واستخلاص ممالك الترك والجتا * وافتكاره وهو في الغرب مشغول * في استصفائه سائر ولايات الشرق والمغول * وكيف عاندة القضاء المبرم * بنازل الهب فؤاده وأضرم * فصادمه الزمان وعكس غرضه * وهذه كالجملة المعترضه *

ثم إن تيمور كان قد استدعى عن سمرقند سبطه * محمد سلطان والأمير سيف الدين ورهطه * كما ذكر آنفاً وكان محمد سلطان هذا للفضلاء ملاذاً * وللعلماء معاذاً * مخايل السعادة في غضون جبهته لائحة *

وبشائر النجابة من اسارير طلعته واضحه *

* شعر *

* فى المهد ينطق عن نجابة جده * اثر السعادة لائح البرهان *

وسيف الدين هذا هو احد رفقاء تيمور فى مبداه * واس اركان دولته فى منتهاه * وهما اللذان كانا بنيا اشبارة * واسسا فيها قواعد النهب والغارة * وهي فى نحر بلاد المغول والجتا * واقصى حدود ما ينتهي اليه حكم تيمور ومبدأ بلاد الخطا * وليا بها اميرا يدعى ارغون شاه * وامداه بطوائف من العساكر وفى ثغر المغول ارصداه * كل هذه الامور بامر تيمور * ولما شرعا فى ذلك * لم يرض المغول بهذا الفعل الحالك * لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الافعى * اذا جاورهم لا بد انه فى الفساد يسعى * فلا يأمنون غائلته * ولا يطيقون مجاورته * فتشوشت خواطرهم * وتكدرت ضمائرهم * فاستوفزوا للفرار * واخلاء الديار * فزاد الجغتاي فيهم طمعا * ومد كل من اشرار الطائفتين الى الاضرار يد التطاول ورجل الفساد وسعى *
وشرب كاسات التحريم فاكل ما حل بيده وما تزهد فى تعففه ورعا *

ترح الجغتاي بذلك * ووقعت العداوة بين الجانبين فسد كل
على الآخر طرق المسالك * وجعلوا يرسلون اليهم السرايا * ويحذرن
بما تصل يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا * وجعل المغول ايضا يفعلون مع
الجغتاي ذلك * وتربصوا بتيمور لبعده عنهم ريب المنون وتشبثوا
بعشوبات المهالك * واتصل الخبر بتيمور * فسر بذلك اشد السرور *
ثم إنهما حصناها بالأهبة الكاملة * والعدة الشاملة والرجال المقاتلة *
منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان * وقوم من جند عراق العرب
واذربيجان * وفرقة من فوارس فارس وخراسان * وشرذمة من أناس
تدعى جانبي قربان * واضافوا هؤلاء الكماه * مع تومان من ياشاق
الجغتاي الي الامير ارغون شاه * ووصلا الى خجند * وقطعا سيحون
وقدما سمرقند * وولّيا بها أميرا يدعى خواجه يوسف * فكان في قيد
الطاعة والإخلاص يرسف * ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك
المغشوم * ثم إنهما ما تاجميعا سيف الدين في خراسان ومحمد سلطان
في بلاد الروم * فوقع تيمور في الاحزان * على حفيده محمد سلطان *
ولبس عسكره السواد * واقاموا شرائط الحداد * ولم يكن بهم حاجة

الى السواد المعلم * فانهم كانوا السواد الاعظم * ثم جهز عظامه في تابوت * الى سمرقند مع عظموت وجبروت * ورسم ان يتلقاه اهل المدينة بالنوح والبكاء * ويقيمون عليه شرائط العزاء * وان لا يبقى احد من العباد * الا ويلبس من فرقه الى قدمه السواد * فخرج اهل سمرقند عن موافاته * وقد انغمسوا في السواد لملاقاته * وصار الشريف والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما * فكانما غشي وجه الكون قطعا من الليل مظلما * فدفنوه بمدرسته الحصينة المعروفة بالشاية * داخل المدينة وذلك في سنة خمس وثمانمائة * ولما اهلك الله تعالى جده * دفنوه كما سياتي ذكر ذلك عنده *

ذكر حلول غضب ذلك الصياد * على الله داد * ونفيه اياه الى اقصى البلاد *

ولما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد * وفارقه تيمور متوجها الى استخلاص بغداد * وكان الله داد * له انداد * واكفاء وحساد * واعداء واضداد * والحسد في عنق صاحبه غل قمل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * وجد اعداؤه للطعن فيه مجالا * وفي مقام ثلب عرضه مقالا * فانتهزوا فرصة غيبته * واكلوا بلا ملح

حته وتنقلوا بغيبته * ووشوا به الى تيمور * وذكروا ما فعله فى الشام من الامور * وانه اغتنم من ذخائرها ما لا يحصى * واختلس لنفسه من نفائسها وتعلق به من اعلاقها ما لا يستقصى * وكان كما قالوا *

وما اهملوا اكثر مما نالوا * فبدّدوا امره * واوغروا عليه صدره * لا سيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين اخيه * وكان من الابهة والمهابة بحيث ان تيمور كان يخافه ويتجنبه * وله في ممالك ما وراء النهر مآثر مشهودة * ونتائج فكر باقية معهودة * فلما وصل الله داد الى سمرقند * اعقبه تيمور مرسوماً من عنده * بان يتوجه الى اشباره * ويستعد هناك للنهب والغارة * وذلك كالنفي لاله داد * والغائه لى اقصى البلاد * وطرحه في نحر المخالفين وثغر ذوي العناد * وانتقل منها الى سمرقند ارغون شاه * ولم يزل بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله * فجعلت المغول تجهز الى اشباره القبائل * وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق * وتغتنم الفرصة لبعد تيمور عنها * وكان الله داد يتحرز اشد الاحتراز منها * وهو مع ذلك يجهز لهم النجا ويد * ويحفر لهم بالمكر الآبار والاخاديد * ويقتل

وتأسر * وتطحن وتكسر * حتى اقوا ما بعد تيمور * وسيأتي ذكر هذه الامور *

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط * وما كان يصل اليه غواص فكرة النشيط *

ثم لما كان تيمور المشوم * مخيما ببلاد الروم * ابو دا الى الله داد مراسله * فيها امور مجملة ومفصلة * آمرة بامنيتا لها * وارسال الجواب تكشيبة حالها * منها ان يبين له اوضاع تلك الممالك * ويوضح له كيفية الطرق بها والمسالك * ويذكر كيفية مدنها وقراها * ووهدها وذراها * وقلاعها وصياصيها * وادانيها واقاصيها * ومفاوزها واوعارها * وصحاريها وقفارها * واعلامها ومنارها * ومناهلها وانهارها * وقبائلها وشعابها * ومضائق طرقها ورحابها * ومعالمها ومجاهلها ومراحلها * ومنازلها خاليها وآهلها * بحيث يسلك في ذلك طريق الاطناب الممل * ويتجنب مأخذ الايجاز وخصوصا المخل * ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين * وكيفية السير بين كل مرحلتين * من حيث تنتهي اليه طاقته * ويصل اليه علمه ودرايته * من جهة

بزتي وما يليك الخطا وتلك الثغور * والى حيث ينتهي اليه من جهة
سمرقند علم نيمور * وليعلم ان معالم البلاغة في معاني هذا الجواب *
ممن يصرف فيها ما استطاع من حشو وتطويل واطناب * وليسلك
في بيانه الطريق الأوضح من الدلالة * وليعدل عن الطريق الخفي في هذه
الرسالة * الى ان يفوق في وصف الاطلال وحدود الرسوم *
وتعريف الدمن مضغة الشيح والقيصوم * فامتثل الله داد ذلك
المثال * وصور له ذلك على احسن هيئة وآنق تمثال * وصوابه
استدعى بعدة اطباق * من نقي الاوراق واحكمها بالالصاق *
وجعلها مربعة الاشكال * ووضع عليها ذلك المثال * وصور جميع
تلك الاماكن * وما فيها من متحرك وساكن * واوضح فيها كل
الامور * حسبما رسم به تيمور * شرقا وغربا * بعدا وقربا * يمينا وشمالا *
مهادا وجبالا * طولا وعرضا * سماء وارضا * مردا وشجراء *
غبراء وخضراء * منهلا منهلا * ومنزلا منزلا * وذكر اسم كل مكان
ورسمه * وتمييز طريقه ووسمه * بحيث انه يبين له فضله وعيبه *
وابرز الى عالم الشهادة غيبه * حتى كأنه مشاهده * وبه ليله ورائده *

وجهز ذلك اليه * حسبما اقترح عليه * كل ذلك وتيمور * في بلاد

الروم مور *

ذكر ما فعله ذلك المكار * عند تجهيزه امرا الروم من الغدر بالتتار *

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر * وقضى الكون من

افعاله العجب واهل الروم النحب وجيشه من الغارة الوطر * وامتلأ

من المغانم وادي سيله العرم * وكان فتى الربيع قد ادرك وشيخ

الشتاء قد هرم * وانتقل الى رحمة الله المجيد * السلطان السعيد *

الغازي الشهيد ايلدرم بايزيد * وكان معه مكبلا في قفص من

حديد * وانما فعل ذلك تيمور * قصاصا كما فعله قيصر مع شابور *

وكان قصد استصحابه الى ما وراء النهر * فتوفي معه في بلاد الروم

في آق شهر * وفي هذا المكان * توفي حفيده محمد سلطان * وعزم على

الرحيل * وحزم احمال التحميل * ثم جمع رؤس التتار * وقد اضمر لهم

الدمار والبوار * وقال قد آن ان اكافيكم بما صنعتم * واجازيكم بما فعلتم *

ولكن قد اضوانا المقام * وملّلنا الاقامة في مضايق الاوهام * فهلم نخرج

الى الفضاء الفسيح * فينشرح صدورنا من ضيقي الزمان والمكان في المهامه

الفسيح * ضواحي بمبواس * ومنتزه الناس ومثوى الاكياس * فهنا لك
نضبط احوال هذا الاقليم الوريف * ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه
نا الشريف * فانه لابد من تفصيل جمله * وامعان النظر في كيفية
تدبيره وعمله * وحصر مدنه وقلاعه * وضبط قراه وضياعه *
وحسبان توامينه واقطاعاته * والاحاطة بافراده وجماعاته *
فاذا فصل لنا ما اجمل * ووضح عندنا ما منه استشكل * فحصنا عن
رؤسكم وجماجمكم * وتوصلنا الى معرفة اخباركم وتراجمكم * وجمعنا
رؤساءكم * وحصرنا زعماءكم * واحصينا اعدادكم * واستقصينا
آباءكم واجدادكم * واعتبرنا اخوانكم واولادكم * ونظرنا معلقيكم
واحفادكم * وتحققنا شعار الروم ودثارهم * واوثرنا كم ارضهم
وديارهم * ثم فرضنا هذه المسئلة على اعداد الرؤس * وقسمنا نفائس هذه
الممالك على النفوس * ثم رددنا كم اليها مكرمين * وكفينا كم رعيا لكم
العيلة اذ لنتم علينا معولين * وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم
ما يجب فعله * ونبقي عليكم من افعالنا ما يتخلد في بطون الدفاتر
والتواريخ نقله * فكل منهم ارتاح لهذا القول * وعول في هذه المسألة

على موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من العقول * فلما توافقوا على هذه الحركة بنفس ساكنة * لم يبق منهم في هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم المماثلة مباينة * فسار بالناس * حتى بلغ سبواس *

*** فصــــــــل ***

ولما برق ركام ركابه المراكم في آفاق سبواس ورعد * وحان له ان يغي لطائفة الثنا ربما وعد * جلس جلسة عامة * واقام من زبانية الجند طائفة طامة * ثم دعا من الدنا الوجوه والرؤس * والظهور والصدور * ومن نشيجة مصبوته * ونفي معرفه * والمردة من شياطينهم * والعتدة من اساطينهم * فاستقبلهم بوجه طلق * ولسان بالحلاوة ذلق * واجلسهم مكرمين في اماكنهم * وزاد في تمكينهم وامكانهم * ثم قال قد كشفت بلاد الروم ونواحيها * وتبينت جميع قراها وضواحيها * وقد املك الله عليكم فاستخلفكم فيها * وانا ايضاً افوض ذلك اليكم * واذهب عنكم واستخلف الله عليكم * ولكن اولاد نا نزال غيوتا لكم * ولا يرضون بان يكونوا فيها مشاركيكم * واما صلحهم فقد سددت فعالكم مع ابيهم طريقة * فلا مجاز لكم الى شريعته على الحقيقة *

ولا فك انهم يرابون صف عهم * ويبذبون جمعهم * ويسنوحون عليكم اهل المدر والوبر * ويلبيهم بالاجابة كل من يبلغه دعوتهم لانكم في زعمهم آل غدر * فيلبسون لكم جلد النمر * ويصلونكم الجمر بكل آمر ومؤتمر * فيقرضونكم من كل جانب * ويتخطفونكم من الاطراف والجوانب * لاسيما وبيد هم غالب الحصون والدساكر * وتحت اوامرهم من بقي من طوائف الجنود والعساكر * فان كنتم كما انتم في الناس فوضى * فانهم يخوضون في دمائكم حوضا * فعوا واسمعوا * ان كنتم لم تعوا ولم تسمعوا *

* شعر *

* لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا *

واما انا فلست منكم بدان * ولا لي في المدافعة عنكم يدان *

فلا بد لعقد امركم من نظام * وللصلوة جماعتكم من شرائط واركان يجب القيام بها اولا والسلام * واول شرائط ذلك امام * يرجع الى الاخذ باعباء افعاله الخواص والعوام * ثم بعد ذلك ترتب الجماعه * وتنزيل كل واحد في صف السمع والطاعه * ثم وضع الاشياء في محلها *

ودوام المناصب والوظائف في يد أهلها * وايصال كل مستحق
استحقاقه * رجع الرأي على أمر واحد باتفاقه * فاذا اتفقت آراؤكم
والتقت أهواؤكم * وعظمت ابناؤكم كبتت أعداؤكم *
يد اواحدة على من ناواكم * وانتصرتم على من خالفكم وعاداكم *
وكان ذلك أحرى أن لا تمتد اليكم بمكروه يد * ولا ينالكم من مخالفيكم
كيد ولا كد * وهذا انما يتم بالنظر في أحوالكم * والتفحص عن أمر
خيلكم ورجالكم * وضبط الأهبة والسلاح * فان ذلك آلة الظفر
والفلاح * فليذكر كل منكم ولده وأهله * وليحضر خيله ورجله * وليأت
بعدده وعدده * وجنده وولده * وليعرض ضرورته ان كانت *
ولا يستصعبها فقد هانت * فمن كان محتاجا الى تكميل شيء أكملناه *
ومن كان مختارا الى ايصال شيء أوصلناه * وأضفناه الى كل ما يجب اضافته *
فيحصل أمنه وتذهب مخافته * فاعرضوا أول شيء عليه سلاحكم * حتى نكمله
ونعمل صلاحكم * فأحضر كل منهم أهبته * وعرض عليه عدته *
وطرحوه في ذلك الجمع النظيم * فنراكم فكان كالطود العظيم * كما فعل
أول الزمان * بأهل مدينة سجستان * فلما سلب تلك الأسود

بحر اثنهم وانيابهم بهذه الاعاليب * رخلب اولئك الكواسر الجواسر
على مناقيرهم والمخاليب * واولج صارم فكرة الذكر في احشاء عقولهم
وانزل * وصار سماك سماء عزمهم الرامح وقد تحرّة سعد الذابح اعزل *
امر كل من عنده احد من النار * ان يقبض عليه ويوثقه بقيد
الاسار * ثم امر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه * وقد اشعل قبائل
التتار بجمر البوار واصعد الى العيوق دخانه * نفث ذلك من اعضادهم *
وبث من اكبادهم * وقصم ظهورهم * واشعل نارهم واطفأ نورهم *
ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبه * واستعطف قلوبهم بالاماني
الخائبه * واستصحبهم بالاقوال المموهه * والافعال المشوهه *
وحال بهم الحال * وامر في الحال بالمسير والترحال * قيل ان
السلطان بايزيد * قال لذلك العنيد * اني قد وقعت في مخاليك *
واعلم اني غير ناج من معاطيك * وانك غير مقيم * في هذا الاقليم *
ولي اليك ثلاث نصائح * من بحير الدار بين لوائح * اولاهن لا تقتل
رجال الاروام * فانهم رداء الاسلام * وانت اولى بنصرة الدين *
لانك تزعم انك من المسلمين * وقد وليت اليوم امر الناس * وصرت

لبدن الكون بمنزلة الراس * فان حصل لموفق اتفاقهم من تاييد يديك بسط وتكسير * تكن فتنة فى الارض وفسادكبير * ثانيتهن لاتترك التتار بهذه الديار * فانهم مواد الفسق والفساد فلا تهمل امرهم * ولا تأمن مكرهم فخيرهم لا يعادل شرهم * ولا تذر على ارض الروم منهم ديارا * فانك ان تذرهم يملأوها من قبائلهم تارا * ويجروا من دموع رعاياها ودمائهم بحارا * وهم على المسلمين وبلادهم اضر من النصارى * وانت حين تحذلهم عني زعمت انهم اولاد اخوتك * وبنوا عمك وذووا قرابتك * والاولى بجماعتك وناسك ان تتبعك * وبكل من اولاد اخيك ان يقول لك عم خذني معك * فاعمل افكارك المصيبة في اخراجهم * واذا ادخلتهم حبسا فلا تطمعهم في افراجهم * ثالثتهن لا تمد يد التخريب الى قلاع المسلمين وحصونهم * ولا تجليهم عن مواطن حركتهم وسكونهم * فانها معاقل الدين * وملجأ الغزاة والمجاهدين * وهذه امانة حملتكها * وولاية قد تلدها * فتقبلها منه باحسن قبول * وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم الجهول * واستكثر ما طلى عقل ابن عثمان * ووفى بها بقدر الطاقة والامكان *

ذكر ارتفاع ذلك الغمام * بصواعق بلائه عن ممالك الاروام

وصار قتاراً غبار * اخذ عين الشمس منه الانبهار * وفاز بها التتار *

فكأن البحر امده الله بسبعة بحار * فمر لا يدخل قرية الا افسدها *

ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها * ولا يمر على مكان الا دمره *

ولا ينجذب عن ربقة طاعته جيد الا كسره * ولا يمتنع عليه شمراخ

حصن شامخ الا قصره * فخلع على عثمان قرا يلوك حين وصل

الى ارزنجان * وقرره في ولاياته وزاده بعض معان ومغان *

ووصاه بشمس الدين الدي ولاه قبعة كماخ * وان يكون

كل منهما للآخر قوة وطباخ *

ذكر انصباب ذلك العذاب ماءاً وناراً * على ممالك الكرج وبلاد النصارى

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللجي * حتى ارسى على بلاد الكرج * وهم قوم

يعبدون المسيح * ملكهم غير فسيح * ولكنه مصون * بواسطة قلاع

وحصون * ومغائر وكهوف * وجبال وجروف * وقلال وحروف *

وكل من ذلك اعصى في المنال * من نفس كريم سمح شيمة الابتذال *

ومن مدنهم تفليس * وكان اخذها ذلك الابليس * وطرابزون وآب خاص *

وهي التخت بالاختصاص * فتمنعت هذه الاماكن عليه * ولم تسلم قيادها اليه * فاقام يحاصرها * وقعد يناقرها ويناقرها * فمن ذلك مغارة بابها في وسط جرف شاهق * آمنة من البوائق سالمة من الطوارق * وسقفها آمن من صواعق المجانق * وذيلها ارفع من ان يتشبث به علائق المسالق * مدخلها اخفى من ليلة القدر * وعلم التوصل اليها اجلى من القمر ليلة البدر * فاولع بمحاصرتها * والتزم بمضاجرتها * واستعمل من فكره مهندسه * وجعل لا يفتر من الافكار والوسوسه * ثم انتج رأيه المتين * وفكرة الرصين * ان يرسل عليها عذابا من فوقها * وان يصطاد تلك الحمامة الصاعدة في الجو بارجلها من طوقها * فامر ان يصنعوا له توابيت على هيئة التابابات * كأنهن شياطين النساء للرجل غلابات * واوثقهن بالسلاسل الحكيمه * واوسقهن بالرجال ذوي الشكيمه * وادلاهن من تلك القلال * واهواهن من شواهق الجبال * فتدلين في الهواء * تدلية مبرم القضاء * فملأن النفانف * وارجفن من الجبال والرجال الروانف * وصار لسان حال تلك الصقور والشواهين ينادي كل

مِن رآه * الم ترا الى الطيرِ مسخراتٍ في جوّ السماءِ ما يمسكهن الا الله *
فجين وازوا باب تلك المغارة * كبتوهم بالنبالِ السّحارة * وكفوهم
بالمكاحلِ الطيارة * وهاوشوهم بانواع الاسلحه * وناوشوهم بالاوهاقِ
والكلاليب المفلطحه * فلازالت الجوارح في الهواءِ صافاتٍ ويقبضن *
ويقبلن الي ذلك الوكرِ حائماتٍ عليه ولا يعرضن * ينقرن اسرة اهله
بمناقيرِ المناقب * وينشبن فيهم مخاليب الكلاليب * وبكرِ الناشزة
ثمانعهم طي الولوج * وتستعين في مدافعتهم بمن فيها من العلوج *
فلم ينشب احد من اولئك الجوارح * ان انشب في الباب كلوبه
الجارح * ثم استقصد الفتح واستنهض الظفر * واعتمد على الله
ومن دّ بابته الى الوكرِ وظفر * فاحتضنه ساعد المساعدة * واكتنفه
عضد المعاضدة * وقبض على رسغه كف السلامه * فنكصت النصارى
على عقبهم امامه * ولم يزل وحده مبيدهم * حتى قتل اوباشهم
وصناديدهم * ثم ادخل رفقته فيها * واخرجوا ما كان في مخابيها *
واسم هذا الرجلِ لهراسب ستة احرف ليس فيها غير متحركين اللام
مضمومة * والهاء * والراء مفتوحة * والالف والسين والباء * واجتماع

ثلاث مواكن فى الفارسي كثير * وفى التركي ايضا موجود
عزيز غير عزيز * ومن جملة هذه القلاع قلعة شاهقة * حروف ذاتها
كحروف اسمها بمناعتها ناطقة * لا يعمل في فتحها لارتفاعها لعل
وليت * لان اسمها كما زعموا كل كوركيت * فتعال انظر ارجع *
بمعنى انه لا ينال الواقف عليها * سوى النظر اليها * ثلاثة اطرافها
مبنية على قلل الآكام * شمخت على ما حواليها من الهضاب فهي على الاعلام
اعلام * وطريقها من الوجه الرابع وهو ضيق في سلوكه عسر *
ينتهي بعد انواع المشقة الى جرف مقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن
جسر * اذا ارتفع ذلك الجسر سدت دون الوصول الى الحصن
الحيل * واعاد كل من لاذ بقلته من بنيه فضح ان يقال له معاذ بن
جبل * فلما اطلع على حقيقة امرها * وانكشف له مستور خبرها *
ابى ان يرحل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ولم يكن بالقرب
منها مكان ينزل فيه * ولا بد يحمل ذلك البحر الطاغي ويحويه *
بل انما كان حواليها جروف وهضاب * غضون جبينها كانها وجه
شوهاء ناشز عن زوج مجب عقاب في عقاب * فطمع منها في غير مطمع *

موتنصب سرادقه بحيث كان منها بمرأى ومسمع * وصار من عساكره الأسود الحوادر * يتناوبون حصارها ما بين وارد وصادر * وهم يرفعون الجسر بالنهار * فيأمنون مكائد القتال والحصار * لأنه قد تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال * ولا مفحص قطاة يتمكن منه النصال * فكانوا يرمونها بالنها رعلى بعد بسهام الأحداق * ويرضون منها بنظرة من بعيد كقانع العشاق * فاذا جنهم الليل * شمروا الى جهة مخيمهم الذيل * لأنهم لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل * فتضع النصارى الجسر ويبرزمون الى حاجاتهم السبيل * فلما لاح له منها امارات الحرمان * وبان له ان امل ظنه من فتحها قد مان *

* كما قلت *

* واعظم شيء في الوجود تمنعا * نتاج مرام من عقيم زمان *

صمم العزيمة على الرحيل * ولكن خاف العار فطلب لهذه المسئلة الدليل والتعليل *

ذكر سبب اخذه لهذا الحصن المنيع * وبيان معاني ما جرى في ذلك من صنع بديع *

وكان في عسكره شابان نديدان * اسدان جليدان * يتشابهان
في الخلق والخلق * لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق *
يتجاريان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق *
فكانا كفتي ميزان * وفي مضمارها فرسي رهان * فاتفق ان احدهما
صادف علجا من الكرج * في الجراءة كالاسد وفي الجثة كالبرج *
فنازله ثم قتله * وقطع رأسه والى تيمور حمله * ففخم شأنه * واعلى
على الاقران مكانه * فاثر ذلك في نديده * فكأنه قطع حبل وريده *
ثم افتكر في شيء يصنعه * يضع من نديده ويرفعه * وكان اسمه بير محمد
ولقبه قنبر * فلم ير اكبر من مواقبة ذلك الجسر ولا اشهر * فاعتمد
على الله سبحانه وحده * واستكمل ماله من اهبة وعدة * ورصد نجمه
في بعض الليالي * ولطا في مكان خالي * ولا زال يترقب النجوم *
ويترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم * ويشبر تلك الفتن بيديه
ويذرع * ويمشي تارة على بطنه واخرى على اربع * الى ان طرح
الضوء نقابه * وسلخ الجو اهابه * ورجع النصارى الى كسرهم * وتعاونوا
على رفع جسرهم * طفر بير محمد الى الجسر فقطع حباله * وتابع عليهم

من سحائب نباله * ولم يمكنهم من رفعه * ولا غير موضوعه عن وضعه * فتراكموا عليه بالنبال والاحجار * وارسلوا عليه من ذلك السماء المدرار * ولا يردعنا هو بصدده * ولا يلتفت الى حينه * ويتلقى ما يصدر من مراسيم نبالهم واحجارهم بالقبول على رأسه وعينه * ولم يزل على المكافحة والمناضحة * والمكاشحة والمكالحة * حتى تعالى النهار * وعض الكون من فعاله انملة التعجب واخذ عين المكان الانبهار * وكان المحاصرون لها كفوا عن القتال وتهور قلق عزم كما ذكر على الترحال * وكان سرادقه منصوبا بمكان عال * فناداه لسان الفتح * وخاطبه منادى النجح

* شعر *

* لا تيأسن من مطلب * قطع الورى اسبابه *

* ان اغلقوا ابوابهم * فالله يفتح بابه *

فترائى على باب القلعة من بعد كأن ناسا يتواثبون * واشباح طائفة يتكالبون ويتضاربون * فقال لقبيلة اي اولى النجدة والعون * انى ارى ما لا ترون * فانعموا معى النظر * ثم اسرعوا نحو المعتكر *

وأتوني بحقيقة الخبر * فانك فعوا يستشرفون لك خبرا * ويستكشفون
لسرائره ستراً * وهم ما بين عادٍ من النمر اغلى * رجا رمن الاسد اجرى *
وكل منهم في عدوه وعداوته تأبط شراً * ولم يزالوا يتجارون على ذلك
ارسالاً وتترى * كأنهم الشياطين نهاض ووثاب وعداء وهلم جرا * حتى
ادركت مقدمتهم بيرمحمد * وهو في غمرات الموت بنارة يتوقد *
وقد صار لسهامهم غرضا * وكاد جوهره ان يصير عرضا * فلما رآهم
من بعيد عاش * وحصل له الانتعاش * وزال عنه الارتعاش * وتلاحقت
به الصناديد * فكفت عنه تلك الافسال الرعاديد * وحين عجزوا
عن رفع الجسر وولوا الاعقاب * عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا
الباب * فاختلط بيرمحمد معهم * ودخل الحصن ومن ايصاده منعهم *
فلقوه بالسيوف * ورضوه باحجار الحتوف * وهو يأبى الا المدافعة *
ويجتهد في مراجعة الممانعة * لا يشعر بما يناله من رض الحجر وجراح
الحديد * كأنه مثالة عراة الفناء في الغناء في التوحيد * الى ان غشيتهم
تلك الليوث * وانفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة
سيول الغيوث * فتشبثت اسود المنايا بتلابيبهم * وخلصوا بيرمحمد

من مخاليبهم * ثم قبضوا على النصارى * واخرجوا مالهم فيأ وحريمهم سبايا واولادهم اسارى * وحملوا الى تيمور بير محمد * واخبروه بما قصده في ذلك وتعمد * وتفقد ما به من جراح تدمي * فاذا هي ثمانية عشر جرحا كل منها يصمي * فشكر له فعله * ووعده مواعيد جزله * واحله المحل العزيز * وجهزه الى تبريز * وامر بعد الوصية به الامراء من النواب والرؤساء * ان يجمعوا عليه كل نطاسي من الاطباء وخريت من الاساة * بحيث ان يبذلوا في معالجته جهدهم * ويستوعبوا في اساته كدهم * ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل * فامتثلوا مراسيمه وعالجوه بما امكنهم وازاحوا العلل * فاندملت جروحه * وبرئت احسن مما كانت قروحه * فلما نصل * والى تيمور وصل * جعله احد قواده * ورئس طائفة من اجناده * وقدمه على كثيرين بعد ان كان خلف * وصيره امير مائة مقدم الف

* تتمة ماجرى للكرج * مع تيمور شيخ العرج *

ومنه القلعة والمغارة كانتا عيني قلاع الكرج * ونار اعلامهم والبواقي سرج * فحين قلعت من وجوههم عيناهم * تيقنوا ان قد نزل بهم عناهم *

وأحاطت بهم عزائمهم * فانحلت قواهم وانخرمت عراهم * وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامة * وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية واسلمتهم السلامة * وتفأل تيمور بحصول الفلج * وانثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج * وانبثت شياطينه فيها فهزتهم هزا * وقدت ثوب حيوتهم قدا وجزتهم جزا * وخاطت لهم اكفان المنايا بالسلاح فاوسعتهم شلا وكفا ودرزا * وتلا عليهم لسان الانتقام الم ترانا ارسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم ازا *

ذكر طلب الكرج الامان * واستشفاعهم الى ذلك الجان * بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان *

فاستدركوا تقصيرهم * واستنهضوا تدبيرهم * ورقعوا خرقهم قبل الاتساع * ووصلوا حبل حيوتهم قبل الانقطاع * واستغاثوا الامان الامان * واستعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان * والقوا اليه ايادي تدبيرة الزمام * ورضوا ان يكون لجماعتهم وان كان على غير ملتهم الامام * وجعلوه خطيب ذلك الخطب * واستجلوا ما تثمر لهم سعايته من يابس ورطب * وكان اذ ذاك جيوش المصيف

كجمع الكرج قد ولت * وجنود الخريف والشتاء كجيش تيمور قد ظلت * وسلطان الانجرد * قد متقل فرند المياه وجرد * ورفع من الاغصان الاعلام السلطانية * ونصب على قلل الجبال الصيوانات البلارية * والبس متن الغدير من نسيج نسيم الاصيل الدروع الداودية * فكان ما في الكون من جوامد ونوام * من جملة عساكر تيمور حام له او محام *

* قلت * شعر

* واذا اراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا *

* واذا اراد خلاصه من هلكة * اجرى له من نارها الانهارا *

* فترى العقول تقاصرت عن كنهه * وترى له في شوكها ازهارا *

فدخل الشيخ ابراهيم عليه * وقبل الارض بين يديه * وحياه بتحية الاكاسرة من الملوك * ووقف في مقام اصغر مملوك * ثم استأذن في الخطاب * واستلطف في رد الجواب * فاذن له فقال ان عموم شفقة مولانا الامير * وحسن حنوه على المسكين والفقير * وشمول عاطفته الكريمة ورحمته المنيفه * حمل عبد المملوك على عرض ما عن له

على الآراء الشريفة * وهو انه بحمد الله المرام حاصل * والمراد على وفق الاختيار متواصل * وهيبة مولانا الامير في الشرق والغرب * اغنته عن الاستعداد للضرب والحرب * ثم ان العساكر المنصورة اكثر من ان تحصى * وفيهم من الاسرى والمرتقي الحال ما فات من الاحصا * خصوصاً جماعات التتار * الذين ولى سعدهم الادبار * واحلوا قومهم دار البوار * قد اضربهم البرد * وتردد نفس حظهم بين العكس والطرد * فان استمرت الامور * على هذا الدستور * رق الجليل وهلك الرقيق * ودق العظيم وانطحن الدقيق * وهذه البلاد بل وسائر الاقاليم * محال الا بامرك ان تستقيم * وان رؤساءها من الفجرة والفسقه * علموا ما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقة * فتراموا لعلة المجاورة على المملوك * ورجوا من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغني الكريم المحتاج الصعلوك * ومهما برزت به المراسيم المطاعه * تلقاه بالقبول كل من المملوك وهؤلاء الجماعه * وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعه * وان كان المقصود جمع مال * فالمملوك يقوم به على كل حال * واني للمملوك

ما هو الا من صدقات مولانا الامير * وما قصد المملوك بذلك الا رفع الكلفة عن الجانبين وتيسيرا لامر العسير * ورعاية لحق الجوار * عملا بقوله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار * والرأي الشريف اعلى * واحرى ان لا تخيب رجاء المملوك واولى * فاجابه الى سؤاله * وطلب منه مالا عريضا سواء كان من ماليهم او من ماله * فقال الشيخ ابراهيم * انا به زعيم * وابلغ ذلك الى خزانته اتم ابلاغ * ثم رحل واكمل شتويته في قراباغ *
وذلك في سنة ست وثمانمائة *

ذكر ثني عنانه * الى اوطانه * وقصده بلاده * بعد استكماله فساده *

ولما زينت ماشطة الكون عروس المكان * واقام مزين الجمادات قوام الزمان * وتهيجت القوى النامية * وتبرجت مخدرات الذرى السامية * وشبت الجمرات * ودبت الحشرات * تحرك للرحيل ذلك الافعى * ونفث على هوام اموات الزمهرير من احياء عساكره فاذا هي حية تسعى * فدق الكوس * فجاوب صداه الرعد القاصف ولمعت مرايا اللبوس * فانعكس منها ايماض البرق الخاطف وعرض فبوله

فى الترويس * فاحاط بالاطواد قوس قزح * وسير خيوله فى اللبوس

فتجليت كتائب الكثبان بشفوف الورد والريحان خائلة فى ذلك البر

المنزح * ومارت الجبال * فمرت الجبال مر السحاب * ومارت الرعال *

فصعد العنان من النقع الضباب * وشرعت النوابل * فاذا رطب

الاغصان متمائل * ومزمزت الفواصل * فانساب فى القصيل مرهف

الجداول * ونضنضت السنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات

العذبات * ونشرت اعلام الكتائب فابتثت اشاهير الازاهير

على عقبات العقبات * وعلى الجملة فان الربيع حاكى ببروقه بوارقه *

وبرعوده صواعقه * وبخمائله ورواببه زرابيه ونمارقه * وبركائبه قتامه *

وبشقائقه اعلامه * وباشجاره المزهرة خيامه * وباغصانه رماحه *

وبعواصف امره وهبه رياحه * بكتائبه السود كتبه الخضر *

وبازهاره الزرق مزارقه الزهر * وبسيوله الجرارة مسير جحافله *

وباضطراب بحر فيالقه تموج خمائله عند هبوب اصائله * واستمر

بين ذلك العرار والرند * قافلا بالبال الفارغ الى سمرقند * فسار

والسرور نديمه * والحبور حريمه * والاشر معاقره * والنشاط مسامره *

وبيّن التفريط والافراط مواردهُ ومصادرهُ * حتى قطع ولايات اذربيجان * وحلّ ركابهُ بممالك خراسان * وفي خدمته ملوك الاقاليم وارباب التيجان *

ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله * ووفودها عليه مهنية له بحسن مآله *

ولما تسامعت اقطار البلدان * انه قفل قاصدًا الاوطان * اقبلت اليه الملوك من اطرافها * والمرازبة من اكنافها * وسارع الى استقباله المدارهُ والجحاجيح * وتبادر من ماوراء النهر وغيرها السراةُ والمراجيح * وتطاير اليه من الاقاليم اساطينها * ومن الولايات والثغور ملوكها وسلاطينها * ومن كان مرابطًا في ثغر * ومواظبًا على اكيد امر * ارسل نائبهُ اوقاصدهُ * او حاجبهُ اورائده * يتباشرون بقدوم اقدامه * ويهنئونه بما فتح عليه من هنده وعراقه وروِمه وكرجه وشامه * ويقدمون التقادم والحمولات * ويهيئون الضيافات والاقامات * ثم اردفهم السادات والعلماء والمشائخ والكبراء * ورؤساء الموابذة وموابذة الرؤساء * فجعل يسمت لكل واحد منهم سمتًا *

ويأمره فيخضع بالسمع والطاعة إجلالاً وصمتا * ويمهد له فيما ولاه قواعد ومباني فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتا * ثم جهز كلاً منهم بما اقتضاه رأيه وأجازه * ووصل الى جيحون وقد أعدت له السفن والمراكب فجازه * فخرج أهل المدينة للاستقبال * وكل منهم منشرح البال ملتئم الحال * فدخل سمرقند أوائل سنة سبع وثمانمائة * ومعه من طوائف الأمم الاثنان والسبعون فرقة وأكثرهم قد ربه ومرحمته * ثم أذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت * ولطوائف جند ما وراء النهر فتمزقت *

ذكر توزيعه التتار رسالاً * شرقاً وغرباً يميناً وشمالاً *

فلما استقرت به الدار * أخذ في توزيع التتار * فكانوا ذوي عدة وعدد * ونجدة وشدة * فحين سلبهم عدتهم * كسر شوكتهم وشدتهم * ولكن أبقى الله عدتهم * فخاف لذلك نجدتهم * فشتت جمعهم * وأقوى من اجتماعهم ربعهم * فبددهم في فيافٍ وبطاح * ووزعهم في قفارٍ وضواح * وبددهم في أقطار عناءٍ وبراح * وندهم في أقطار بكاءٍ ونواح * فسدد بروشيهم أفواه

الثغور* واوصد بظهورهم ابواب النحور* فجهز طائفة الى كاشغر* وهو بين حدي الخطا والهند احد الثغر* ووجه فرقة الى دوبرة في وسط بحيرة تدعى اسي كول* وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول* فصادفهم بعض السعد* فانقطعوا عمن اضيفوا اليه كما ينقطع عما بضاف اليه بعد* فانصوا منهزمين ولم يلووا* واخذوا من صوب الشمال وخرجوا على الدشت الى ابدكو* ثم اضاف سائرهم* وقبائلهم وعشائرهم* من كل حزب اواه* الى ارغون شاه* وجهزه بعزم وحزم* الى ثغور الدشت وحد دخوارزم* وهذا كان ديدنه وما بنى عليه امره وامورة* فانه كان من الشياطين النقاله* وفى المكر واللعب بالناس كدلة المحتاله* كلما بنى في قطر قلعه* او استولى في نحر من نحور المخالفين على بقعه* انزل بها من العساكر* من هو في اقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر* ونقل اليها من لها من الرجال* ان كان فى الشمال الى اليمين وان كان فى الجنوب الى الشمال* فانه لما استولى على ملك تبريز وما والاه* استناب فيه ولده لصلبه اميرانشاه* وامده من الجغتاى بطائفة غلاظ شداد*

مِنهم خُدايدادُ اخُو الله داد * ونقلَ الى اَطْرافِ الخَطَا وتُركستان * طَوائِفَ من عَسْكَرِ العِراقَيْنِ والهِنْدِ وخُراسان * وولّى سُمَاقةَ بن التَكوبتي الّذي اخَذَهُ من الشّام * نيابةَ مَدينَةِ بيرام * وهي من سمرقند الى جِهةِ الشَّرقِ نحوٌ من عشَرة ايّام * وولّى يلبغا المجنونَ نيابةَ يَنكي بلاس وَراءَ بيرام بنحوِ اربعَةِ ايّام * وهُما كُورَتانِ مُختصَرتان * وَراءَ سيحُونَ من معاملاتِ تركُستان * وهُما كانا اقَلّ من اَنْ يُذْكَرا * فَضْلاً اَنْ يَصيرا حُكّاماً وامُرا * وانّما فعَلَ ذلك * لِيَنتَشِرَ في اطرافِ المَمالِك * اَنَّ عِندَهُ من رُؤساءِ الشّام * جَماعةً من اعيانِ الاَعلام * وانَّ في مَمالِكه من الخَدَم * رُؤساءَ الاُمَمِ حُكّامَ العرَبِ والعَجَم * وانّ ذلك الطَرَفَ جالَ وسَطا * وملَكَ ما بينَ الشّام والخَطا

*** فصل ***

ثم اخذَ يتفقّدُ ما حدَثَ في غَيبَتِه * من امُورِ بلادِهِ ورعيّته * ويتفحّصُ عن قضايا المَمالِك * ويسلُكُ لِمُلوكِها المَسالِك * ويُدَبِّرُ مَصالِحَ الاَطرافِ والثغور * والاَكنافِ والبُحور * ويُراعي اَحوالَ الكَبيرِ والصَّغير * ويَتعاطى مَصْلَحةَ الغَنيّ والفَقير * ويضَعُ الاشياءَ في مَحلّها * وزِمامُ

الوظائف والمناصب في يد أهلها * ويبادر * بما قال الشاعر *

* لله در انوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل *

* نهاهم ان يمسوا عنده قلماً * وان يذل بنوا الأحرار بالعمل *

واخذ يربي السادات * ويكرم الأولياء ذوي الكرامات * ويبجل

العلم واهله * ويعلي الفضل ويعز محله * ويقلع المفسد ويقمع المارق *

ويخنق الزاني ويصلب السارق * حتى استقامت في زعمه امور السياسه *

وتمت على تورة جنكيزخان قواعد الرياسه *

ذكر ما ابتدعه من منكراته * وطبع بخاتمه خواتيم سيآته *

ووافى باستيفائه رائد وفاته *

ثم شرع في تزويج حفيده أي ولد الولد اولوغ بيك ابن شاه رخ

النبيه * الذي هو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة حاكم

سمرقند من قبل ابيه * فأمر أهل المدينه * ان يشرعوا في الزينه *

وان يرفع عنهم الكلف والمظالم * ويعفى عن الطروحات والمغارم *

ويبسط لهم بساط الأمان * ويعامل الكبير والصغير والرفيع والوضيع

منهم بالفضل والاحسان * وان لا يشهر في ممالكه سيف * ولا يجري

فيها ظلم ولا حيف * وان يخرج ازينهم الى مكان نحو ميل من ضواحي
سمرقند * يدعى كان كل هواؤه اذكى من المسك وماؤه احلى من القند *
كأنه قطعة من روض الجنان * غفل عنها خازنها رضوان *

* قلت * شعر

* رعى فيه غزال الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغزال *
روائح هوائه الطف من نسيم السحر * ورواشح مائه اعذب من ماء
الحيوة صفاء بلا كدر * وتعاريف طيوره الذ في السماع من ثناء
الناي على الوتر *

* قلت *

بساط زمرد نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص *

* وقيل * شعر

* كأن ملون الازهار فيه * وورد في محاسنه تنضد *
* صحاف من لجين او عقيق * ومرجان وياقوت وعسجد *
* فهذي حشوها مسك فتيت * وهذي ضمنها تبر مبدد *
* اراد الروض يجلوها علينا * فصاغ لها اكفا من زبرجد *

صباغ القوة الخيالية ينعلم خلط اصباغ النقوش من تشابيه
ازاهيره * ومواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال
من تحارير تصاويره *

* قلت *

* كأن رباه مما وقت همة * خضم بانواع الحلي مرصع *

افسح من امل حريص طامع * في جاه غني كريم نافع * وانزه للابصار
والبصائر * من غض شباب زاه زاهر * ساعفه الدهر بوجه بسيط واديب
كامل وعمر طويل ومال وافر * وهو احد الاماكن المذكورة *
والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهورة * ومبدأ
السعد الذي من جهاته بالنعم موقرة موفورة *

* قلت *

* شقائقه خد وناضرات * تحشت من سواد المقلتين *

عساكر تيمور مع انها البحر المتلاطم فيه * تضاهي بني اسرائيل في قطر
من اقطار التيه * ثم امرا الملوك والسلاطين * وارباب التيجان
من الاساطين * ان يخرجوا اليه * وينبثوا عليه * وفرز لكل منهم

في ذلك المرج مقاما * ورتبه ميمنة وميسرة ووراء اواماما * وامران يظهر ما امكنه من تجمل وتحسين * ويضرب ماله من خيام وقباب متكلفة بانواع النقوش والتزيين * ثم رتب من دونهم من الكبراء والاعيان * ورؤساء الامراء والاعوان * في ذلك الروض الاريض * والمرج الطويل العريض * فاخرج كل منهم ماحواه * وكاثرنظراءه لينظروا ما قدمت يداه * وفاخروعى الفخار منهم وباهى * واستقصى فى المباهاة والمفاخرة وتناهى * فنشروا مما طوت صحائف ايامهم * على جمعهم اباة سجلات آثامهم * من طرف اطراف الاقاليم والامصار * وتحف جواهر المعادن والبحار * ونفائس ذخائرنهبوا عليها النفوس والهبوا الانفاس * وعرائس اخائرسقوا عليها الكوس وخرقوا الاكياس * ما ازرى على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر * واسرى منظرة البهيج سرايا المسرات الى سر السرائر * فزاد حسن حديث ذلك المكان ونما * وعلا قدرة بهجة على كل ارض وسما * ثم امر بسرادقاته فجعلت مركز تلك الدارة * ونقطة دائرة تلك الافلاك المدارة * وهي سور محيط مضروب * على ماله من خيام وقباب منصوب * له باب واسع *

يَدْخُلُ فيه من دِهليزٍ شامخٍ * الى ما بِهِ من مَعانٍ ومَغانٍ * وله قرنانِ شامخانِ * تتكسّر لهما الرؤس * وتندهل عند مشاهدتهما النفوس * ولِاجلِ هذين * كان يلقب ذا القرنين * ونصبوا له داخل هذا الجناب * عدّة من الخيام والاخبية والقباب * ومن جملتها قبة اعلاها واسفلها بالذهب مزركش * وظاهرها وباطنها بلبّ الريش مريش * واخرى كلّها بالحرير محبوكة * وبانواع النقوش والوانِ الاصباغ مبنية مشبوكة * واخرى من فرقها الى قدمها مكلّلة باللآلي الكبار * التي لا يعلم قيمة احدها الا عالم الاسرار * واخرى مرصعة بانواع الجواهر * على صفائح الذهب مدهشة للابصار والبصائر * وجعلوا لما بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون * وبين ذلك الاروقة المنقشه * ورواقات الاخبية المزركشه * والفساطيط والابنية المدهشه * وفيها مراوح الخيش * الجالبات لبرد العيش * والمنافع والمرافق * والمفاتح والمغالق * واظهروا الذخائر الغريبه * وارخوا على ذلك الستائر العجيبه * ومن جملتها ستارة جوخ كان اخذها من خزانة السلطان بايزيد *

قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة اذرع بالذراع الجديد * منقشة
بانواع النقوش * من صور المنباتات والبنيان والعروش * واشكال
الهوام والطيور والوحوش * واشخاص الشيوخ والشبان * والنساء
والصبيان * ونقوش الكتابة وعجائب البلدان * والعروق اللاعبة
وغرائب الحيوان * بالوان الاصباغ * المبالغ في احكامها واجادتها
احسن بلاغ * كأن صورها متحركة تناجيك * وثمارها الدانية
لاقتطافها تناديك * وهذه الستارة احد عجائب الدنيا * وليس المستمع
كالمرأى * ونصبوا امامه سرادقاته بمقدار شوط فرش الصيوان * الذي
يجتمع المباشرون فيه وارباب الديوان * وهو جتر عالي الذرى * شامخ
في الهواء * له نحو من اربعين اسطوانه * وعواميد واسوارشيد وا
غليها اركانه وعمد وابنيانه * يتسلق الفراشون الى اعلاه كالقردة *
كأنهم مسترقوا السمع من الشياطين والمردة * ويتعادون على سطحه *
حين يرفعونه بعد بطحه *

فصل

واخرج اهل المدينة * ما عبوه * من تجمل وزينة * ونصبوه * تجاه تلك

السرادقات على مدّ البصر * وتأنق كل واحد من أهل البلد بما وصلت
اليه القوة والقدر * واجتهد كل ذي حرفة بما يتعلق بحرفته * وبالغ
كل من ارباب الصنائع فيما يليق بصنعته * حتى ان ناسج القصب اخرج
فارسا مكمل الاهبة * واستقصى في اكمال هيئته حتى اظافره وهدبه *
واستوفى دقائق ما يتعلق به من الآلات * كقوسه وسيفه وسائر
الاستعدادات * كل ذلك من القصب * ورفع ذلك في مكانه من غير
تعب ونصب * وصنع القطانون من القطن ميذنة رفيعة * محكمة
بديعة * ذات قد رشيق * وصنع وثيق ومنظر انيق * ببياض جسم
يسمو على الحور * وكمال قوام يعلو على القصور * ونصبوها فصارت
بحسنها تستوقف النظارة * وبعلو قامتها ترشد في ذلك المهمه المارة *
حتى غدت علما للسيارة * وعلى جوامع تلك الابنية منارة * وكذلك
اهل الحرف من الصواغين * والحدادين والخفافين والقواسين *
وسائر الطوائف * وارباب الملاعب واللطائف * ولقد كانت سمرقند
مجمع الافاضل * ومحط رحال اهل الفضائل * فرتبت كل طائفة
ما اخرجته على حدة في مكانه * امام سرادقاته وصيوان ديوانه *

وَنُصِبَتْ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ الأَسْوَاقُ * وَضُرِبَتْ بَيْنَ النَّاسِ بُوقَاتُ الأَبْوَاقِ * وَزُيِّنَتِ الفُيُولُ وَجِيَادُ الخُيُولِ بِأَفْخَرِ لِبَاسٍ * وَأُطْلِقَ عِنَانُ الرُّخَصِ وَالتَّمَتُّعِ بِأَنْوَاعِ المَلَاهِي وَالمَلَاذِّ لِلنَّاسِ * فَسَارَعَ كُلُّ طَالِبٍ إِلَى مَطْلُوبِهِ * وَاجْتَمَعَ كُلُّ مُحِبٍّ مِنْهُمْ مَعَ مَحْبُوبِهِ * مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَلَّلَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ * أَوْ يَسْتَطِيلَ أَعْلَى مَنْ يَكُونُ عَلَى أَدْنَى مَنْ يَكُونُ مِنَ الجُنْدِ وَأَهْلِ البَلَدِ * أَوْ يَجْرِيَ تَعَدٍّ مَا * مِنْ شَرِيفٍ مَا عَلَى وَضِيعٍ مَا

* فصـــل *

وَلَمَّا اسْتَتَبَّتِ الأُمُورُ عَلَى عَوَائِدِ تَمْوِيلِ قَرْبَنَتِهِ * وَاخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ مِنْ جُنُودِهِ وَأَهْلِ مَدِينَتِهِ * تَوَجَّهَ إِلَى ذَلِكَ المَرْجِ عَلَى وَقَارِهِ وَسَكِينَتِهِ * وَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ * ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تَجْرِيَ يَوَاقِيتُ الصَّهْبَاءِ * عَلَى زَبَرْجَدِ ذَلِكَ المَرْجِ الأَحْوَى * وَسَبَّلَهَا لِكُلِّ نَاظِرٍ وَعَامٍ * فَسَبَحَ فِي تَيَّارِهَا كُلُّ خَاصٍّ وَعَامٍّ * فَدَارَتْ فِي سَمَاءِ تِلْكَ الأَرْضِ لِلسُّرُورِ أَفْلَاكٌ * وَهَبَطَتْ فِي أُفُقِهَا بِوَحْيِ اللَّذَّاتِ مِنْ أَفْلَاكِ المَلَاحَةِ أَمْلَاكٌ * فَأَصْبَحَتْ تِلْكَ الأُسُودُ الخَوَادِرُ * وَهِيَ ظِبَاءٌ جَوَاذِرُ * وَتَنَزَّلُوا مِنْ جَحِيمِ المُنَازَلَةِ إِلَى نَعِيمِ المُغَازَلَةِ * وَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الغِلَاظَةُ وَالكَثَافَةُ * بِاللَّطَافَةِ

وَالظَّرَافَه * وَأَصْبَحُوا بَعْدَ جَوْرِهِمْ يَتَجَاوَرُون *

وَبِمَعْنَى مَا قُلْتُهُ يَتَحَاوَرُون *

* شعر *

* مَحَا الظُّلْمَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى سَيْفُ عَدْلِنَا * فَلَمْ يَتَشَبَّثْ مُسْتَغِيثٌ بِمُعْتَدِى *

* سِوَى قَلْبِ صَبٍّ صَادَهُ طَرْفُ أَحْوَرٍ * وَخَصْرٍ نَحِيلٍ آدَهُ رِدْفُ أَغْيَدِ *

فَمَا صَارَ يَصُولُ سَيْفٌ إِلَّا إِنْ كَانَ صَارِمَ لَحْظٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَكْسُور *

وَلَا يَجُولُ ذَابِلٌ إِلَّا إِنْ كَانَ رُمْحَ قَدٍّ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ بِالْعِنَاقِ مَهْصُور *

وَصِرْتَ لَا تَرَى إِلَّا عُودًا يَتَحَرَّكُ أَوْ يَحْتَرِقُ * أَوْ قَدَحًا يَرُوبُ أَوْ يَرُوقُ * أَوْ شَادِيًا

يُغَرِّدُ * أَوْ شَارِبًا يُعَرْبِدُ * أَوْ جَارِيَةً تَسْقِي * أَوْ سَاقِيَةً تَجْرِي * أَوْ خَدَّ

وَرْدٍ يُعْشَقُ * أَوْ وَرْدَ خَدٍّ يُنْشَقُ * أَوْ كَأْسَ ثَغْرٍ يُرْشَفُ * أَوْ غُصْنَ

خَصْرٍ لِلْعِنَاقِ يُقْصَفُ * أَوْ فُرْصَ عَيْشٍ يُغْتَنَمُ * أَوْ لِسَانَ

حَالٍ يُنْشِدُ وَيَتَرَنَّم

* شعر *

* فِي رَبِيعِ الْوَصْلِ لَمَّا * إِنْ وَفَى الظَّبْيُ الشَّرُودْ * *

* وَبَدَتْ بُشْرَى الصَّبَا * لِلرَّوْضِ تُنْبِي بِالْوُرُودْ * *

* خرت الانهار والاغصان مالت للسجود *

* واجتمعنا في رياض * حسنها يسبي الوجود *

* فالسحاب الصب فيها * بالحشا امسى يجود *

* نثر الدر علينا * منه بلور الغمام *

* فوق صحن سندسي * فيه مليا قوت جام *

* وثغور من عقيق * زانها حسن ابتسام *

* وعيون من لجين * ناظرات لا تنام *

* وغصون الدوح حفتنا * بانواع النقود *

* طيرها غنى عليها * اذ علا عود اوطار *

* وشذاها ضاع فيه المسك لما منه غار *

* والصبا امسى عليلا * في رباها حين سار *

* جنة الفردوس فيها * وجه بدري حين نار *

* اصبحت جنات عدن * تشتهي فيها الخلود *

* يا لها من عشرة جاءت بانواع الهنا *

* ليس فيها غير لثم * وارتشاف واعتنا *

* وكُؤُوسٍ دائراتٍ * وَغِناءٍ وغِنى *
* نورآها زادِكَ من * طربها كان انثنى *
* لم يسعهُ عِندَها من * زُهْدِهِ الا الجُحُود *
* ثم نديمي عاطِنِي فالدهرُ لا يسوى الحَزَنْ *
* كأسَ عَيشٍ ينمحِي في * مَزجِها صَرْفُ الزَّمن *
* الطِلا والماءَ والخُضرَةُ والوَجْهُ الحَسَن *
* لا تطِعْ في ذا عذولاً * انهُ خِبٌّ كمن *
* في حَشاهُ غَلَيان * لا تقلْ خِلٌ وَدُود *

فحصلَ الأمنُ والدعه * والفراغةُ والسعه * ورخصُ الاسعار * وقضاءُ الأوطار * واعتدالُ الزمان * وعدلُ السلطان وصحةُ الابدان * وصفاءُ الوقت * وذهابُ المقت * وحصولُ المطلوب * ووصالُ المحبوب * مصراع * وعِندَ التناهي يقصرُ المتطاوِلُ * واتفقَ لهُ في ذلك العرسِ من الابهةِ والعظموت * والسطوةِ والجبروت * شئٌ لم اظنهُ حصلَ لاحدٍ من الخُلفاءِ المتقدمين * ولا يقعُ فيما بعدُ لاحدٍ من المتأخرين * وانْ كان المأمونُ فُرِشَ تحتهُ ليلةَ عرسهِ حصيرٌ من الذهب * ونثرَ على

زاهيه اللؤلؤ المنتخب * ولم يلتفت اليه * ولم يلتقط من ورائه ولا من بين يديه * حتى قال * قاتل الله ابا نواس كأنه كان حاضرا حيث

* قال *

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على ارض من الذهب *
لكن تيمور كان فى عرسه ذاك بنات الملوك وصائف * وبنوها عبيده كل منهم فى مقام العبودية واقف * واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام * ومعهم الحمولات والتقادم ومن جملته الزرافى والنعام * ورسل الخطا والهند والعراق والدشت والسند وابربل والفرنج ومن سواهم * وقصاد كل الاقاليم اقصاهم وادناهم * ومن كل مخالف وموافق * ومعاد ومصادق * فاخرا لجميع حتى شاهدوا عظمته وعاينوا جبروته فى ذلك العرس وابهته * فباشر ذلك على تلك الحال * لا يخاف النكال ولا يخشى الوبال *

قلت * شعر *

* * قويرا لعبن لا يرجو الهاً * خلى البال لا يخشى معادا * *
يناول المحرمات ويبيحها * ويروج عنده مستهجنها وقبيحها *

مهما امر به جماعته في ذلك امتثلوه * يتباهون في كل قبيح عملوه *
ولا يتناهون عن منكر فعلوه *

قلت * شعر *

* تبدل من سفك وهتك جريمة * احل بها ما حرمته الشرائع *

وجعل يدعو الملوك والامراء * وسلاطين الآفاق والكبراء * وقواد
التوامين * وزعماء الجيوش والمقدمين * ويسقيهم الكاسات بيده *
ويحل كلا منهم محل اخيه وولده * ويخلع عليهم الخلع السنيه *
ويجزل لهم المواهب والعطيه * ويجلس كلا منهم بحسبه ذات اليمين *
واما ذات الشمال فانها للنساء والخواتين * فان النساء لا يستترن
من الرجال * خصوصا في مجلس الاجتماع والاحتفال * واستمر
في ذلك بين جنك وقانون * وعود وارغنون * وناي مرقص مطرب *
وشاد معجب مغرب * وساق فاتن ودهر مواتٍ وهوى متبع * وامر مستمع *
وشمس تدور * على نجوم وبدور * وكاس تملأ وكيس يفرغ *
وامر يمضي وامل يبلغ * حتى استخفه الطرب والبطر * واستفزه النشاط
والاشر * فضبع التي من استعضده * ومد للنهوض اليه يده * فتعاضدوا

لمعاً ونته * وتعاونوا على معاضدته * وحين استوى قائما * تهادى بينهم بشيبته وعرجته راقصا *

* قلت *

* ومن عجب الدنيا اشل مصفق * وابكم قوال واعرج راقص *

فنثر عليه الملوك والكبراء * ونساء السلاطين والامراء * الجواهر واللآلي * والفضة والذهب وكل نفيس غالي * ولم يزل على ذلك حتى استوفى من اللهو حصته * ودخل العروس منصته * وانقضت تلك الامنيه * وتفرقت هاتيك الجمعيه *

* شعر *

* ما كان ذاك العيش الا سكرة * لذ اتها رحلت رحل خمارها *

* فصل *

ولما بلغ من دنياه المرام * وانتهى ليله الى الكمال والتمام * وعرج فيما يرومه الى ما عرج * وصعد في سلم ارتقائه الى اعلى الدرج * وقارب بدر عمره الافول * وشمس حياته ان تزول * رشقه الزمان بسهم اصماه فما امهله ونادى بلسان فصيح * فرغ

العروس يا بيت الاحماء لو سمع لكان يصبح *

قلت * شعر *

* وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه *

* وهيهات ما فيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه *

* ومن صار اعلى كان اوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه *

فافاق من سكره * وعاد الى عسكره * وارعوى وما ارعوى * وعلم انه اضل قومه وما هدى * ورأى انه قد فرط في امر الرياسة * وحط من جانب الايالة والسياسة * وانه سام الملك خسفا * وسائس السلطنة وجد عليه مائة طريق في التقصير والفا * فاخذ يتدارك ما كان فرط * ويطلب التفصي عما فيه تورط *

ذكر بعض حوادث * متقدمة لمتعلقات ذات العابث *

وكان تيمور قد رأى في الهند جامعا * للبصيرة مرتعا وللبصر رائعا * عرشه في حسن بنائه ونقشه * من الرخام الابيض كبساط فرشه * فاعجبه شكله * واراد ان يبنى له في سمرقند مثله * فقرر لذلك مكانا في قرز * ورسم ان يبنى له جامع

على ذلك الطرز * وان يقطع له احجار من المرمر الصلد * وفوض امره الى رجل يقال له محمد جلد * احد اعوانه ومباشري دوانه * فاجتهد في بنيانه * وتشييد اركانه * واستقصى جهده في تحسينه * من تأسيسه وتركيبه وترتيبه وتزيينه * واعلى له اربع ميادين * وباهى فيه ائمة البنائين والاستاذين * وظن ان لو كان على ذلك احد غيره * لما قدر ان يصنع صنعه ويسير سيره * وان تيمور يشكر له صنيعه * وينزله عنده بذلك منزلة رفيعة * فلما آب من سفرته * وتفقد ما حدث في غيبته * توجه الى الجامع لينظر اليه * فبمجرد ما وقع نظره عليه * امر بمحمد جلد فالقوه على وجهه وربطوا رجليه * ولا زالوا يجرونه * وعلى وجهه يسحبونه * حتى بضعوه على تلك الحال * واستولى على ما له من اهل وولد ومال * واسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى * امرأة تيمور العظمى * امرت ببناء مدرسة * واتفق المعمارية واهل الهندسة * ان تكون في موضع * مقابلة لبناء هذا الجامع * فشيدوا اركانها * وشددوا بنيانها * وعلوا على الجامع طباقها وحيطانها * فجاءت ارسخ منه تمكينا * واشمخ منه عرنينا * وتيمور كان نيرم

الطبع * اسدى الوضع * ما تكبّر عليه رأس الاشدخه * ولا تجبّر عليه

ظهر الا فضخه * وكفى لك كلما أضيف اليه * او عوّل في النسبة عليه *

فلما رأى قامة تلك المدرسة طالت * وعلى قبّ جامعه الجيبور ترفعت

واستطالت * تغلّ صدره غيظا واشتعل * وفعل مع مباشر ذلك ما فعل *

فلم يصادفه فيما امله سعد * ومن الحكاية متقدمة لما ذكره بعد *

* نكتة * كان هذا الجامع كصاحبه * احاطت اوزار الاحجار

بجوانبه * وتثاقلت على غواربه ومناكبه * ودقت عنق طاقته عن حملها

ورقّت * وتدلّ لسان سقفه اذا السماء انشقت * وما امكن تيمور

الاشتغال بهدمه ثم احكامه * ونقض بنائه واستيفاء ابرامه * فطوى

ثوب عمارته على غرّه * واستبقى خشب اخشبه على رهنه وكسره * لكن

امر خاصته وذويه * ان يجتمعوا ويجمعوا فيه * واستمر ذلك في حيوته وبعد

وفاته * فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلوة * يترقبون من تلك الحجارة ما يهبط

من خشية الله * وصار ملك الجبال في تلك المحلّه * يتلو واذ نتقنا

الجبل فوقهم كأنّه ظلّه * ففي بعض الاحيان * وقد غصّ بالناس ذلك

المكان * واخذ كلّ منهم حذره * سقط من حجارته من اعلاه شذره *

فنفر كل من كان جاثيا * وانفضوا الى الابواب وتركوا الامام قائيا *
وكان من جملتهم الله داد * احد الاكفاء والانداد * فلما اطلعوا
على حقيقة الخبر * فراجعوا وزال عنهم الخور * فلما قضوا الغرض *
وانتشروا في الارض * قال لي الله داد * وكان من السادة ذوي
الكياد والاذكياء النقاد * لوحوا الى كعبة الحجاز مائة شوط
والف طوف * ينبغي ان يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلوة
فيه بصلوة الخوف * وقال لي الله داد * وقد فهم معنى هذا الانشاد *
وينبغي ان ينشد * في شان هذا المعبد * ويكون رقم طرازه
ونقش صدره ومجازه *

* قول الشاعر *

* سمعتك تبني مسجدا من جباية * وانت بحمد الله غير موفق *
* كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزني ولا تتصدقي *

* فصــــــل *

ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول * كان استخلاص ممالك الشرق
في فكرة يجول * وقد ذكر انه ارسل الى الله داد * يستوصفه

أوضاع تلك البلاد * ولما انكشفت له أحوالها * وتبينت له قراها
ومضاماتها وأعمالها * حتى شاهدتها عين بصيرته * واستقرت كيفيتها
في سر سريرته * جهز لتلك النواحي * رؤس ما تبك الضواحي *
ومن جملتهم بيردي بيك وتنكري بيردي ومعا دات * والياس خواجه ودولة
تيمور مع زيادات * واضاف اليهم طوائف من الاجناد * ورسم ان يتوجهوا
كلهم الى الله داد * وان يجهز الله داد امره * ويتوجهوا فيبنوا قلعة
تدعى باش خمرة وهي عن اشارة نحو من عشرة ايام * ومن متعلقات
المغل الطغام * وكانت امورها اضطربت * ولكونها منازعة بين مملكتيهم
خربت * فتوجهوا الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * واشتغلوا
على غير عاداتهم بالعمارة * وكان توجه هذه الفئة * في اواخر سنة ست
واوائل سنة سبع وثمانمائه * وقصد بذلك ان يكون لهم معقلا *
وعند توجههم الى الخطا وايابهم ملجأ وموئلا * فلما احكموا اساسها *
وصنفوا انواع بيوتها واجناسها * ووضعوا من حجارة الاساسات
اقدامها * ورفعوا على اعلام الاسوار اعلامها * ارسل اليهم مرسوما انهم
يرجعون امرها * ويتناسون ذكرها * ويأمرهم فيه بالرجوع *

والاشتغال بتفليق البلاد بالزروع * بحيث ان فقهاء الدرس والدياس من اهل القرى والامصار * والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من فلاحي الانجاد والاغوار * واهل الوزداقات والاكارة * من حدود سمرقند الى اشبارة * يتركون مسائل المعاملة والمبايعه * ويكررون البحث قولا وعملا في درس المساقاة والمزارعه * ويؤذن في جماعتهم ان يقيم كل منهم في الزرع فلاحه * وان اضطر احدهم ان يترك صلوته فالحذر ان يترك فلاحه * ورام بذلك ان يكون لهم في سفرهم عتادا * ان نقص لهم في الدرب قضيم وحصيم زادا * فتركوا العمارة * وقصد كل من الامراء دياره * واشتغلوا باستخراج البقر والبذار * واجتهدوا في احياء جميع الموات كما رسم واشار * فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى المصيف بساطه * ونشر رائد الخريف على العالم اعلامه وانماطه *

ذكر عزمه كما كان على الخطا * ومجيئه سكرة الموت بالحق وكشف عنه الغطا * ثم انتقاله من سفرة * الى سقرة *

فلما افاق * اخذ فيما كان عليه من التوجه الى الافاق * وقصد

الحواشي والاطراف * واستخلاص الممالك والاكناف * وصرف عنان الذهاب * نحو الخطا على عادته وكان ذلك عين الصواب * فارسل الى امم عساكره ان يستوفزوا * ويأخذوا اهبة اربع سنين او اكثر ويتجهزوا * فلبت كل امة دعوة رسولها * وشنفت باقراط مراسيمه آذان قبولها * وحمل لل اسد جوزاء عتاده * واستطى جدي بغيه * وعتد كل ثور سنبلة زاده * ودلو سقيه * ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان * وانسابوا انسياب الحوت في بحار العدوان * مجازفين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان * فابرد هلال القوس سهم بريده بمرسومه الى كل صماخ * يخبر ان جند الشتاء على عالم الكون والفساد اناخ * فليستعد له الكفاة * وليحذره العراة والحفاة * ولا يكتفوا في كفه بكافاته فما كل كاف له كفوا * لانه في هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا * وان قصده بقده ومده تبريد الانفاس * وتشبيط الانوف والاذان واسقاط الاكارع وقلع الراس * وأين فصل الخريف رائد جنوده * وقائد بنوده * ونموذج طلعته * ومرآة عين غلته * وعنوان مكاتبته *

ومقدمة كتيبته * ثم زمجر بعوا صف زياحه البارده * وخيم
على العالم بخيام غيومه الصادرة والواردة * فارتعدت الفرائص من
زئيره * ولاذ كل من الحشرات بقعر جهنمه خوفاً من زمهريره *
وخمدت النيران وجمدت الغدران * وارتجفت الاوراق ساقطة من
الاغصان * وغرت على وجهها الانهار * جارية من الانجاد الى الاغوار *
وتخيمت الاسود في اخياسها * وتكنست الظباء في كناسها * وتعزز
الكون من آفته * واصفر وجه المكان من مخافته * واغبرت خضر
الرياض * وذبلت قدود الغياض * وراح ما كان بها من النضرة
والارتياح * واصبح نبات الارض مشبهاً تدرزة الرياح * فاستسمج
تيمور لفظات هذه النسمات * واستبرد نفثات هذه النفحات * وامر باعداد
لبوس القباب * واستعداد بركستوانات الجباب * واتخذ لصفاح
الجليد وسهام البرد * من المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد * ثم ضاعف
لملاقاة الشتاء مضاعفات اللباس * وافرغها على قامة عزمه الثاقب وامدها
من كافات كفايته باتراس * ولم يلتفت الى كلام وملام * واستكفى
من الشتاء ما ليمنه واعده من كل كاف ولام * وقال لعسكره لاتكترثوا

يا مير الشتاء فانما هو برد وسلام * وحين اجتمعت عساكره * والتامت امور وامره * امران يصنع له خمس مائة عجله * وتضبب بالحديد لتحمل عليها ثقله * فبادر الشتاء خروجه بالدخول * واورد بانقطاع جراية عمره من ديوان الفناء الوصول * فبرز في شهر رجب * وقد اصبح البرد عجبا واي عجب * وسار لا يرق لمرق * ولا يرثي لجسد من البرد محترق * فوصل في سياحته الى سيحون وقد تجمد * وبنى عليه رائق النسيم الصرح الممرد *

قلت قد يما * شعر *

* على البحر قد ما ينعقد جسرا ممددا * بناه اله العرش صرحا ممردا *
* بكيت فخلت الدمع في جنباته * رقيق رحيق في زجاج تجمدا *

فعبره ومر * ومضى على ذلك واستمر * وتمادى على لجاجه واصر * فدمر الشتاء عليه بالدمار * وانحط عليه من الجوانب بكل اعصار فيه نار * وحطم جيشه بكل نكباء صرصر * وضرب اثبات عسكره بصوة طول فيها وما قصر * وهو بذلك الجمع الكثير يسير * لا يحن لاسير ولا يجبر من كسير * يسابق البرد ببرده * ويجاري اجرده بجرده ومرده * فجال فيهم

الشتاء بجراجف عواصفه * وبث فيهم حواصب قواصفه * وأقام عليهم نائحات صبابره * وحكم فيهم زعازع صنابره * وحل بناديه وطفق يناديه * مهلاً يا مشوم * ورويدك أيها الظلوم الغشوم * فإلى متى تحرق القلوب بنارك * وتلهب الأكباد بأوامك وأوارك * فإن كنت أحد نفسي جهنم فإني إذا ثاني النفسين * ونحن محسان اقترنا في استيصال البلاد والعباد فانحس بقران النحسين * وإن كنت بردت النفوس وبردت الأنفاس فنفحات زمهريري منك أبرد * أو كان في جرائدك من جرد المسلمين بالعذاب فأصماهم وأصمهم ففي أيامي بعون الله ما هو أصم وأجرد * فوالله لأحابينك * فحل مآنيك * ووالله لا يحميك يا شيخ من برد ريب المنون * لواعج جمر مجمرة ولا لوامح لهب في كانون * ثم كال عليه من حواصل الثلوج ما يقطع الكبد بل ويفتك الزرد * وأنزل عليه وطي عساكره من سماء الزمهرير من جبال فيها من برد * وأرسل عقيبها زوابع سوافيه فحشتها في آذانهم وماقيهم ودستها في خياشيمهم فاستقبلت بها نزع أرواحهم إلى تراقيهم * وجعلت تلك الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته

كالموميم * واصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج

المنقضه * كأنها برغر صات القيامة او بحر صاغه الله من فضه *

فكانت اذا بزغت الصقعاء ولمع الصقيع تراآى شئ عجب * سماء

من فيروزج وارض من بلور ملا ما بينهما شذر الذهب * فاذ هبت

فيما بين ذلك والعياذ بالله نسمة ريح * على نسمة ذى روح *

اخمدت نفسه * وجمدته وفرسه * وكذلك الجمل والجمال * حتى اتت

على كل مرمق الحال * وانتهى الشان الى ان طابت النار ورد ا *

وصارت لواردها سلاما وبردا * واما الشمس فانها ارتجفت *

وجمدت عينها من البرد ونشفت * وصارت

كما قيل

* يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها *

وكان الرجل اذا تنفس جمدت انفاسه على سباله ولحيته * فيصير

كأنه فرعون وقد رصع لحيته بجلينه * وان لفظ من فيه نخامة

عاقدة * لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهي بندقة

جامدة * فانكشف سترا لحيوة عنهم * وانشد لسان حال كل منهم *

* شعر *

* فيا رب ان البرد اصبح كالحا * وانت بحالي عالم لا تعلم *

* فان كنت يوما مدخلي في جهنم * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم *

فهلك من عسكره الجم الغفير * واتى الشتاء على كبيرهم وصغير

وشاط منهم انوف وآذان وسقط * وانحل عقد نظامهم وانفرط *

ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم ريحا وبحارا * حتى اغرقهم فيها

وهم عاجزين حيارى * ونودي عليهم مما خطيا تهم اغرقوا فادخلوا

نارا * فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا * وهو مع ذلك لا يلتفت

الى من مات * ولا يتأسف على ما فات *

ذكر مرسوم ارسله الى الله داد * بت منه الاكباد * وفت

القلوب والاعضاد * وزاد ما خيله فيه من هموم بانكاد *

وكان تيمور حين مخرجه من سمرقند ارسل الى الله داد باشارة *

مرسوما اذهب فيه قراره * ونفر طائر نومه عن وكرا جفانه واطاره *

وفهم من فحواه بالاشارة * انه طالب دماره * وموتم اولاده ومخرب

دياره * شد عليه فيه المضائق * وسد في وجهه الطرق والطرائق *

واقترح عليه فيه بأمور * يسهل عندها قطع الجبال ونقل الصخور *
ويعذب عند أدناها شرب البحور * من أقلها ان يهدي له بمفرده *
اقامه ليوم قدومه دون غده * خضبا يأكله ليله * وقضيما يطعمه
خيله * ومن عرض ذلك مائة حمل جمل طحينا خاصة * وموخصوص
به لليلة واحدة خاصة * وانه مع عساكره الجرارة * لا يبيت سوى
ليلة واحدة بأشبارة * الى غير ذلك * فلما اطلع الله داود على هذا
الكتاب * وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب * علم انه قد حل به
العذاب فسلت وعيه * وبذل سعيه * واخذ في اعداد الطحين *
واجتهد في ادارة الطواحين * وكانت الطواحين ارقف من حال اديب *
في هذا الزمن العجيب * ومجاري مياهها ايبس من كف شحيح *
كلف زمن القحط تذرية الدقيق في الريح * وذماء الانهار في مجاري
عروق الجبال ناضبة * ودموع العيون في آماق الغروب غاربة *
فبذل ما كان اعده * لكل نائبة وشده * واهان نفائس الاموال *
واستعان على اجراء الماء بالمال * واستغاث باولي النجدة من الرجال *
واستمد المدد * من كل عدو ثمد * واستنهض آراء المنفقين من الاصحاب *

واشتدّ فيهم ما نزل به من مخلب البلاءات ونابٍ * ووقوع لفتح ما رُتج عليه مما لاطاقة له به كل باب * فاستجابوا دعاءه * واجابوا اصداء ونداءه * رتاءً وهو المقصد * واستطبوا المرضيه * وجمعوا من العملة والفعلة الاسود والسراحين * فعملوا في سوق الانهار من الاعمال ما يذهب الطواحين * وجعلوا يعاندون البرد * ويقطعون في طريق الماء الجمد * فكانوا كالضارب في حديد بارد * والكابد بتزويق وعظه تليين قلب الجاحد * حتى سهلت حزونه * ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه * وصاروا الا يقطعون من الجليد * مقدار ذراع بالحديد * الا وتهب نسيمة يابسة * على تلك الوجوه العابسة * فاذا هب بارد النسيم * قابله الماء بوجه بسيم * فيبرد قلبه عن نارهم * ويصرد لبه عن اوارهم * فيجمد ما فوق ذلك * فتضيق عليهم المسالك * فيرجعون القهقرى * ويمشون كالحبالى الى ورا * والله داد مع ذلك يبذل الاموال * ويناد مستغيثا بالماء بالرجال *

* قلت *

* فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما امكنه بالمداد *

* يُوقِفُهُ الماءُ لاِجرائه * وكُلَّما أَوْقَفَهُ البَرْدُ دار *
الى أنْ وقع الاتفاقُ بين الرِّفاق * انَّ هذه مسئلة تكليف مالا يُطاق *
وحين تبيَّن له أمرهم * وتعيَّن عنده غدرهم * قارنه الحظ الحالك *
وتيقن انه لا محالة هالك * وانه قد وقع في البلاءِ العريض الطويل *
وانَّ مُخدومه ما طلب منه في ذلك العجز الدقيق الا الامر الجليل * وكان
بلغه ما وشاه به اضداده * ونقل الى تيمور عنه اعداؤه وحساده *
وعلم انَّ خاطره تغير عليه * وفعله مع محمد جلد مثيل جا معه قد
نُقل اليه * وكيف قتله شر قتلة * ونهب امواله واسرا ولاده واهله *
وكان متوقعا من تيمور * اضعاف هذه الشرور * لا يقر له قرار *
ولا يسكن له ليل ولا نهار * وقد غسل من الحيوة يده * وودع
حيوته واهله وماله وولده * وقد قرب شهر الصيام * وصار بينه
وبين تيمور نحو من عشرة ايام * وقد انقطعت الدروب * وضعف
الطالب والمطلوب *

* مفرد *

* اذا تضايق امر فانتظر فرجا * فاضيق الامر ادناه الى الفرج *

ذكر سبب انكسار ذلك الجبار * وانتقاله الى دار البوار * واستقراره

في الدرك الاسفل من النار *

وجعل تيمور يواصل التسيار * حتى وصل كورة تدعى اترار * ولما
كان بظاهره من البرد آمنا * اراد ان يصنع له ما يرد البرودة عنه باطنا *
فامر ان يستقطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحارة *
والافاويه والبهارات النافعة غير الضارة * وابى الله ان تخرج تلك
الروح النجسة * الا على صفات ما اخترعه من الظلم ذا اسسه *
فجعل يتناول من ذلك العرق * ويتفوق افاويقه من غير فرق *
لا يسأل اخبار عسكره وانباءهم * ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم *
حتى سقته يد المنية كاس وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم * فانه لم يزل
للقضاء معاندا * وللزمان مجاهدا * ولنعم الله تعالى جاحدا *
ولا شك انه جاء ناقصا وتحمل مظالم فراح زائدا * فاثر ذلك العرق
في امعائه وكبده * فتزلزل بنيان جسمه وتزلزل اركان جسده * فطلب
الاطباء * وعرض عليهم ما به من الداء * فعالجوه في ذلك البرد *
بان وضعوا على بطنه وجبينه الجمد فانقطع ثلاث ليال * وعكم احمال

الانتقال * الى دار الخزي والنكال * وتفتت كبده * ولم ينفعه ماله

وولده * وصار يتقيأ دما * ويأكل يديه حسرة وندما

* مفرد *

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع *

وجرعه ساقي المنية امر كاس * وآمن حينئذ بما كان جاحده فلم

ينفعه ايمانه لما رأى الباس * فاستغاث فلم يوجد له مغيث * ونودي

عليه اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث * اخرجي

ذميمة * ظالمة اثيمة * وابشري بحميم وغساق * ومجاورة الفساق *

فلو تراه وهو يغط غطيطا البكر المخنوق * ويخمد لونه ويزبد شدقاه

كالبعير المشنوق * ولو ترى ملائكة العذاب وقد اظهروا استبشارهم *

وتخنوا على الظالمين ليخربوا ديارهم ويطفئوا نارهم ويهدموا

منارهم * ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم

وادبارهم * ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حواليه يجأرون *

واعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون * ولو ترى اذ الظالمون

في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون

عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ثم انهم احضروا من جهنم المصوح * وسلوا سل السفود من الصوف المبلول تلك الروح * فانتقل الى لعنة الله وعقابه * واستقر في اليم زجرة وعذابه * وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذي الانوار * سنة سبع وثمانمائة بنواحي ابزار * ورفع الله تعالى برحمته عن العباد العذاب المهين * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

قلت * شعر *

* * الدهر دولاب يدور * فيه السرور مع الشرور * *

* * بينا الفتى فوق السما * واذا به تحت الصخور * *

* * كم من شموس في سما * فلك العلاء لها بدور * *

* * لما استوت في عزها * زالت واكسفها الفتور * *

* * وملوك دنيا اضرمت * من نار رعدوا ها البحور * *

* * ملكوا البلاد واهلها * ماضي الاوامر والامور * *

* * اغراهم الدهر الخئون وغرهم بالله الغرور * *

* ضحك الزمان بثغره * لهم وقد ملكوا الثغور *
* فغدا واذنابا في الاذى * وغدوا اسودا في الشرور *
* غني لهم فترا قصوا * مثل الشخوص بلا شعور *
* وحكوا على بابا تهم * طيف الخيال اذ ايدور *
* وتوهموا ان الزمان مطاوع غير النفور *
* وان ما نالوه من * دنيا يفوز ولا يغور *
* فتواثبوا وتضاربوا * وتكالبوا شبه النمور *
* وتلاكزوا وتلاحزوا * وتناجزوا الضرب الهصور *
* وتنا حزوا وتلابزوا * وتنا قروا نقرا لنسور *
* هذا وان يتصالحوا * يتصالحوا مينا وزور *
* فتها فتوا في نارها * متصورين النار نور *
* بينا هم في عزهم * والله هو مكار غيور *
* انقض فيهم صرفه * كالصقر في دقل الطيور *
* امسوا وكل منهم * كاللحم يلقي للصقور *
* لاملك ردت الردى * عنهم ولا ملك ودور *

*كلا ولا جيش ولا * ولد ولا مدد نصور *

* ثم انقضت آثارهم * محو الحيا نقش السطور *

* لم يبق منهم دهرهم * شيأ سوى ذكر يدور *

* تا ميك منهم فتنة * كالأبحر الظلما تمور *

* الأعرج الدجال من * قضم الجماجم والظهور *

* داخ البلاد وذا زها * ونوائب الدنيا تدور *

* أملى له الله الحليم * فزاد عدوا في فجور *

* وأمده مستدرجا * إياه في شيء يبور *

* ليراه في إمضائه * حكما أيعدل أم يجور *

* فاجتاح كل الخلق من * عرب ومن عجم القطور *

* ومحا الهدى وغدى الردى * بحسامه الباغي يمور *

* أفنى الملوك وكل ذي * شرف وذي علم وقور *

* وسعى على إطفاء نور الله والدين الطهور *

بفروع جنكزخان ذاك * الظالم النجس الكفور *

* فأباح إهراق الدما * من كل صبار شكور *

* واحلّ سبي المحصنات * المؤمنات من الخدور *

* ورمى على النار الصغار * كأنهم فيها بخور *

* واضاف في هذا الى * فعل الزنا شرب الخمور *

* طوراً يرى نكث العهود * وتارة نقض النذور *

* وعلى اهل السادات من * اهل الصيانة والوقور *

* من كل ذئب صائل * منهم ومن كلب عقور *

* فتكوا وقد بتكوا القلوب * وبعد ما هتكوا الستور *

* وشوا وجوهاً طالما * سجدت للرب الغفور *

* وكووا جنوباً قد جفت * طيب المضاجع والظهور *

واستخلصوا الاموال من * ايدي البرايا بالفجور *

* وسقوهم كاس السموم * وجرعوا كاس الحرور *

* واستأسروا آل النبي * المصطفى الطهر الطهور *

باعوهم من مشركي الاتراك * في اقصى الكفور *

* وكذاك واحد امه * من كل مقلات نزور *

* وجروا على هذي الجرائم * واستمر لهم مرور *

* ما بين ايران وتوران البلاد لهم عبور *

* وامتد ذاك من الخطا حتى الى اقصى القطور *

* لما انتهى افساده * وتكاملت تلك الشرور *

* هجم القضاء لاخذه * ولكل تكميل قصور *

* حتى فتته ايدي المنون من * تلك القصور الى القبور *

* وتبدلت منه الكرامة بالمذلة والعثور *

* ومضى الى دار النكال بما تحمل من وقور *

* وتفرقت تلك الجموع ومنه ما شاد الدثور *

* ابقت عليه فعاله * لعنا على مر العصور *

* وتخلدت آثاره * آذنا على كر الدهور *

* فانظر اخي ثم افتكر * في ذا المساء وذا البكور *

* لا فرق عند الموت بين شكور فضل او كفور *

* اين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزبور *

* اهل السعادة والحجى * وذوو السيادة والوقور *

* المطفئو بدر السما * والمخجلو فيض البحور *

* كانوا عظاماً في الصدور وروّهم صدور في البدور *

* طحن الردى تلك العظام وفتّ ما بيك الصدور *

* وسقتهم ريح الفنا * سقى الرمال يد الدبور *

* اين البنون ومن غدا * للقلب افراحا ونور *

* كانوا اذا رفع الحجاب وزحزحت عنهم ستور *

* تلقى الدنا قد اشرقت * كالشمس من سجف الخدور *

* من كل ظبي احور * او ظبية تزري بحور *

* نشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور *

* وقتهم مهج الورى * من شر احداث الدهور *

* كانوا اذا سكنوا مكاناً حركوه من السرور *

* كانوا على وجه الدنا * حدقا وللاحداق نور *

* وحدائقاً لرياضها * وعلى حدائقها زهور *

* بينا هم في سكرهم * قد مازج الدل الغرور *

* والعمر غض والزمان مسلّم لهم الامور *

* واذا بساقي الموت فاجاهم بكاسات النبور *

* فسقى رياض حيوتهم * قدحا اعاد الكل بور *
* تركوا فسيح قصورهم * رغما الى ضيق القبور *
* وسقوا كؤس فراقهم * صبرا لكل شج غيور *
* من شق حزنا جيبه * ولفقدهم دق الصدور *
* لو كان ينفعه الرشى * اوكان تجديه النذور *
* لفداهم ورقاهم * ورعاهم رعي الخدور *
* سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسن والشعور *
* ورعاهم دود البلى * وقراهم فري الجزور *
* امسوا رميما فى الثرى * وتوزا الى يوم النشور *
* يسعى الحبيب مخاطبا * اجداثهم يوما يزور *
* ينعي ويندب نائحا * قبرا تناوشه الدثور *
* ويمرغ الخدين في * تربيراها كالذرور *
* يدعو فليس يجيبه * الا صدى صم الصخور *
* بينا تراه زائرا * واذا به امسى مزور *
* هذا بتقدير الاله وحكم فعال صبور *

* دنياك جسر فاعتبر * واحرص على زاد العبور *
* واطمح الى اللب الهني * فجميع ما فيها قشور *
* لو لم تك الدنيا وما * فيها هباء اخيتعور *
* ما كان يزوى برها * عن كل صبار شكور *
* كلا ولا انقادت لمن * قد صار منختالا فخور *
* مذا وغالب من عتا * في ارضها عرج وعور *
* خلقوا لحق فانثنوا * عنه الى مين وزور *
* يا رب ثبتنا على * ما ترتضيه من امور *
* واغفر لنا ما قد علمت من الخطا يا يا غفور *
* واختم لنا بسعادة * نكفى بها شر الغرور *
* وامنن لنا بتجارة * من باب فضلك لن تبور *
* وادم سحائب رحمة * تهمي على بدر البدور *
* خير الانام محمد * الشافع الزاكي الطهور *
* والآل والصحب الكرام وتابعيهم يا شكور *

فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور * من حوادث وامور * وما ظهر

من سرور وشرور *

وكان الله داد احد الخلان * يدعى سعادات نائب انه كان *
من ذوي النباهة والشهرة * وهو احد الامراء الذين توجهوا
لعمارة باش خمرة * فارسل قاصدا الى الله داد * انه ارتفعت
مادة الفساد * وان تيمور ترك تبعة الممالك * وتوجه بتبعاته الى درك
مالك * فوصل القاصد بهذا السرور * رابع عشر شهر رمضان من العام
المذكور * ففرج عن الله داد همه * واراح عنه غمه * وكانه استانف له
الحيوة * اورد راحلته التي عليها طعامه وشرابه بعد ان اضلها
في فلاة * وسيأتي حكاية الله داد وامره * وما جرى له بعد ذلك
الى آخر عمره

ذكر من ساعده البخت * واستولى بعد تيمور على التخت *

فلما قضى تيمور نحبه * وازال الله عن العالم كربه * لم يكن معه
في اجناده * من اقاربه واولاده * سوى خليل سلطان بن اميران
شاه حفيده * وسوى سلطان حسين ابن اخته الذي هرب الى السلطان
في الشام عند وروده * فارادوا كتم هذه القضية * وان لا يشعر بها احد

من البرية * فشاعت وراعت * وطي رغمهم ذعت * فاضطربوا
واضطرموا * واصطدموا واصطلموا * فاطلع الناس كلهم طي ذلك
وفهموا وعلموا * انه قطع دابر القوم الذين ظلموا * فجفلت العساكر
واجفلوا * وحملوا عظامه والى سمرقند قفلوا * وساعد خليل سلطان
البخت * وخلاله الجو فاستولى طي التخت * وكان ابوه اميرانشاه *
متولي ملك اذربيجان وما والاه * وعنده ولداه عمروابوبكر *
وبينهم وبين ما وراء النهر * من الاطواد والاشجار مائة سياج
والعسكر * وكان ابوبكر هذا في الجغتاي من الفوارس * والضاربين
بالبيض الهام والقوانس * يذكرانه كان يوقف بقرة * او ينيخ بكرة *
ويضربها بالسيف ضربة لاضربتين * فيجعلها قطعتين مفصولتين *
واميرانشاه هذا قتله قرايوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك
اذربيجان * وولده عمرقتله اخوه ابوبكر وابوبكر قتله ايدكو
متولي كرمان * ومصافاتهم مذكورة * وحكاياتهم مشهورة *
وشاه رخ كان في هراة وممالك خراسان * و بير عمركان في ولايات
فارس وتلك البلدان * وتيمور كوركان * جعل ولي عهده محمد سلطان *

وهو وإن كان من أحفاده * لكنه قدمه على أولاده * لما
لاح له من فلاحه * وظهور رشده وصلاحه * فعانده القضاء
فيما يروم * ومات كما ذكر في آق شهر من بلاد الروم * وكان له
أخ يدعى بير محمد * فجعله تيمور ولي عهده من بعده * فلما تحتم عليه
وارد الموت * وأهاب بروحه الخبيثة بأزعج صوت * كان مستغرقاً في
بحار غفلته * مسترجياً إرجاء مهلته * فذبحه اغتباطاً * وسام
عسكره اختباطاً * وكان إذ ذاك من أولاده وأحفاده بعيد الدار
مستقراً لغرار آمناً من البوار فارغاً عن الدمار * وهم كانوا غافلين
وبير محمد في قندهار * وهي بين حدي خراسان والهند وبينه وبين
ما وراء النهر سباسب وقفار * فلم يكن أقرب إلى دار الملك التي أنشأه
وهي سمرقند سوى خليل سلطان بن أميرانشاه * مع أن قطان الشتاء
وندافه * كان قد بسط على فراش الأرض لحافه * وندف عليه من
أقطان الثلوج ما غطى وجه العالم وأطرافه * وطم ظهره وأكنافه *
فلم يقدر أحد من أولئك الحشرات أن يخرج رأسه عن اللحاف *
أو يضحك ثغر زهرة أنملة في كم كميم خوفاً من جاني النسيم أن يبادرها

في اختطاف الانعطاف * فصلاً ان يتمطى في فراش اهبة الى حركة سفر * فيد يده نحو بطش او رجله نحو طواف * فاستولى خليل سلطان على ذلك المغنم البارد من غير منازع وعديل * واستبدل الملك بدل العالم من جهنم الكوثر والسلسبيل * ونادى لسان السلطنة في رفعتها نعم البديل * بدلت عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل * وتملك من العساكر والامراء * وخلاصة الجند واساطين الزعماء * واحتوى على تلك الامم * وطوائف الرؤس من العرب والعجم * وادخل عنق الجميع في ربقة المتابعة * وفتح لهم في اسواق الصداقة حوانيت الصلات فعاملوه بعقود المبايعة * ولم يمكن احدا منهم الخروج عن الدخول في الطاعة * والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم ولا ساعة * فاطلق لهم البشرة * واحسن معهم العشرة * وكان يوسفي الخلق محمدي الخلق * خليلي الرفق * اسمعيلي الصدق * جمع حروف الملاحة * وحاز صنوف الصباحة * نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف والنون * على احسن ما يكون من الحركات والسكون * فاول ما مشق على لوح الجمال الف قده القويم * فباءه كل من ناء عن لام عذاره

متقوساني خدمته كالدال والجيم * وحسن لكل راء ما فيه من زين * وما شين سين ثغره وميم فمه من فاها بخلف ولا مين * فاستقفى بوابله كل قاف * واستكفى بنائله كل كاف * وامطر من غين كفه العين * فصاد من الجند كل ذي لام وباء * ودال بذلك طي كل من باء من وعده ورجع عن عهده وفاء * فقدت الواقيات مهجته * ورقت من عين الحوادث بهجته * وعوذت منه الارداف * بالطور والاحقاف * وحمت نون حاجبه وناه وطرفه وطرته وردفه لحم عسق * وفتحت له الملوك بالثناء فاها * وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له وقالت باسين وطاها *

ذكر خلاص العساكر من البند * وقفولهم مع عظامه الى سمرقند *

ولما ذبح قصاب الفناء تيمور ونحره * جزره كالجزور فجعل يحزر كالثور وبقره * ثم اراد ان يصليه من نار الجحيم حفره * فاستغاث بخليله فاجاره واخره * وقال لا تعجل عليه وحمله في محفة بعد العجلة وصبره * والوى راجعا الى سمرقند * وكان قد انحل نهر خجند * وطالب الشتاء قد ادرك ثاره * وبرد قلبه ومكنت الحراره *

* قلت *

* ورق للعالم قلب النسيم * واقبل الدهر بوجه بسيم
ثم هجم جيش الربيع المنصور * فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور *

ذكر ما اصمره وزراء تيمور * واخفاه كل منهم في التامور *

وكان في افلاك ذلك العسكر * سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر * وبآرائهم
يقتدى * وبرؤيتهم يستضا *

* قلت *

* من كل منتخب للامر منتجب * كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما *

قد هذبتهم الامور * وشذبتهم بلايا تيمور * واستفتح بهم المغالق *
واستوسع بصدماتهم المضائق * وتخلص بحملاتهم من شدة كل مارق *
وتوصل بعزماتهم الى نيل المآرب * وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب *
وكان هو البدر وهم الهالة * وهو الفاعل وهم الآلة * وهو الروح
وهم الحواس * وهم الاعضاء وهو الراس * فلما كورت شمس
مواكبهم * وانتثرت كنس كواكبهم * ورحل زحلهم * وخاب املهم *

* قلت *

وعوض الكون الدجى بالضحى * وبدل المربع بالمشتري * اجال كل منهم قداح فكره * وتدبر في ذلك الحادث وعاقبة امره * واستصغر خليل سلطان * وعلم ان موج المنازعة سياتيه من كل مكان * وانه لا يصفوله ورد الملك من مكدر * ولا هواه من مغبر * واقتضى الاشياء ان يقول له رسول الاكابر اقار به كبير كبير * فاعد لكل شدة شدة * ولكل عدة عدة * ولكل خزة فزة * ولكل حزة حزة * ولكل بوسا لبسا * ولكل سهم ترسا * ولكل نائبة نابا * ولكل بائقة بابا * ولكل خطبة خطابا * ولكل خطاب جوابا * ولكل حرب حرابا * ولكل امر امرا * ولكل غدر غدرا * ولكل ازمة حزمة * ولكل نصب نصبه * ولكل كسرة جرمه * ولكن شكيمة البرد ردت جماح كل جموح * وسفينة الجد قدت جناح كل سبوح * فما وسع كلا منهم الا الاطاعه * والانقياد لامر خليل سلطان بالسمع والطاعه * واستمروا معه على القفول * مضمرين لخليل ما اضمره للحبيب عبد الله بن ابي بن سلول * وكان احدهم يدعى برندق * فرام الى التحصن بقلعة المحدقة النسلق * فقال لخليل سلطان ان اقتضت الآراء ان تقدم *

وأمهد لك الأمور الى حين تقدم * وأكون رائد دولتك * وقائد سلطنتك * فأشيد القواعد * وأبشر الصادر والوارد * فيكون كل مستعد للملاقاة * ومهيأ أسباب الموافاة * فاذن له * وأمامه ارسله * فوصل الى سيحون وقد عقد عليه جسرا بالمراكب * وهيئت أسباب عبوره لكل راجل وراكب * فعبره بزندق بجماعته * ثم أمر بقطعه من ساعته * وأعلن العصيان * وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان *

* نظم اتفاقي *

* فكشرت أسوارها * في وجهه أنيابها *

* وأسبلت عصمتها * ببابها حجابها *

* وأسدلت على جبين منعة نقابها *

فاستدرك فارطه * وسلك في مسئلة منطقه المغالطه * ووصل خليل سلطان الى الجسر فوجد عقده قد انحل * ونظامه قد اختل * فلم يكترث بزندق وما فعل * بل عقده مرة ثانية ودخل * وولى ما وراء سيحون من البلاد * متوليها أولا وكان بدعى خدايداد * وهو أكبر أعدائه * ومن رفقاء تيمور ونظرائه * ومنسوبا الى السلطان حسين *

وهو في تلك البلاد بمنزلة الراس والعين * فلم يسع خليل سلطان الا امضا لمته * واقراره في بلاده ومهادنته * اذ امورة كانت في اوائلها * مفوض اليه امرها والقلوب في غوائلها *

ذكر وصول خليل سلطان * بما ناله من سلطان الى الاوطان *

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها * وخرج اليه نائبها وزعماؤها * ووفد عليه نواب البلاد * متغمصين في السواد * لابسين اثواب الحداد * وجاء الاكابر العظام * معظمين هاتيك العظام * ومهنئين خليل سلطان بالسلامة * ونيل سرير الزعامة *

* قلت *

* وجه كل قد غدا * مثل الربيع القادم *
* بعين سحب قد بكت * وثغر زهر باسم *

وجعلوا يقدمون التقادم السنيه * والحمولات البهيه * وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته * وينزله في منزلته * وقال لبزندق لا تثريب * وقابله مقابلة الخليل الحبيب * ومهد له بساط المباسطه * وسلم اليه مسئلة المغالطه * وحين ثبتت اوتاده اقتلعه * والقاه طي غفلة

في فم اسد المنية فابتلعه * ثم اشلى على دياره كلاب النهاب * وشهاب الالتهاب * فمزق اديمها * ومتك حريمها * ومحا حديثها وقديمها

ذكر مواراة ذلك الخبث * والقائه في قعر الجدث *

ثم انه اول ما اشتغل بمواراة جثته * وتنجيز امره والقائه في حفرة لحده * فوضعه في تابوت من آبنوس * وحمله الرؤس على الرؤس * ومشى في تشييع جنازته الملوك والجنود * حاسري الرؤس لابسي الثياب السود * ومعهم طوائف الامراء والاعيان * وانزلوه على حظيرة محمد سلطان * في مدرسة حفيده المذكور * بالقرب من مكان يسمى روح آباد وهو موضع مشهور * فكان هناك على اثاف * في سرداب معلوم غير خاف * واقام عليه شرائط العزاء * من اقراء الختمات والربعات والدعاء * وتفريق الصدقات * واطعام الاطعمة والحلاوات * وسنم قبره * ونجز امره * ونشر على قبره اقمشته * وعلق على الجدران اسلحته وامتعته * كل ذلك ما بين مكلل ومرصع * ومزركش ومصنع * ادنى شئ من ذلك بخراج اقليم * وحبة من كل من تلك الجواهر تفوت التقويم * وعلق نجوم

قناديل الذهب والفضة في سماء غواشيها * وبسط على مهادها فرش الحرير والديباج الى اطرافها وحواشيها * ومن جملة هذه القناديل قنديل من ذهب زنته اربعة آلاف مثقال * رطل واحد بالسمرقندي وبالدمشقي عشرة ارطال * ثم رتب على حضرته القراء والخدمة * وارصد على المدرسة البوابين والقومة * وقرر لهم الادرارات * من المسانهات والمياومات والمشاهرات * ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت من فولاذ * صنعه رجل من شيراز ماهر في صنعته استاذ * وقبره في مكانه المشهور * تنقل اليه النذور * وتطلب عنده الحاجات * وتبتهل عنده الدعوات * وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما * وربما تنزل عن مراكبها اجلالا له واكراما *

* فصل في اعتدال الزمان * واخبار خليل سلطان *

ولما اخذت تيمور الصيحة بالحق فصار رغثا * وقعد خليل سلطان على التخت وقام الشتاء بعد ان كان جثا * مد الشعراء السنتهم للزمان بالمدح ولخليل سلطان بالتهنية ولتيمور بالرثا * فسمع الشتاء وعني صوته واجاز * ورفع عن العالم في نهوضه الكلاكل والاعجاز * فابتهج

الكون بورود الربيع * وشكر الروض للسحاب ما أسداه اليه من حسن الصنيع * ورفع على الروابي من الشقائق اعلامه * ونصب مما زهر دخيم الصنع من ازهار الاشجار خيامه * ونور الحدق بانوار الحدائق * واستنطق بتسبيح الخالق * من خطباء الاطيار على منابر الاغصان في جوامع الرياض ما اسنصت بلغاته كل ناطق * من كل معرب في ديوان الفصاحة رائق * ومعجب باسرار البلاغة فائق * فرقصت الاشجار لغناء الاطيار * وصفقت الانهار * واعتدل الليل والنهار * واكتسى البسيط الاغبر * خلع السندس المزهر * وتبدلت الاغصان من قطني الثلوج * كل ثوب باصباغ القدرة مزهر * وبلبس مقمس الازهار منسوج * وكل قباء صار مزهرا في كل دف اغنى لكل طائر فروج * وبسط الكون على المكان * لاقدام خليل سلطان شقق الورد والريحان *

* فصــــــل *

ولما فرغ خليل سلطان من ذلك * شرع في تمهيد الممالك وتسليك المسالك * وعلم انه لا يتقيد به انسان * الا بقيد الاحسان * ولا يجتمع له البال * الا بتفريق المال * فعقد القلب على فك طلسمات الختوم وحل

الرموز * وصرف الموانع والتوابع عن تلك المطاليب والكنوز * وقوة العزيمة على فتح الخبايا * وصيد عصافير القلوب ببذل رحبات الهمات تحت شباك العطايا * ففرق ماكان شتت جده في جمعه شمل البرايا * وثقل الكواهل بتخفيف ما اثقل ظهر غيره بالمآثم والخطايا * واوسق احمال الآمال * وربوع الاطماع بالاموال * وامطر ايادي يمينه بالنوال * ففاض الخير من صوب الشمال * وملأ الافواه والمسامع والمقل من الناس * بما افرغ من حواصل الكنوز والصناديق على اغنام الجند والاكياس * فنثر اغصان الدوح عند ورود الربيع اصناف ازهاره * فكأنه انامل كفه المنتظمة في نثار دراهمه ودنانيره * رجاد السحاب بدرره وامطاره * فضاهى جود جوده الهامي على العالم واقطاره * فقيل الناس كلهم بهذا القيل * ونحوا صراف بذله معربين له بالاطاعة فترك عمرو وزيد *

ذكر من اظهر العناد والمراء * وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء *

غير ان بعض تلك القواد * وزعماء الوزراء والاجناد * اعلن

ما كان اسرّ * ووضع المعمر من العصيان موضع المظهر * فمازل من شهر سيف العصيان * وفوّق سهام العدوان * وشرع بمخالفة الرّدينى * خداىداد الحسينى * متولّى ما وراء نهر سيحان * واطراف تركستان * فوجد من كان عزم على نقض ربقة من عقد الطاعة * اماماً يقتدى به فى البغى ومفارقة الجماعة * لا سيما وقد كان صواغ الربيع قد اذاب بجمراته سبائك الجمد والثلوج * ورصّع بما اخرجه من ذلك ديباجة الارض وروضات الجنات وارباض المروج * واستمعت اموات الحشرات صيحة الرعود بالحق فقالت ذلك يوم الخروج * فاقتفى خداىداد * فى العصيان والعناد * شيخ نور الدين * وكان عند تيمور من المقدمين * وذوى الآراء والتمكين * فانخزل جهاراً * وسار ليلاً ونهاراً * فوصل الى خداىداد * وقوى منه الظهر والاعضاد * وشاركه فى التمرد والفساد * ثم بعده فرط نظام الطاعة شاه ملك * واخذ فى طريق المخالفة وهو منهمك * وخرج من سمرقند وهو يصرخ * وقطع جيحون ووصل الى شاهرخ * وكان نظير شيخ نور الدين * وذا رأى مكين وفكر رصين * فلم يكترث خليل سلطان

بالعاصي واكرم من ثم يعص * وعمم بتاج انعامه كل راس وما خص *

ذكر اخبار الله داد صاحب اشباره * واخلائه ايا ما وقصده ديار ه *

وما صنع في تدبير الملك واثاره * قولا وفعلا واشاره الى ان ادرك

في ذلك دماره وبواره *

ثم ان الله داد جمع اخصاءه ليلة ورود الخبر اليه * وشاورهم فيما يصنع

وما ينبني امور ه عليه * فاتفقت كلمتهم * واجتمعت مشورتهم *

على قصده دياره * واخلائه اشباره * فانهم كانوا في ذلك المكان *

كالفسيق في شهر رمضان * والزنديق بين قراء القرآن * فلما طوى

الدجى ملاءته المسكية * ونشر على المكان مروطه الكافورية * والقى ثعبان

الفجر من فيه على هذا السقف المرفوع خرزته المضية * حضر الى خدمة

الله داد * امراء الجيش على عادتهم ورؤس الاجناد * من الترك

والخراسانيين * والهنود والعراقيين * فاختلى باماثلهم * ومداره

مقاولهم * ونشر لهم من هذه القضية طيها * وطلب من آرائهم فيها رشدها

وغيها * واستكتمهم امرها * لئلا يستنشي المغول نشرها * واني

لعين الشمس في الصحو الاستتار * وكيف يخفى على ذي عينين

النهر * فكلٌّ منهم فوّض الامر الى مرسومه * وطرح قصة هذه
القضية في جيب مكتومه * فاستدعى من اولئك الرفاق * ان يكونوا
معه فيما يراه على طبق الوفاق * فاجابوه الى سؤاله * وربطوا افعالهم
باقواله * فاكد ذلك بطلب ايمانهم * وان اسرارهم في ذلك كاعلانهم *
فشرع كلٌّ في المحالفة * انه ليس في موافقته مخالفة * وانه مهما رآه
الله د اداً متثله * وما امر به فعله * وحين امن من مخالفتهم وعصيانهم *
وحصل له اليسار بربطا اعناقهم بايمانهم * قال اي جماعة الخير *
وقيتم الضر وكفيتم الضير * ارى ان اكون في صلوة هذا الامر
امامكم * فاتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم * فامهلوا الامور لكم *
وارسل الى بلدكم هذا بدلكم * وايم الله لا يأخذني قرار ولا
هدو * ولا اتركم مضغة لضاغم ثغر العدو * فان رأيتم ان تضبطوا
بحسن الاتفاق امور كم * وتحموا قريحة وردة قلعتكم من سورة شارب
العدو وسوركم * فلن امهلكم الا بقدر ما اقطع نهر خجند *
واصل الى سمرقند * فامهلوني ريثما اصل * وبحليل سلطان اتصل *
فتبعوا مراده * واقتفوا ما اراده * وعاهدوه ان لا يخالفوا من بعده *

ولا يحلّوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل مهلة * تأمّر عليهم رأس جنود العراق * وكان هو أكبر الرفاق بالاتفاق * وقرّر لكل مسلحة في أسوارها من كل سالح جزءا مقسوما * وصار زعيمهم أولئك السالحين كالنبي في أمته مع أنه كان يدعى معصوما

* فصـــــل *

ثم أمر الله داد بتنجيز الأمور * وخرج سابع عشر شهر رمضان المذكور * ولم يلتفت الى برد وحر * وكان قد استوطن أشبارة واستقر * ونقل إليها حريمه وأولاده * وبذلك أمر حاشيته وأجناده * فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا * ولم يدع بها مما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا * فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا * وطورا تسومهم الارض من ثلجها خسفا * وآونة تسقط السماء عليهم كسفا * فادركهم العيد المرقوق * في مكان يدعى قولانجوق * من أبرد البلاد * كأنه ينبوع ريح عاد *

قلت * شعر

اذا احتاجت جهنم زمهريرا * تنشق منه أنفاس الهجير *

ذكر ورود مكتوب من الى الله داد * من خليل سلطان

وخدايداد * تخالفت معانيهما * وتصارمت فحاويهما *

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان * يذكر فيه ما حصل لجده

من حادث الزمان * وانه استولى على سريره * واطاعه من الملوك

كبير القدر وصغيره * وان الامور بحمد الله مستقيمه * وقواعد

الملك على عاداتها القديمة مقيمه * فلا يحدث امرا * ولا يخرج

من بحر مدينته درا * وليسدد بمكانه * وليثبت باشبارة مع طوائف

جنده واعوانه * وليطب خاطر الجزء والكل * فانه عقيب ذلك

يرسل اليهم بدل الكل من الكل * فتحير الله داد وتفكر *

وحاسب نفسه هل يربح في سفرة ذلك او يخسر * ففكر وقدر * فقتل

كيف قدر * فبينما هو في امره يعيد ويبدي * ويلجم في شقة افكاره

ويسدي * واذا بقاصد خدايداد ورد عليه * يستحثه على الخروج

من اشبارة والوصول سريعا اليه * فوجد لخروجه من اشبارة عند خليل

سلطان مندوحه * وعاش فنام وهو مغمض العينين بعد ان مات

وعيناه مفتوحه * نطوى بساط تردده * وتوجه ببسط امله نحو مقصده *

ولكن كان بينه وبين المراد خرط القتاد * والموانع التي ذكرها صاحب الوصول الى سعاد * مع زيادة نهر سيحون وخدايداد * فواصل التأويب والإسآد * حتى وصل الى خدايداد فابتهج برؤيته * واستنجح مقصوده بطلعته * ثم قطعا نهر خجند * وقصدا ضواحي سمرقند * ووصلا على حين غفلة وفترة الى مكان يسمى تيزك * وقد شهر اللعد وان الحسام وشرعا للفتك النيزك * فأحاطا على جشار تيمور فنهباه * وتغلبا على ما وصلا اليه من نقد وجنس فسلباه * واكثرا هنالك شرا وفسادا * واشبها في ذلك تسعة رهط ثمودا وعادا * وكانت هذه اول شرارة شر وبدعة سقطت من سقط الزند * وبسطت يدها بالفتن بعد قبض تيمور في ممالك سمرقند * لان اهلها كانوا قد امنوا الشرور ووقوع الفتن في حيوة تيمور * فحين دهمهم اولئك المفترون * اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * وذلك في شوال سنة سبع وهو العام الذي خلا فيه من تيمور الربع وما امكن السلطان خليل تدارك هذا الخطب الجليل *

ذكر من خلفه الله داد باشبارة من الطوائف * وما وقع بعده بينهم

من التناكر والتخالف *

وأمّا أمرُ مَن خلفهُ الله داد * في اشبارَةٍ من طوائف الأجناد *

فانهم خافوا من المُغول حُلُولَ حينهم * فتحزّبوا واختلف الأحزابُ

من بينهم * فمنهم فِرقةٌ قال قائلهم أنا على عهدي قويٌّ فلا أخونُ

وأمين * وقد استمسكتْ يدي بعروةِ عهدٍ مكين * وارتبطتْ

بحبلِ حلفٍ فلا أصيرُ من أهلِ الشمالِ باليمين * وأدنى ذلك أن نصبر

حتى يصلَ من الله داد رسولٌ أو كتاب * وننظرَ ما يبيّن فيهما من سُلوكِ

سنّةٍ فنميّز بصائبِ نظرنا الخطا في ذلك من الصواب * فإن وافق ذلك

مرادَنا امتثلنا ما يقول * واتبعنا في ذلك الكتابَ والرسول * وتوجهنا

في تلك الساعة * سالكين السنّة مع الجماعة * وإن جالحنا في كلامه

بخطابٍ أجلح * عدلنا الى الاعتزالِ ومال كلٌّ منّا في مصلحةِ نفسه

الى القولِ بوجوبِ رعايةِ الأصلح * ومنهم شيعةٌ مالتْ الى رفضِ تلك

الدارة * والمبادرةِ الى الخروجِ من اشبارَه * وانتقلوا من تكرارِ مثلِ

المجادلةِ الى القتال * وقطع رأسِ أحدِ رؤسِ الخراسانيين في مصافِ

النزال * ومنهم طائفةٌ اهمتهم انفسهم فلم يلبثوا الا عشيةً او ضحاها *

ثم تحملوا وخرجوا من المدينة وتركوا الدار تنعى من بناها * فلم يسع الباقين الا اتباعهم في الخروج * لان مقامتهم من اول الزمان هناك كانت كبنيان القصور على الثلوج * فتحملوا بقضهم وقضيضهم * وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم * وتركوا البلد بما فيه من غلات * ومستغلات ونعم وخيرات * واموال واقمشة * ونفائس مدهشة * ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونة * سوى ما عجزوا عن حمله من اموال مشحونة * وسوى امرأة واحدة مجنونة * ولحقوا بالله داد * وهو عند خدايداد * فلم يعنف واحدا منهم بما فعل * واعتذر اليهم بان خدايداد منعه ان يتوجه الى سمرقند ويجهز لهم البلد * وامرهم بالاقامة معه مستوفزين * وان يكونوا لفرصة التوجه الى سمرقند اذ لاحت منتهزين

ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف ختله وخلبه * واسترق عقله وسلبه *

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد * تأكدت العداوة بين خليل سلطان والله داد * فركن اليه بعض الركون * وجعل يستشيره

فيما يصير من امره وما يكون * وكان عند خدايداد * طائفة
من مماليك الاجناد * تخلفوا من العساكر في تلك البلاد * وقد ضيق
عليهم المسالك * واراد ان ينقلهم من مالك الى مالك * فلم ينعم له الله
داد بذلك * وقال ان عادة الاكياس * استجلاب خواطر الناس *
خصوصًا في مبادي الامور * وحدوث اوائل الشرور * فلا تنفر عنك
الخلق * وعاملهم اولا بالاحسان والملق * واي فائدة في قتل هؤلاء
وتمزيق اديهم * سوى نفي الصداقة وتأكيد العداوة بيننا وبين
مخاديمهم * وربما يكون في خاطر احد من مخاديمهم نفرة من خليل
سلطان * ويروم لذلك ظهرا وملجأ يلوذ به من رفيق ومكان *
فتلجئه الضرورة الى ان يقصد ممالك تركستان * فاذا آذيته
في متعلقيه انى يبقى له اليك ركون واطمئنان * واقل ما تفعل مع
هؤلاء يا انسان * إمساك بمعروف او تسريح باحسان * ومخاديم
هؤلاء لنا رفقاء * ولخليل سلطان اصدقاء * فان زرعت معهم
الجميل * ملكت كل رفيق وجليل * والقيت العداوة بين من عاداك
من صديق وخليل * فلما سمع كلامه * القى اليه من ذلك

الامر زمامه * فاشار عليه بمراجهم * واخمان اليهم في غدرهم ورواجهم * فزاد في نجاحهم * وراش خصوص جناحهم * وصرفهم بالعز في طريق مراجهم * فدارت بالسعد افلاكهم * واجتمعت بهم املاكهم وملاكهم *

ذكر ورود كتاب من خليل * فيه لفظ رقيق لحل امر جليل *

ثم ان والد خليل سلطان وفد على الله داد * يطلب منه السعي في لم الشعث فيما وقع بينه وبين خدايداد * وان يستعطف خاطره الى الرضى * ويستقبل المودة في الحال ويعفو عما مضى * ومهما طلبه يتكفل به * ويعد قربه من افضل قربه * ويكون هو السفير بينهما * ويقرر بالصلح عينهما * فتوجه الله داد الى خدايداد وابعد هذه الرساله * وبين له ما في هذا القول من رقيقة وجزاله * وسبب العداوة التي كانت بين خليل سلطان وخدايداد * على ما ذكران خليل سلطان كان في اوائل الزمان مجاورا لخدايداد في تلك البلاد * وكان جده جعله ناظرا عليه * وفوض امور تربيته اليه * وكان كزا جافيا * وجلفا جاسيا * فكان يعامله بالغلظه * ويعابله بالكثافة

والغلاظه * وكان خليل مطلان لطيف الذات * ظريف الصفات * نسيم اخلاقه لا تحمل من خدايلاد زعازعه * وبرد مزاجه اللطيف لرقة حاشيته لا يثبت لمجاذبة المشاقة والمنازعه * فتولد من تلك القساوة * بينهما العداوه * وسعت بينهما الوشاة * الى ان دس له مهلكا فسقاه * فكأنه احسه * فتدارك نفسه * وتعاطى علاجه * وما يصلح مزاجه * فقضى الزمان ان نصل من تلك الداهيه * وليتها كانت القاضيه * وبقي فيه من ذلك ارج * واورثه العرج * فصارت العداوة الخاصة عامه * وغدت هذه الفعلة لهذا المعلول علة تامه *

* فصـــــل *

ثم ان الله داد حلف لخدايلاد * الايمان الغلاظ الشداد * واكد هذه الايمان * بان استصحب معه القرآن * واشار اليه ووضع يده عليه * وزاد تأكيدا بايمان الطلاق * وبالالتزامات والنذور والعتاق * انه لا يقبض عن طاعته يدا * ولا يستحيل عليه ابدا * وانه ان توجه الى سمرقند يجهد في رأب ما انصدع

وردّ ما انقدع ورتق ما بين الجانبين انفتق * ورقع ما في خواطرهما من الشحناء والعداوة انخرق * وان يجهز له تومان احدى نساء تيمور * وحاصل الامر انه تكفل بحسم مواد الشرور واصلاح الامور * وان عجز عن رفع الشنان * ومحو سطور العدوان * فانه لا يستحيل عن مصادقة خدايداد في السر والاعلان * وصار يتملق ويترقق * ويتوصل بتمويهات زخارفه الى مجاري فكره ويتسلق * ويشيد دائما ان ترجف القلوب وتصدع * بالله الواحد ويثني بالطلاق الثلث من زوجاته الاربع * وكان مخيمهم على ساحل سيحون ممتدا * وهو عن شاه رخية نحو من بريد بن بعدا * فعبر سهم ختله الى سويداء قلبه بمكر ودخل * وغربله اذ طحن معه نا عما ما زرعه بيمينه في ساحله ونخل * الى ان سمح باطلاقه * بعد تأكيد عهده وميثاقه * فرجع الله داد الى وثاقه * واجتمع بحاشيته ورفاقه * وكانوا في شاه رخية * واخبرهم بهذه القضية * وكان قد هيأ قبل ذلك امره * واخذ من كل جهة اسلحته وحذره * ثم انه شمر الذيل * وقطع سيحون بالمراكب تحت جنح الليل *

ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان * وحلوله مكرما معززا في الاوطان *

وحين حصل على هذا الجانب * ولم يبق له في ذلك الجانب حاضر ولا غائب * امر في الحال * بعكم الاحمال وشد الاثقال * واخذ الاهبه * قبل النهبه * فافرغ عليهم سوابغ السلاح * واذن بصلوة الرحيل قبل الفلاح * وقدم ضعفة اهله والاثقال امامه * ونقض بهذا الاذان شروط الاقامه * وطير الى خليل سلطان مخبرا بهذه الاخبار * وما جرى بينه وبين خداي داد وكان وصار * ويستمده باستقبال المدد * وارسال العدد * لاحتمال ان خداي داد الابله * يتفطن لغائلة هذه الفعله * فيخطر بباله رده * ويرسل وراءه من يصده * ثم ساروا كالسهم الصائب * وطاروا كالنجم الثاقب * فما اصبح لهم الصباح * الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح * وجازوا كل قاتم الاعماق خاوي المخترق * وقطعوا على انوال المسير مما اسدته مطاياهم من مزهر الريا في الوان الشفق * فوصلوا بالسير سراهم * فساروا تهار رهم اجمع حتى غشيهم مساهم * وحين اخذ منهم اللغوب * وكل الراكب

والمركوب * وسدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح * عدل بهم
الى بعض البطاح وحط عنه واستراح * ورسم ان توقد نار * ولا يطمع احد
في طعم النوم بغرار * ولا يشام في جفن طرف سيف ولا سيف طرف *
ثم التمسوا ما يسد الرمق فصلوا صلوة الخوف فعبد والله على حرف *
وامهلوا ريثما قطعت الدواب العليق * ثم امر فحملوا وركبوا متن الطريق *

ذكر تنبه خدايداد بان الله داد * خلب عقله بانكال وانكاد

ثم ان خدايداد تنبه من رقدته * وارعوى من ليلته * وعلم ان
الله داد خلبه نهارة ذلك وسحره * وكسف شمس عقله ولعب به
في دست حلفه رقمره * فعض كما يعض الظالم على يديه * وعبى في الحال
عسكرا جرارا وانفذه اليه * فاسرعوا وراءه * والتمسوا لقاءه * فلم
يروا له عينا ولا اثرا * ولا رووا عنه من احد حديثا ولا خبرا * فلم يزالوا
في طلبه حائرين دائرين * ثم غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين *
ووصل الله داد الى مقصده * فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فاستولى
عليها بمفرده * اذ قبل دخوله كان شيخ نور الدين قد خرج *
وشاه ملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج * فابتهج بقدومه

خليل سلطان * وقدمه كما كان على سائر الوزراء والاركان *
فتمكن الله داد كيف شاء * وتصرف في معاني الملك بمباني
اخبارا وانشاء * وتعاطى في الحال تمهيد الامور * وتجهيز السرايا
وحفظ الثغور * فتراجع امر الناس وانضبط * وانتظم عقد الملك
بعد ما انفرط * واستقر حال الناس * وتمكنت القواعد على الاساس *
وكان هو وبرندق وارغون شاه وآخر بدعى كجول يدبرون مصالح
المملكة * ويسلكون بكل احد مسلكه * ولكن الله داد هو الدستور
الاعظم * والمشار اليه المفخم * وعليه مدار القبض والبسط * ونظام
عقود الحل والربط * واستمر شيخ نور الدين وخدايداد * يغيران
على البلاد ويزيدان في الشرور والفساد * واستوليا على اطراف
تركستان * وممالك تلك البلدان * منها صيرام وتاشكند * واندكان
وخجند * وشاهرخية واترار وسغناق * وغير ذلك مما في تلك الاكناف
والآفاق * فكانوا يقطعون سيحون * ويتوجهون الى ممالك ما وراء
النهر ويغيرون * فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان * وتارة يجهز لهم
طوائف من الجند والاعوان * وعلى كل تقدير فانهما كانا

لا يثبتان وينهزمان * وسيأتي ذكر ذلك كما كان *

* ذكر ما وقع في توران * بعد موته من حوادث الزمان *

واما المغول * فانه لما اتصل بهم خبر ذلك المخذول * وكان بلغهم انه قد صوب احجار كيده الى مشي تلك الثغور * ونوّق نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور * ولم يشكوا في ان ذلك شرك مكيدة * واحبولة مصيدة * فلم يقر لهم قرار * وتنادوا الفرار الفرار * وتشتتوا في البلاد * وتشبثوا باذيال القلاع ورؤس الاطواد * ولجأوا الى الحصون والجروف * وتماوتوا في قعر المغاوات والكهوف * وكذلك كل ذي نميمة من اهل الدشت والشمال * وتوزعوا في الاحقاف والرمال * وصار اهل المشرق والخطا الى حدود الصين ومن في ذلك الوجه يسرحون توقعا من ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون * والحق انه كان في هيبته وعتوه قد عرج * الى ان اهلك العالم شرقا وغربا بالارج * وصار

* كما قيل *

* تكاد تفيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا *

* تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم امتلالا *

* تكاد سوابق حملنه تغني * عن الاقد ارصونا وابتذالا *

فلما ترادف هذا الخبر * وتكرر هذا المكر * واشتهر اسناده حتى ترقى من الآحاد الى التواتر * وتقرر هذا الحق عند كل احد فلم يسع فيه جحود ولا تناكر * تراجع فؤاد كل الى جوفه * وتبدل امنا من بعد خوفه * وتنادوا يا للثارات * وشرعوا في شن الغارات * وقصد كل مستحق امترجاع حقه * وكل مسترق لمسترق استفكاك رقه * فاول من نهض من الشرق المغول * وقصدوا اشبارة وآبي كول * وامتدوا في تلك البلاد حتى جاوز وا خذا يداد * فهادنهم وصافاهم * وشرط لهم ردما اخذه تيمور من ماء وامم * وان يكونوا يدا واحدة على من ناواهم * واحسن كل منهم مع الآخر الجوار * واطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار *

* ذكر نهوض ايدكو بالتتار * وقصده ماوراء النهر وتلك الديار *

ثم نهض من جهة الشمال * ايدكو بعساكر كالرمال * وتوجه بعزم وجزم * الى ممالك خوارزم * وكان نائبها يدعى موسيكا فلما احس

بالتتار * وخاف على نفسه البوار * اخذ اهله ومتعلقيه وسار * وذلك بعد ان هجمت التتار الرومية المضافة الى ارغون شاه * وعبروا جيحون وهو جمد ورجع ارغون شاه الى ماوراه * فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها * واستطرد بخيله الى بخارى فنهب ما حواليها * ثم رجع الى خوارزم وقد اذكى * فى الجغتاى اللهيب انكى * وولى من جهته في خوارزم وولايتها شخصا يدعى انكا * فتمهدت ايضا تلك الاماكن * واطمأنت الظواعن والسواكن * بواسطة ان خليل سلطان قابل كل من اساء اليه بالاحسان * وصار يسترضى كل ساخط * ويستدنى بمكارمه كل شاحط * ويصطاد النفوس بالنفائس * ويفترس الاسود بالفرائس * فاحبه الاجانب والاباعد * ورغب فيه كل صادر ووارد * غير ان شيخ نور الدين وخداى داد * تماديا فى الفساد ولجا فى العناد * فخرب ما تجوذب بين الطرفين من البلاد *

* ذكر بير محمد حفيد تيمور ووصيه * وماجرى بينه وبين خليله ووليه *

ثم ان بير محمد ابن عم خليل سلطان * وهو الذى عهد اليه تيمور وكان بعد فوت اخيه محمد سلطان * خرج من قندهار * وقصد سمرقند

بعسكرٍ جرّار * وارسلَ الى خليل سلطان * وسائر الاكابر من الوزراء
والاعيان * بانه هو وليّ عهده * وخليفة جدّه تيمور من بعده * فالسرير
حقه فاني يغصبه * والملك ملكه فكيف يسلبه * فكلٌّ منهم جاوبه * بما يليق
وخاطبه * واما خليل سلطان فتصدّى للمعارضة * وقابل كلّ مسئلة من
الخطاب بما أنّنا فيها من المعاكسة والمناقضة * وقال لا تخلو مسئلتنا
يا فلان * من انّ الملك في هذا الزمان * اما ان يكون بالانتساب *
او يظفر به بطريق الاكتساب * فان كانت الاولى * فتم من هو احق به
مني ومنك واولى * وذلك ابي امير انشاه * وعمي شاه رخ اعني اخاه *
فيكون بينهما بالسوية نصفين * فما لك كلام مع وجود هذين *
وانا اولى ان اكون صاحبه * فارعى جوانبه واسلك مذاهبه *
اما بان يقطع كلّ منهما المشاغبة * ويترك لي ما له فيه من ولاية
المطالبه * ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه * واما بان
يجعلني خليفته في سلطانه فاصون نصيبه واكون نائبه * وان كانت الثانية
فكلامك لا يستقيم * لانّ الملك كما زعموا عقيم * ومن قبلي وقبلك قيل *
في الاقاويل *

* شعر *

* صونوا جياد كم واجلوا سلاحكم * وشمروا انها ايام من غلبا *

وان زعمت ان جدك عهد اليك * او عول في وصيته لك عليك * فهو من اين استولى الا بطريق التغلب * وانى حصل له ملك ومنك الا بالاغتصاب والتالب * وطن تقف ير التسليم * وان امر وصيته مستقيم * فانه كان في حيوته قسم بلاده * ووزع عليها اولاده واحفاده * فولى والدي ممالك آذربيجان * وقرر عمي في ولايات خراسان * وابن عمي بير عمر في عراق العجم وتلك الديار * وولاك انت من جملة ذلك فندهار * وجعلك وصيه كما رسم واشار * وتحمل هو المظالم وانتقل * فاين نصيبي انا من هذا الثقل * فاجعلوا حصتي من ذلك ما استوليت عليه * وليقنع كل منكم بما تقرر فيه وفوض اليه * ومع هذا ان تابعك ابي وعمي وتبعتك * او صادقاك على الوصية وبايعاك بايعتك * وان سلكنا في ذلك طريق الحق * فالملك صيد والاولى به من حاز فيه قصب السبق * وان الله اراح عليه اذ شبثني باسبابه * واباحه لي مباحا ومن سبقت يده الى مباح فهو اولى به *

هذا وإن كلاً من ملوك رعيتي فقيه الملك تابعني * ومن له في عقود السلطنة شركة ترك المضاربة * وطاوعني * وعند عقد توليتي مرابحة * ولما وقف على سيرة ألقى إلي السلم وبايعني * وأما الوزراء والأعيان فأجابوه بما لا طائل فيه * سوى ما تمجه أذن مستمعيه * غير أن الخواجا عبد الأول وهو صدر صدور العلماء * والمتصرف في رؤساء ما وراء النهر من السادات والكبراء * المنفذ سهام أحكامه في جميع الأمراء والزعماء * أجاب فأجاد * وأصاب وأفاد * واختصر واقتصر * وقصر من بير محمد ولخليل سلطان انتصر * فقال في جوابه * مجاريه في خطابه * نعم أنت ولي العهد * وخليفة الأمير تيمور من بعد * ولكن ما صادف طالعك سعد * ولو ساعدك البخت * كنت قريباً من التخت * والأولى بحالك * أن تقنع بما لك ومالك * وتبقى على خيلك ورجالك * وتضبط ما في يدك من ممالك * وإن أبيت إلا طلب النما * ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى * وخرجت من مملكتك إلى هذا الفضاء * فإنك تقع في العناء * وتخرج ولا يتك من يدك فتصير مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء *

ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته * وخروجه عن خليل سلطان وقبضه على امرائه ومخالفته *

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بذه الاقوال * واردفها بحقائق الافعال * وامر بتجهيز جند مجند * الى استقبال بير محمد * واضافهم الى ابن عمة والده السلطان حسين * وعين فيهم من امراء الجغتاي كل راس وعين * وضم اليه الظهور والاعضاد * ومنهم كجول وارغون شاه والله داد * فساروا ما بغي العدد * كاملي العدد * وذلك في سنة سبع منتصف ذي القعدة * فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا في ضواحيها وانبثوا في اقطارها ونواحيها * وبينما هم مرفهوا الحال * فارغوا البال قريروا العين * تمارض السلطان حسين * ثم انه دعا الامراء * ليقرر معهم فيما هو بصدده الاراء * وقد كمن لهم كمينا * وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا * وحبس ولجوا خيسه * ودخلوا كيسه * وثب عليهم وثوب الليث على الفريسة * واغرى بهم اسودة فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الهريسة * ثم نادى من معه من الرفاق * ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق *

وكان كما ذكرنا ذا طيش وشجاعة * وتهور ورقاعة * وصولة وجولة *
يسبق فعله قوله * فاهريق في تلك الساعة * دم واحد من تلك
الجماعة * يدعى خواجا يوسف وكان في حيوة تيمور * نائب الغيبة
بسمرقند وهو امير مشهور * ففي الحال قتل * والى الدار الآخرة
نقل * ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنة * ودعا الخلائق من ههنا
ومن هنه فدهشت اولئك الروس * وعلموا انه قد حل بهم النقم والبوس *

ذكر خداع الله داد سلطان حسين * وتلافيه تلافه بالمكر والمين *

غير ان الله داد ثبت جاشه المزود * واستحضر تلك الساعة عقله
المفقود * فابتدر سلطان حسين منا ديا * واستتبعه في امرهم
مناجيا * وقال له بعبارة نصيحة ان لي اليك نصيحة * ثم استخلاه وقال *
انما كنت مترقبا منك هذه الفعال * ومترصدا منك اظهار ما انت بصدده *
ومن اين لخليل سلطان ان يحتوي على الملك بمفرده * غير ان هيبة
مولانا السلطان باسطه * ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطه *
ولو كان عندي من ذلك ادنى شعور * لرتبت المصالح على ما تقتضيه
الاوامر الكريمة والامور * ثم ان الخاطر الكريم * يشهد بصدق

هذا الحديث وأنا عبدك من قديم * وسل من كان من المماليك
والأجناد * الذين كانوا محصورين في أسر خدايداد * من خلصهم
من حبائل أسره * وأنقذهم من ضرام ضره * وأطفأ عنهم ما التهب
من شرار شره * إذ لولا أنا لكان أبادهم وأبادتم أولادهم * وقطع بهم طريقهم
وتلادهم * فإنك إن تسلهم يخبروك * وعلى حقيقة الأمر وجلية
الحال يظهروك * وربما أخبروك بذلك لما أتوك * ومع هذا استفت
قلبك وإن أفتوك وأفتوك * ولا زال يطفئ بماء خزعبلاته شواظ نفرة تغيظه
وأبيبه * ويذكي في خياشيم رعونته عنبر احتيال له متمسكا بمسكه
وطيبه * ويرمي عن قوس ختله إلى سويداء اختباله نبال مكر نفذت
فيه نصال القضاء والقدر لأنها كانت مصيبة * فأشرب مكره * وتبع أمره *
وجعله ظهره * واستقدح في أموره فكره * ثم إنه بعد أن امتن عليه
باستبقائه * استشاره في قتل رفقائه * فقال له لا شك أن خليل سلطان *
ملك الناس بالإنعام والإحسان * وهو وإن كان في الشجاعة *
قاصر اليد قليل البضاعة * لكن استعبد أبطال الرجال * بحسن
الخلق وبذل الأموال * غير أن المال * بمعرض الفناء والزوال

وانت بحمد الله مآثرك مشهورة * ومنازل منازلاتك الابطال معمورة *
ورايات كسرك قرون الاقران على جبين الكباش منشورة *
ورؤس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان ابدا منصورة *

* قلت *

* فكم لزت شجاعا في البراز فمذ * رأى محياك ولى فارطا وجرى *
* مذ كنت رسا رئيناً في حروب ارى * في راسك لفتح بل في عينك الظفرا *

وانا اعلم ان عامة الجند سيبتهج بطلعتك * ويرقص فؤاده لحصول سلونه فرحا بحركتك * فانه لابد لهم من راس يسوسهم * وضابط عمام يصان بتدبيره نفائسهم ونفوسهم * وقرم كالليث الخادر * والسيل الهامر بل كالبحر الغامر * منصور ان دعا وان دعي فناصر *
موصوف بما قال

الشاعر *

* اضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولا رأي الا للشجاع المدبر *

وبما قال * شعر *

* ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها *

وهل ثم في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا انت * وما النجدة والكرم والحسب الا راحل حيثما رحلت وساكن اينما سكنت * ولو حدثت شاه ملك وشيخ نور الدين * ان وراءهما منك الحصن الحصين * لاسندا اليك رواية السند السديد * ولاويا من جنابك العالي الى ركن شديد * وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد * واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم * فسواء عندك ابقيت عليهم او ابدتهم * ولكن الابقاء اولى * ولا زالت العبيد تترقب مراحم المولى * فان اقتضى الرأي السعيد ان نكون كلنا موثقين في الحديد * مع زيادة قيد ايمان اكيد * فرأيه اعلى * واتباع ما يقتضيه احرى واولى * فاقتفى رأيه * واتخذه علما لامور دولته ورايه * فاستتبعه لحينه وقال اسلك ورايه *

* ذكر اخذ سلطان حسين على الامراء الميثاق * ومشيه

على خليل سلطان وهم معه في الايثاق *

ثم انه احضر الامراء * وهم في قبضة سطوته اسراء * وقلد نا ورح كل من متعلقيهم مهب ناحيه * وتوجه الى دار كل المخيرون فقامت عليهم

النائحة والناعية * واوثقهم بقيدي الحديد والايمان * بان يكونوا معه في السراء والضراء على خليل سلطان * فمد كل منهم الى القيد رجله والى اليمين يده * وعاهده على ما يختار وان يقدم له نفسه واهله وماله وولده * فحين استوثق منهم * ازاح بالاماني السوء عنهم * وتركهم موثقين في البند * وتمكن قاصد اسمرقند * وارسل الى خليل سلطان يخبره بما دب من امره ودرج * فليستعد لما نزل به فيما هو قادم عليه جيحون وخرج * وانه هو ايضا طالب من ملكه ما له حصته * ومنازع خليل سلطان في السرير منصته *

* ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند * لملاقاة سلطان حسين * بطوائف جنده * ورجوع سلطان حسين مما يرومه بخفي حنين *

فاستعد له خليل سلطان * وخرج من سمرقند لاستقباله في اسرع زمان * ثم ان السلطان حسين احضر الله داد * ومن معه من الشياطين المقرنين في الاصفاد * واستانف عليهم العهود * واكد عليهم قيود العقود * واحل كلا منهم محله * واجاز عقده وحله * وخلع عليه واجازه * واحترم حرم حقيقته ومجازه * وبش بانعامه الى متعلقيهم وهش *

وما اريهم حتى وصل الى مدينة الكش * والله داد كان قبل ذلك بزمان *
ارسل الى خليل سلطان * تخبره بوقوع هذا الهم * وما جرى عليهم
من شرور زماتهم * ثم قال له إن فالك سعيد * وامرك حميد * فانهض
برأي رشيد * وعزم سديد * وجناحي حديد * فإن ضدك مديد والله تعالى
ناصرك قريبا غير بعيد * فلا تخف من كيد مكيد * وإن كنت طفلا فانك فتى شبت
اهواء القلوب نسمات محبته * فصرت شيخ السلطنة وكل الانام ملك مريد *
فوصل خليل سلطان * الى ذلك المكان * فعبى السلطان حسين جيشه *
واستعمل تهوره وطيشه * وجعل الله داد على الميمنة * ورفيقيه
على الميسرة * ولما تراءى الجمعان * وتدانى الزحفان * وحقت الحقائق *
وسدت المضائق * وتعادت الأسود والغرانيق * وبادر كل منهم
من مكانه * وقصد كل من الله داد واقرانه عساكر خليل سلطانه *
فتخبطت عساكر السلطان حسين * وسلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا
من ظنونه ثوبي خيبة وحين * ودهمه من البلاء ما انساه سلبه فرجع
بخفي حنين * ومر على وجهه قاطع الفلاة * حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ
صاحب هراة * فلم تطل له عنده مدة * فاما سقاه مهلكا او اماماته

حتف انفه عنده * فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين *

ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

بقية ما جرى لبير محمد مما قصده من فرح وهم * وكيف

آل ذلك الى وبال وحزن فنقض ما قم *

ثم ان بير محمد تمادى في خروجه * واستمر يرتع في روض الطيش ومروجه * وتكررت بينهما دروس المراسله * وتحررت مسائلهما بعد مطاولة المقاوله * ان ينزلوا منازل المنازله * ويعلوا بروج المقابلة والمقاتله * وكان متولي امور ديوانه * ومشيد قواعد ملكه وسلطانه * شخصا يدعى بيرعلى تاز * حامي حقيقة باب الملك وحارس المجاز * سرة بطحاء مملكته * وقطب سماء دائرته * وقدرة علماء عوامله * وقوة خوافي عسكره وقوادمه * فجرد من عساكر قندهار * كل طود لو مال على قندهار رها ر * وتوجه بعزم امضى من البتار * وحزم انفذ من الخطار * قائدا ذلك الخضم الهدار * والسيل الثرثار * والغمام المدرار * حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار * ثم امر ذلك البحر العجاج * ان يركب من جيحون الامواج * ويصادم منه تلاطم

الأمواج * مرج الله البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج * فعبروا منه بسفنهم النهر * وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل البحر * وسار بذلك الأخشب * حتى ارسى على ضواحي نخشب *

ذكر مقابلة العساكر الخليلية * جنود قندهار بصدق نيه * والقائهم بهزيمتهم اياهم في اشربليه *

وكان قبل ذلك خليل سلطان * قد نجز امره كما كان * ونفث اعطاره منذ لي الايثار * وقوى العزائم على الملوك بالاستحضار * ليجنوا من اشجار الجرايات وثمار الادرار * ما يستعدون به لملاقاة شياطين قندهار * فلبى دعوته العام والخاص * وكل بناء من عفاريت الجنود وغواص * واجتمع من اعيان * اولئك الأعوان * كل مطيع مقتطف ثمر احسان * ذلك البستان * من انس وجان * وجاء ذلك البحر افواج امواج العساكر من كل مكان * وهم ما بين رؤس الجغتاي والجتا * وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا * وفوارس فارس والعراق ورستمدار * وجان قربانية خراسان والهنود والتتار * وممن كان تيمور * اعده لمضائق الامور * ولم يفارقه في سفر ولا حضر *

وأرصده لكل نائبة من خير وشر *

* شعر *

فوارس لا يملون المنايا * اذا دارت رحى الحرب الزبون *

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح * واستنجب منهم لما دهاه كل صليب نصوح * واسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات * وضاعف على قامة آمالهم من خلع انعامه المضاعفات * ففتحت عليهم الارض خزائنها * وصبت عليهم من معادنها وفلزاتها ظاهرها وكامنها * فصار كل راجل منهم وفارس * وقد تجلى فيما تحلى به من تلك النفائس * يزري بحسن هيبته على مخدرات العرائس * فسار وا ونسمات النصر من انفسهم فائحة * ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لائحة * والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحة * ولازال ذلك الراس يرسي ويمشي * حتى حط على ضواحي قرشي * هي المدينة المذكورة * فاستقرت تلك العساكر المنصورة * وذلك يوم الاحد مستهل شهر رمضان * سنة ثمانمائة وثمان * فبات كل من ذينك البحرين وقد ضم ذيله * وكف عن التبذر والتبدد سيله * وحفظ

من الاغيار رجله وخيله * واحيى فى معتكف المراقبة الى الصباح ليله *

* قلت *

الى ان بدا لمع الضيا فى ظلامه * يلوح كموج الماء من جف طحلب *

ولما سل الفجر صارمه العضب وابرزا بريز ترسه * ومسح على لوح الجو

ما طرسه مسود الليل من دخان نقسه * تهيأ كل من اولئك الاطواد

للاصطدام * واشتعلت فى قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلاء

والاصطلام * فعبى كل عسكره ما بين ميمنة وميسرة * ومقدمة ومؤخرة *

ثم تدانوا وتكانوا * وتعارنوا وتعانوا * وتواجزوا وتغانوا * وتعانقوا

وتهانوا * وتناجزوا وتفانوا * والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل *

وارتفع ظلام القتام الى رؤس الاسنة فرأوا فى صلوة الظهر نجوم

الليل * وجرى فى ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل * ثم عند

منتصف النهار * انكشف الغبار عن ان طوقتند هار هار * وسعد اولئك

الكبار بار * وعليهم غبار العثار ثار * وخبرهم بالانكسار سار *

وصيت خليل سلطان الى الاقطار طار * والى الآفاق بالانتصار صار *

فولى بير محمد وعلى رأسه بحر الدمار مار * وفى قلبه زناد البوار وار * حتى

كأن في قامه جمر الغضا والغار غار * او في كبده نار لهب المريخ والعفار فار *

وجندلت رجاله * وابطلت ابطاله * ونهبت اثقاله * وتحولت احواله * وسبي حريمه وعبيده * وسلب طريفه وتليده * وتشبث هو باذيال الهزيمه * وعلم ان ايابه سالما نصف الغنيمه *

* كما قيل *

* ايابك سالما نصف الغنيمه * وكل الغنم في النفس السليمه *

ورجع خليل سلطان * وقد اطمأن به الكون والمكان * واسفرت دولته * واستطارت صولته * وشكر الله المليك * واتم صيام رمضان في مكان يسمى جكل لبك *

ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان * ومجاهدتهم بالخروج وقصدهم الاوطان *

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال * خرج من العراقيين الرؤس والابطال * ومعهم حريمهم واتباعهم * واولادهم واشياعهم * وكبيرهم شخص يدعى حاجي باشا * وهم جارون تحت امره كيفما شا * وكانوا ذوي صولة وجولة * وصحبتهم السلطان علاء الدوله ابن السلطان احمد البغدادي

أصلية * وكان قد وقع في أسر تيمور فسجنه في سجن محنته وكربه *
فأفرج عنه خليل سلطان * وجعله عنده ذا مكانة ومكان * فبينا
الناس مشغولون بأمور العيد * رفع أيديهم أولئك الصناديد *
وأنه كان تقدم لهم بذلك مواعيد * فخرجوا تحت جنح الليل *
وشمروا نحو عرائس العراق الذيل * وطلقوا مخدرات ما وراء النهر
ومالوا عنها كل الميل * لأنهم كانوا استمعوا أن دار العراق انزلت بانيها
وميادة أنهر سلطنتها عادت إلى مجاريها * فلم يقف أحد أمامهم
ولا مشى خلفهم * ولا قدر على أن يربط عن السير رجلهم وكفهم *
فقطعوا جيحون ووصلوا إلى خراسان * فتصدى لهم كل من سمع بهم
من كل مكان * فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم * فتقطعوا في البلاد قبل
وصولهم إلى عراقهم * وأين ايران من توران * ودجلة من جيحان *
وبقي خليل سلطان في ذلك المكان * ثم الوى راجعاً إلى الأوطان *

ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره * وما صنعه بعد وصوله إلى قندهار *

ولما وصل بير محمد إلى قندهار * واستقرت به الدار * تلملمت أموره *
وحامت حول قصوره صقوره * ودارت من سيارات عسكره بدوره

بلورة * وتسعرت سمومه وحروره * وتطاير شراره وشروره * فتأرق

وتمرق * وتحرق أسفا قلبه وتخرق * وتمزق غيظا أديمه وتفرق *

وكان ذا حماقة * وقلة لباقة * فطير أجنحة مراسيمه * إلى سكان

أقاليمه * واستنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح الود وكليمه *

واستطب لجريح قلبه كل قريح الطعن والضرب وكل لديغ الثعلب وسليمه *

فلبوا دعوته بالإطاعة * وأجابوا نداءه بالسمع والطاعة * ثم سالت

الأودية والجبال * بالخيل والرجال * وأرسل إلى خليل يقول *

ضمن كتاب مع رسول * إن أول مصافنا كان فلتة فنمت * وشرارة

تسوهل في إطفائها فالتهبت وطمت * ولو أني استقبلت من أمري

ما استدبرت * وتحذرت ما استحقرت * واستكبرت ما استصغرت *

لا انتصرت وما انكسرت * ولعثرت على مرادي وما عثرت * ولكن أضعت

الحزامة * فحرمت السلامة * وتناولت أمرك برؤس الأنامل فأكلت

يدي ندامة * مع أن صلابة جندك * وقوة ظهرك وعضدك *

ونبال نبالتك وساعد سعدك * وعضب عضبك ورمح رشدك *

وحد صارمك وصرامة جدك * ثم ما كان رؤس العراق * وما حصل

لكَ منهم من الاتفاق * واما الآن فقد وقع منه نفاق * واتفق لك منهم عدم اتفاق * وظهر تباعد وشقاق * فحتى لذلك كيدك * واحتل بفكرك وجندك * وها انا قد جئتك بجد جديد * وبالحد والحديد * فاستعد للقاء * وتيقن عدم البقاء * فان الحرب كما علمت سجال * وكما اديل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال *

ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثاني كرة * وما حصل عليه في ذلك من كرة وفرة * وتوليته الدبر كما بدا اول مرة *

ثم توجه بتلك الجنود الاعوان * وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان * فتوجه اليه خليل سلطان * ومعه من عساكر الرجال والفرسان * وجرا د الجيش وقمله وضفادعه ما يجري من الدم الطوفان * فمر بتلك الاطواد البحار * وسرح وهو ما بين راس وسار * حتى وافى جنود قندهار * وكان كما ذكر من قبل * قد قدح في حراق احشاء العساكر القندهارية من خوف نار الخليل زناد النبل * فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف من جر الحبل * فقبل ان يزعق النفير ويضرب الطبل * نفر من كل فرقة منهم طائفة * وتنادوا

ارتقت الازمة * ليس لها من دون الله كاشفة * فالبس بيرمحمد خلعة الخلع * ولم يكن له بها طوق فاقلع الى القلعة القلع * واوصد الابواب واحكم الاسوار * واستعد في حصار شادمان للحصار * فاحاط به من العساكر * كل جارح وكاسر * ودار عليه من بني يافث كل سام وحام * وجد في المحاصرة منهم كل طاعن وضارب ورام * فتندم بيرمحمد * على ما قصد في ذلك وتعمد * وتذكر ما قال له اول * الخواجا عبد الاول * لكنه اعتذر * بالقضاء والقدر * فرماه القضاء بسهم جواب * اجاد فيه واصاب

وقال

* وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات امر عاتب القدرا *

فانعكس منه كل رأي وفال * وتغير عليه كل امر وحال * وذهب عنه منعطفاً ما بيده من ملك ومال * ونفر عنه كل احد اصلى للحرب نارا حامية لما سطا على حام وصال * ورجع عنه لسوء تدبيره كل ذي قرابة حين لمع له بالاماني الكاذبة كل سراب وآل * وتمزقت شقق تدبيره * على منوال تفكيره * سدى ولحمة فلم يبق له من دون الله من وال *

* ذكر ما صنعه بيير محمد من حيلة * عادت عليه بافكاره الوبيله *
لان جنوده كانت قليله *

ولما علم حوله * اخذ في اعمال الحيله * فاستند على عدة مضبوطه
من الجلود المخطوطه * الجيدة الدباغ * المصبوغة بالوان الاصباغ *
ثم فصلها لبوسا * لكل بوسا * وسمر عليها المرايا المصقوله * وبعض صفائح
معموله * وموهها واحكمها بالمسامير * واحضر من مونة بلده رؤس
الجماهير * واستكثر من الرعاع والهمج المجموع * ثم احضر تلك
الدلاص والدروع * ووزع على تلك الرؤس والظهور هاتيك النطوع *
فصار كلما صارت الشمس بازغه * اصعدا الى الاسوار خارج البلد
تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه * فاذا رآهم الناظر من بعيد
توهم وجالا ولم يعلم انهم بنك في العيد * واذ اتى آي ذلك الهباء *
والخيتعور الذي يملأ الفضاء كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * واستمر
على ذلك مدة * بقاسي معاناة ويعاني شده * وكان الذي تعاطى هذا
المكر الجلي * دستور مملكته اعني بيرطي * ومع ذلك كله لم تنفعه هذه
الحيله * وعادت عليه افكاره الوخيمة ووساوسه الوبيله * وانكشف

عزة * وانتهكت حرمته * فضاق ذرعا وقصر منه باع المجال * وحل بنقص عدده وعدده وزاده المقهر النكال *

* ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم * وطلبه الصلح والقائه السلم *

فبسط بساط التضرع * وطلب وسائط التشفع * وعلم انه لا عاصم من امر الله الا من رحم * فناشد خليل سلطان الله والرحم * وقال معنى ما قلت *

* يعطي الكريم ولا يمل من العطا * والعفو شيمته اذا وقع الخطا *

فاجاب خليل سلطان مقاصده * وتأكدت من الطرفين معاقدة المعاهدة * بان لا يقصد احد منهم بلاد صاحبه * واذا كان الله تعالى رفعه لا تضع من جانبه * ويسلم اليه ما في يده * ويبقى على الود والصداقة في يومه وغده * ثم تحالفا ان لا يتخالفا * وتواثقا ان يتوافقا * وتصادقا ان يتصادقا * وتفارقا على ان يترافقا * وتوافقا ان لا يتنافقا * وراقبا الال والذمة * وراعيا القرابة والحرمة * وانشمر كل عن صاحبه بما معه من فئته * وذلك في سنة

تسع وثمانمائة *

* ذكر مخالفة ونكد * وقعت بين بير طي وبير محمد * ازاحت ثوب الحبو

عنهما * وازاحت مخالفيهما منهما *

ولما وصل بير محمد الى وطنه * واستقر بين خدمه وسكنه * خرج عليه

بير طي تاز * واستقل بدعوى الملك وامتاز * ثم قبض عليه وكبله *

ثم انه خذله رجله * وشرع يقول * وهو يصول ويجول * امور

الدنيا اضطربت * واشراط الساعة اقتربت * وهذه دولة الدجالين *

واوان تغلب الكذابين والمحتالين * مضى تيمور وهو الدجال الاعرج

وهذا ازمان الدجال الاقرع * وسيأتي بعدهذا الدجال الاعور

وان كان احد يجزع من قرع باب السلطنة فانا اقرع * فلم يجب

احد من الرؤس والاذناب سؤاله * ولا انغم بما اقرعينه وانعم باله *

اذ لم يوجد في تناول هذا الامر المحظور من مبيح * ولم يكن لذلك الوعد

في مهام الملك غير المنيح والسفيح * فدعا ارباب ممالكها تضرعا وخيفه *

فكشر كل في وجهه انيابه وجاذبه هذه الجيفه * فلم يبق له قرار ولاثبات *

فشل يده ومد رجله صوب صاحب مراة * فبمجرد وقوعه عنده في شرك

الاقتناص * قبض عليه واجرى عليه احكام القصاص * وصفت له
المالك قندهار * من غير مضارب ولا مضار * واستراح خليل
سلطان ايضا من الانكاد والمضار *

* ذكر ما وقع من حوادث الزمان * في غيبة
خليل سلطان *

وفي هذه السنة بادرت بالهجوم * تتار الروم * ووصلوا بالعزم * وقطعوا
جيحون بالرجل وهو جمد من خوارزم * وقصدوا بلادهم * فتصدى
لهم من كل جانب من شتتهم وابادهم * وحصل لهم من عدم الاتفاق *
ما حصل لعساكر العراق * وايضا في غيبة السلطان خليل * واشتغاله
بهذا السفر الطويل * اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ نور الدين فتوجهوا
الى سمرقند مطمئنين * واخنوا عليها * ونهبوا ما حواليها *
فتحصنت منهم * وترفعت عنهم * فنهبوا خارجها ورجعوا *
ونحو بلادهم انقلعوا *

* ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد * وتوجيهه الى شيخ
نور الدين وخدايداد *

ولما رجع خليل الى سمرقند * اراح طوائف عسكره وجنده * ثم دعا اصحابه * ووجه نحو ما ركابه * وهيأ انصاره واطلابه * وسار بتلك القبائل المضطرمه * والاسود الخوادر والفحول المعتلمه * واستمر ذلك الطود الركون * بين حركة وسكون * حتى وصل الى سيحون * وحين شرع ذلك الطور * والنار ذات النور * على نهر سيحون في العبور * رأيت البحر المسجور * فاذعن له شاه رخية وخجند * وتحصنت منه باشكند * فوجه لحصارها * وعزم على هدم احجارها * فبعد ان حاصرها مدة * واذاقها لباس الجوع والشدة * لجأت الى طلب الامان * وسلمت اليه قياد الاذعان * فأجاب سؤالها * ورتق بالصلح حالها * ثم قفا آثارهما * طالبا دمارهما *

* ذكر ايقاد * شيخ نور الدين وخداي داد * نار اللخليل ليحرقاه * فاطفأها الله تعالى ووقاه *

وكان خداي داد وشيخ نور الدين نحو مان حول الجمي * ويترقبان من فرص النهب والسلب معاني عسى ولعلما * فتوجه وراءهما * ورام

لِقاءَهمَا * فجَعَلا يرحَلانِ بمَرأًى منه ومَسْمَع * وينزِلانِ بمأْمَلٍ فيه ومَطْمَع * وجَعَل يقتفيهِما في كُلِّ مَنْزِل * فاذا رَحَلا يتبعُ قفاهُما وينْزِل * وكان خَليل سُلطان معتمِدًا على عسكَرِه * مستيقِنًا بحلولِ نصرِه وظَفَرِه * فكأَنّه في بعضِ الليالي غفَل عن التحرُّس * وكان لهما في جَيْشِه من دأْبِه التجسّسُ والتحسّس * فخيبهُ الظَنّ وخانَه * وحطّ على مَكانٍ يسمى شرابخانَه * وكان قد تقدَّم على الثقَل * فطار جاسوسُهما إليهما بما فعَل * فأقبلا كالسَيْل * وبيّتاهُ بالليل * فخرجَ من عسكَرِه جماعَه * وكأَنّما قامتِ القيامَةُ في تلك السّاعَه * ثمّ تركاهُ ورَدّا * وفرّا عنه ونَدّا * وتشتتا في المَهامِهِ والمَوامي * ومن أَين للسلطانِ اقتناصُ الحَرامي * فكفَّ عنهما عِنانَ الطَلَب * وقصَدَ بالسلامَةِ دِيارَهُ وانقلَب *

ذكر مفارقة شيخ نور الدين خداىداد * وتقاسمهما تلك البلاد

ولما كانت مودّةُ خداىداد وشيخ نورِ الدّين كالغبار * وأساس ما بينهما من الصّدق كمن أسّس بُنيانَه على شَفا جُرُفٍ هار * اختلفا وما ائتلفا * وتجاذبا شقّةَ الشّقاق * ونفق في تبايعهما بضائعُ النّفاق *

ولم يعتم احد من راق * وظن انه الفراق * فقهقر شيخ نور الدين
نحو سغناق * واستولى على تلك الاطراف والآفاق *

ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار
والتنصل عند خليله مما كان منه وصار *

ثم راسل شيخ نور الدين بن خليل سلطان * واعتذر عما صدر منه
من العصيان * وطلب منه ان يقابل اساءته بالاحسان * ويرجع اليه
عوائد صلاته كما كان * فاجابه الى سؤاله واسبل على سوءة جرمه
ذيل النسيان * وارسل اليه امرأة جديدة ترمان *

* فصـــــل *

ولم يزل على الوفاق * وشق شقة الشقاق * مرتبقا ربقة الرماق *
حتى وقع خليل سلطان فى الوثاق * وصفا لشاه رخ سمرقند وراق *
وتوجه اليه شاه ملك مظهرا الصلح ومضمرا النفاق * واستنزله بالمكر من قلعة
سغناق * بعد ان احكما العهد والميثاق * ووقع بينهما الاتفاق *
وان يتلاقيا ركبانا ويتباثا الاشواق * بعد السلام والاستسلام
والعناق * وكان في جماعة شاه ملك شخص يدعى ارغوداق * ثم اقبل

شاه ملك بجماعته * ونزل شيخ نور الدين من قلعته * وسار شاه ملك

وحده * من غير عدة وعدة * وتعانق هو وذلك المغرور * وبثه ما نابه

في غيبته من أمور وسرور وشرور * فأكد عليه الميثاق والعهد *

ووصى كل منهما ما يفعله الآخر من بعد * ثم ودعه وانصرف *

واتصل بجماعته ووقف * وسار كل من جماعته بمفرده * الى مصافحة

شيخ نور الدين وتقبيل يده * حتى أفضت النوبة الى ارغوداق *

فنوجه بما أضمره من الخداع والنفاق * وكان في الشجاعة أسدا *

وكالفيل قوة وجسدا * فوصل اليه * وقبل يديه * ثم التزمه

عناقا * وأحكمه اعتناقا * فاقتلعه من سرجه * وأهبط نجمه من برجه

وقطع رأسه * وفجع به ناسه * ولما سمع بذلك شاه رخ * طفق يندب

ويصرخ * ولعن شاه ملك ونهره * وضرب ارغوداق وشهره * لكن

ما أملته وصل ما قطعاه * ولا غرس ما قلعاه * كما قيل ع * وليس لما تطوي

المنية ناشر * واستمر مدة لا ينظر اليهما * ثم بعد ذلك رضي عليهما *

واستمر خدايداد * منشبثا بأذيال العناد * مشتركا بين العتو والفساد *

غير مسلم الى الصلح القياد * الى أن أباره الله مروا باد *

ومنذكر كشف جادبا عن ابائه واجداد *

ذكر امر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها

جنكيزخان * وتجهيزه العساكر لهذا الشان *

ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائه * ارسل خليل سلطان من الجنود فيئه *
واضافهم الى الله داد * وضم اليهم من رؤس الاجناد * الياس
خواجا وابن قماري منصور * وتوكل قرقرا ودولة تيمور * الى
ترمذ مع آخرين * ليعمروها فاستمروا سائرين * حتى وصلوا الى
ترمذ * فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرمد *
ثم تقسمت تلك الرؤس ابدانها * وعلوا عن ان يتسوروا قلة اسوارها
وحيطانها * وجعلوا يعملون ولا يلبثون * ويبنون بكل ريع منها آية
يعبثون * وتركوا بالنهار الكرى وبالليل نوما * فتموا بنيانها في نحو
من خمسة عشر يوما * وحين ميزوا محلاتها * وفرزوا دروبها وطرقاتها *
ورفعوا اعلام مساجدها ومناراتها * وبنوا مواضع اسواقها وبياتها *
امروا الباقين * من ذرية النازحين عنها من اهلها * وكل من رحل
من خرابها وعرها الى عمران سهلها * ان يرجعوا اليها * ويخيموا عليها *

وكان أولئك المساكين * قد استوطنوا منها البساتين * وبنوا فيها أسواقهم وبيوتهم * وجمعوا فيها أسباب معائشهم وقوتهم واستمر ذلك من وقت جنكيزخان * الى وقت تيمور كوركان * فكانوا في وطنهم آمنين * وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين * فلما مات تيمور * وحدث شرور وامور * اراد خليل سلطان ان يصونهم * فارسل من شيد حصونهم * وكانت الجديدة عن العتيقة نحوا من فرسخ * فصارت العتيقة احصن من الجديدة وارسخ * لاسيما وقد طمّ البانون منارها * ونهر جيحون يصافح اقدام طود حمل اسوارها * بخلاف الجديدة * فان قصور مساكنها غير مشيدة * وهي عن النهر بعيدة * فلما نادوا الناس ان ادخلوا الى دار قراركم * فكأنهم كتبوا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم * فلم يتثقل الله داد عليهم * ولا اكترث في ذلك ولا التفت اليهم * ولم يظهر في ذلك عنادا * ولكنه حشر فنادى * ان كل من سبقت يده من اهل البلد * الى شيء من هذه الاماكن والعمائر الجدد * فهو له من غير منازع * ولا ممانع ولا مدافع * ثم امر بانتقال الخبازين * والقصابين والطباخين

والسمانين * وميز لهم منازلهم ومأواهم * ولم يتعرض لمن سواهم *
فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون * ويربحون في ذلك ولا يخسرون *
فاختل نظام سائر الجمع * إذ الإنسان مدني بالطبع * فألجأهم الاضطرار *
أن يتبعوهم بالاختيار * فتفقد ما يليق به أحوال كل من كبيرهم
وصغيرهم * وقرر على ما اقتضته آراء مرة قواعد أمورهم * ثم جمع
رؤس جنده * وقفل الى سمرقند *

ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان * في مقابلة ما فعله خليل سلطان *

ولما سمع شاه رخ بما فعله خليل سلطان * جهز طائفة من عساكر
خراسان * وجعل يمد ذلك السحاب المنجاب * من بحر أمرا ميره
يك عي مرزاب * وهو أخو جهان شاه * الذي كان تيمور على محاصرة
قلعة دمشق ولاه * وامر رؤس تلك الجنود * أن يبنوا قلعة تسمى
حصن الهنود * وهي من أقصى بلاد خراسان * يفصل بينهما وبين
ترمذ نهر جيحان * ففعلت من البناء العساكر الخراسانية * نحو
ما أعوزت عنه العساكر الخليلية السلطانية * وفي أثناء مدة البناء تراسل
الله داد وهو مرزاب وتصافيا * وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا *

اشارة الى ما حدث في اقاليم ايران * وماجرى من سيول الدماء

عند تصوب ذلك الطوفان *

ثم ان السلطان احمد وقرا يوسف رجعا الى العراق * ووقع بينهما

على سياسة الملك الاتفاق * واستقر السلطان احمد في بغداد * ووثب

قرا يوسف على الجغتاي بالعناد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد *

وكتب الفتح على راياته آيات نصر من الله * فاستخلص ممالك اذربيجان

بعد ان اباد طوائفهم وقتل اميرانشاه * ومد عنان الكلام * في استيفاء

هذا المقام * يخرجنا عما نحن بصدده من المرام * الى ان وقع بينهما

الشقاق * وتخبطت اذربيجان والعراق * ثم قتل قرا يوسف السلطان

احمد باشارة بسطام * وذلك في شهور سنة ثلثة عشر وثمانمائة

من هجرة النبي عليه السلام * واما عراق العجم * فانها كانت احصن

آجم * فاستقل بدعوى الملك متوليها بير عمر * فنهض عليه ذو قرابة

له يدعى اسكندر * فقاتله وكسره * ثم قبض عليه وحصره *

واستقل بدعواه * فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراة * نقبض عليه

وآباده * وفجع به اهله واولاده واستصفى بلاده * فخلصت لشاه رخ

ممالك العجم كلها * وانثال الى خزانته من اموالها وابلها وطلها * من غيران يعاني في ذلك نصبا * او يقاسي في تحصيله تعبا ووصبا * مع ان مملكته كانت اوسط الممالك * فلم يتطرق اليه احد بسوء لذلك * وانه كان حسن الجوار قليل الحركه * وابوه قد حسم عنه بقتله ملوك العجم مادة كل شر وهلكه * فثبت في مكانه بين اسود شمخت وثبت * وكبت ما له من الاعداء بما له من اصدقاء وثبت * فاهتزت اراضي دولته بنبات الثبات وربت * وكأن عيون السعد كانت تراقبه * وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه *

* بقوله * شعر *

* نزه فوادك عن سوانا والقنا * فجنابنا حل لكل منزه *
* والصبر طلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه *

ذكر خروج الناس من الحصر * وطلبهم اوطانهم من ما وراء النهر *

وفي اثناء هذه الحالات * قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات * وطلب كل غريب وطنه * وتحرك يبغي سكنه وقطنه * اما باجازة

واحتيا * واما بهزيمة واختفا * فاول من استجاز من اهل الشام

ورا م المسير * شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرقت

الطوائف عجما وعربا * وتبددوا فى الآفاق شرقا وغربا * ووقع في سمرقند

القحط وغلاء الاسعار * ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار *

ثم حصل بعد ذلك الرفاهية * واجتمع للناس الرجاء والامنية * وطاب

الزمان * وحصل الامان * وذهب المقت * وصفا الوقت *

* ع * وعند صفو الليالي يحدث الكدر *

ذكر ما ثار الزمان الغدار * من دما روبوار * القى به الخليل فى النار *

وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير *

وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها *

بحيث انه قصر نظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * وانست قصته

قضية قيس وليلى و شيرين وفرهاد *

فكان كما قيل * شعر

* اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى *

* والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان *

* كأنّ فؤادي ليس يهدأ الذي به * الى أن درى الروحين يجتمعان *

واستمر ذلك الى ان ران هواها على قلبه * واخذ بمجامع لبه * وربط جوارحه * وحلّ جوانحه * وفصل قميصا واسعا فكانا يلبسانه * واتحدا فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه * وصارا ينشدان *

والى حالهما يرشدان *

* انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا *

بل كانت القضية بالعكس

* قلت *

* انما كانا بروح نفخت * منذ براها ربها في بدنين *

وكان لا يصدر امرا الا عن رايها * ولا يستضيء في سياسة الملك الا بآرائها * فسلمها قيادة * واتبع مرادها مراده * وهذا من غاية البله والعته * وكيف يفلح من ملك قيادة امرأته * وكان لها خادم قديم * ليس من بني الاحرار ولا بكريم * بل كان من اطراف الناس * يبيع في اول امره البزر والكرباس * يدعى بابا ترمش * بطرف معمش ووجه منمش * بصورة قبيحة *

وهيبة غير مليحة * وكان يتقاضى حوائجها ويدخل عليها * قبل وصول
خليل سلطان اليها * فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت * وحصلت
لها المرتبة التي لغيرها ما حصلت * ارتفعت درجة خدمها * وزادت
حشمة حشمها * واستفاد بابا ترمش من اضافته اليها التعظيم *
وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم * فصار يرأس جماعتها
ويسوسهم * وبمجالستها تحلى بخلعة * ع * هم القوم لا يشقى جليسهم *
ثم ترقى حتى صار عليه مدار امرها * ثم تخطت قدمه الى التكلم في اسباب
الملك وغيرها * ثم تدرج الى فصل المهمات الديوانية * واجراء
القضايا السلطانية * ثم ترفع الى التولية والعزل * وتعاطى ذلك على
سبيل الجد والهزل * وانتهى في ذلك * فصار دستور الممالك * ولم يقدر
احد على رد كلمته * لحدة شوكته بقوة مخدومته * فبسط يده
ولسانه كما اختار * وامتثل كل احد ما امر به واشار * واستطال على الله داد
وارغون شاه * فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما ابرماه * وبلغ في قلة
الادب الى ان كان يمد رجله بحضرتهما * ولا يقوم بذرة من واجب
حرمتهما * ثم حجر ان لا تفصل قضية * الا بمشورته * وان كان غائبا

فينتظر حضوره او يتوجه الى حضرته * ومن حين تبغ الى ما بلغ كانوا نحوا من ثلاث سنين * وعقارب الجعتاى وجنهم لا يثبن معه العذاب المهين * فحصل لالله داد وارغون شاه من هذا الدرج * غاية الضرر ونهاية التحرج * وبلغا الغاية في الاهانة والنكاية * واعضل داؤهما * واعجز دواؤهما * واستلذا ذهاب العيش وزواله * على البقاء في هذه الحالة *

ذكر ما افتكره الله داد * وردبره في مراسلة خداي داد *

ثم ان الله داد استعمل فكره * ولكن اخطت اسهمه الحفرة * فطبق رافانقلبت عليه * ونسج كدود القز شبكة حتفه بيديه *

قلت

* اذا انعكس الزمان على لبيب * يحسن رأيه ما كان قبحا *
* يعاني كل امر ليس يعني * ويفسد ما رآه الناس صلحا *

فلم يجد التدبير الافساد * الا مراسلة خداي داد * فجليا عليه صورة هذه القضية * واخبراه بها عن وضوح وجلية * واشارا عليه ان توجه بأمل فسيح * ويفصل

بعساكره سمرقند وخاطره متحير * فنهض من ساعته * وتوجه

لحيشه وجماعته * ودب دبيب الذبا * فوصل الى مكان يدعى

اورانبا * فلما سمع بذلك خليل سلطان * ارسل الى الجنود

والاعوان * وتعجب من وقاحته * وتعوذ من كلاحته * وجهز اللّه

داد وارغون شاه * مع العساكر الجرارة للملاقاة * فسارا حتى

دانياه * فقابلاه وما قاتلاه * ثم ارسلا الى خليل سلطان يستدعيان

المدد ويقولان * ان هذا الرجل بلغ من ملاحاته * وشدة

دعارته وقلة مبالاته * انه لم يتزعزع من مناخه * ولا دخل ريح

هيبتنا في صماخه * فامدهما بباقي العسكر * وجعل يتشوف لما يكون

من الخبر * فارسلا ايضا ان هذا اقل اذى وزاد فسادا * وجارى

في عداوته تمودا وعادا * فامدنا بنفسك * وادركنا بحدسك

وحسك * فان هيبتك اقوى * وطلعتك اضوى * وما ارتكب هذه

الجراءة * ولا اقدم على هذه الجنة * الا وقد اضمر شرا كبيرا *

وطوى في باطنه قرارا وقبورا * فادركنا بباقي المقاتلة * فان هذه المرة

تكون الفاصلة * فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن * وخاطر عن حلول

الحوادث مستكين * وأمل فسيح * وصدر منشرح * معجباً بشبابه *
مغروراً بأصحابه * سماً لا يبين أحبابه * منهادياً بين أترابه *
في شرذمة قليلة * وطائفة نبيلة * أبعد ما عنده نزول همّ * وأشرد
ما لديه حلول نكد وغم * يقبل به الكمال *
وينادي به لسان الجمال *

بقوله

* تيه دلالاً فأنت أهل لذاكا * وتحكم فالحسن قد أعطاكا *

فوصل بتلك العصابة السلطانية * الى قصبة تسمى سلطانيه * فأرسل الله
داداً الى خداداد أن الركاب السلطاني * خرج من سمرقند
في اليوم الفلاني * وفي الساعة الفلانية *
الى كورة سلطانيه *

ذكر ما قصده خداداد من الكيد * ووقوع خليل سلطان
في قنص الصيد *

فقصد خداداد المخاتله * وترك تعلله مقابل المقاتله * ونبذ العساكر
وراء ظهره * وتأبط شرشرارة ومراوذمرة * واستصحب من ابطال الغنائم

ورجال النضال والنزال * طائفة * جاسرة غير خائفة *

* شعر *

رزان اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثيرا ذا تعد واقليل اذا اعدوا *

والتحف ذيل الليل * ولطأ بظهر الخيل * واستطرق الى مطلوبه طريقا موجا * واستقودا لى مقصوده قوادا لدجى *

كما قيل * شعر *

* لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد *

حتى وصل الى سلطانية وهي قصبة انشاها تيمور * ولم يكن لاحد به شعور * فلم يفجأ خليل سلطان * الا وقد جاءه موج البلاء من كل مكان * فنهض كل من معه من الاصحاب * واخذوا في الحرب والطعن والضراب * وقاتلوا قتال الموت * وايقنوا حلول الفوت * فعضت عليهم الحرب العضوض * وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض * فقتل حقيرهم وجليلهم * ووقع في نار عدوهم حبيبهم وخليلهم * ثم رجع خداياداد الى معسكره * فائزا بنجحه مستبشرا بظفره *

* فصل *

ثم ان خذابنداد حلف لخليل سلطان * بأشد ما يكون وابلغ

من انواع الايمان * انه لا يفصله باذى * ولا يرمي في غير

يحال قذى * ولا يؤذيه بقول ولا عمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه

بمكر ودخل * ويسير نتيجة ما حلف * وان الله تعالى عفا عما سلف *

* فصل *

ثم التمس منه ان يوصل الى الله داد * فمن دونه من الاجناد * ان يستسلموا

لخذابنداد * وارسل خذابنداد ايضا الى الناس * باني قد استوليت

منكم على الراس * فان اطعتموني اطعته * وان لم تصلوني قطعته *

ولما وقع خليل سلطان في هذا الكرب * تصور ان هذا سهم غرب *

ثم ظهر له مكان ذلك المكمن * وتحقق كيف أخذ في المأمن * وعلم

من اين صب ذلك البلاء عليه * واني اخذ من ذلك الجانب الذي

يأمن اليه * فقال * بلسان الحال *

* جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف *

* فما سامنا خسفا ولا شفنا اذى * من الناس الا من نود ونعرف *

ثم ارسل الى سائر الامراء * ورؤساء الجيش والوزراء * ان يستسلموا

لخذ ايلك اد ولا يثنا رعوة * ولا يلد اغوه فيما يريد ولا ثما يعوده *
فاستسلم الكل اليه * واستقبل ذراه وسلم عليه * فاستولى على تلك الجنود
المجندة * وتخصن من غوائل المخاتل بالرماح المسددة * والسيوف
المهندة * وقلب جنود جند وخجند * واغنام تركستان وطغام
اوزجند * واخر من سوى اولئك وتعدم الى سمرقند * ولم يلتفت
الى الله داد فمن دونه * وتحقق الله داد ان صفقته في ذلك مغبونه *
فسلخ الزمان عنه ما كان البسه من ثوب عز وسلب * ودمر من بين يديه
ما كان فيه من جاه ومال وذهب * وكان تمام ذلك لعشر
في سنة ثمانمائة واثنى عشر *

ذكر ما جرى من الفساد * بسمرقند عند قدوم خداياداد *

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل * فتغيرت الملك الرسوم والدول *
وكانه ظهرا خلاف الملل والنحل * وكان له ابن يدعى الله داد *
فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد * وتفحص عن مكامن الخزائن *
ونقب في اطوادها عن الفلزات والمعادن * وتفرغ عن مضمرات الضمائر
وبحث عن الخبايا والدفائن * وتغيرت الاوضاع * وتبدلت

بالفظاظة رقاق الطباع * وصاروا

كما قيل * شعر *

* اما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسايها *

وتنكرت الصفات * حتى كأنما تحولت الذوات * او بدلت الارض غير الارض والسموات *

* شعر *

* وتنكرت ارض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا *

ذكر بلوغ هذه الامور * شاه رخ بن تيمور * وتلافيه تلك الحوادث

وحسمه مادة هذه العوابث *

ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر * عبس وبسر * وتضجر وزمجر *

وازور وازبار * وكشر واكفهر * وتغير وجهه وتمعر * واستغاث

وتقلق * وولول واسترجع وحولق * وتحرق وتنكد * وتأوه وانشد *

* شعر *

* لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس *

ثم طير بطايق مراسيمه كل مطير * الى اطراف ممالكه بجمع العسكر *

وامرشاه ملك * أن يسير غير مرتبك * ويستتم السير * ويسابق بعتاقه عتاق الطير * فيتدارك ما انفرط من النظام * ويطارد عن ورد المملكة الاغنام الطغام * فلا يدع رائدهم ان يحل * ويعاجل مستعجل قدرهم ان يمل * فسار شاه ملك في الحال * بعساكر في المدد كالجبال * وفي العدد كالرمال * ثم اتبعه شاه رخ بسائر الاساورة * وكواسر الاكاسرة * وسار لا يلوي على احد * ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد * فحين وصلوا جيحون وعمروه * غطوا وجهه وستروه * فانبسط ذلك السيل على وجه الماء * فكأن البحر غطي بالغمام المتراكب وغرق في بحر الحياء *

* فصــــــل *

ولما قطع البحر تلك الاطواد * واتصل الخبر ببغداد * تيقن انه لا طاقة له بابه وقروده * بذباب جنود شاه رخ واسوده * وان جل عساكره يفر عنه ويسلمه * ويقبض عليه ولشاه رخ يسلمه * فاسرع في تنجيز مآربه * وبادر الى تجهيز مطالبه * واخذ ما وصلت يده اليه من اموال * وازمق ما بلغت طاقته من نفائس واحمال * واستصحب

خليل سلطان * وتوجه الى ايدكان * وازدع الله داد وارغون شاه

وبابا ترمش في القلعة * وانع ان يستصحب احدا منهم معه * وترك

شاد ملك ايضا في المدينة * بفراق خليلها رهينه * وبسلب ما كانت فيه

من العز مهينه *

ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجندية * وقبل وصول

الشواهين الشاهرخية *

ثم لما رحل خداايداد وانفصل * ولم تكن احد من جهة شاه رخ وصل *

وما كان للناس ظهر ولا راس * اراد الله داد وارغون شاه *

ان يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه * فرفع خواجا عبد الاول عليهما

يده * واقام لمنعهما عن الخروج من القلعة رصده * واستعان بسطار

المدينه * وكان الله داد قبل ذلك انكاه نكاية اورثه ضغينة * كما قيل * ع

من نزرع الشوك لا يحصد به عنبا * فلم يختلف في ذلك اثنان *

ولا انتطح فيما دهمهم به عنزان * وصارت اشارته الامرة الناهيه *

وجد اول مراسيمه فيما بين الناس جاريه * واوامره المطاعه في تلك

الايام الخاليه * ع والعلم يرفع بيتا لا عماد له * ولم يزل خواجا عبد

لأوّلِ دُرُوسِ الرّعِيّة * ويُوصي على الله داد ورفقته بِمَن معهم وشدّ دمضائق القضبة * الى ان طلعت طلائع شاه ملك واعقبتها العساكر الشاهرخية *

ذكر بدو وزوال الدولة الشاهرخية * في سماء ممالك ما وراء النهر بعد غروب شمس النوبة الخليلية *

فخرج اهل المدينة لاستقباله * مستبشرين برؤية حسن هلاله * فنزل كلّ احدٍ في منزلهِ * ووضع كلاً من النّاسِ في مرتبته * ثم قبض على الله داد ورفيقه وعاقبهم بانواع العقاب * وصنف في تعذيبهم واستخلاص الاموال منهم انواع العذاب * ثم قتلهم صبرا * ونقلهم من الدنيا الى الآخرة * إلّا بابا ترمش فانهم عاقبوه * وبانواع العذاب آلهوه * ففي بعض الايام * وقد انكت فيه من العذاب الآلام * اخذ الموكلين عليه ليطلعهم على قضية * او ليذهب بهم الى خبية * فمروا به وهو في قيدٍ ونهش * على حوضِ ماءٍ عريضٍ عميق * فاستل من قراب ايديهم غضب يده الدلق * ورمى بنفسه ورخ في ذلك الماء على غفلة فغرق *

* فصل *

ثم ان شاه رخ زار اباه * واقام شرائط عزاه * وجدد ترتيب القراء على تربته والقومه * واستأنف معالم المرتبين في ذلك والخدمه * ونقل الى خزائنه جل ما كان على حفرته * من اقمشته وامتعته واسلحته * وعفر بها درا الخزائن * وحفر تخوم تلك الكمائن * وشرع في تمهيد القواعد * وترتيب مراتب الاقارب والاباعد *

* فصل *

وقبضوا على شاد ملك واهانوها * وشانوها بتلك الالمن صانوها * وعصبوها بالعذاب عصب السلمه * وهزوها لاستخراج الاموال منها هزات اعوان الظلمه * ثم بعد ذلك الابتذال * واستخلاصهم منها انواع الاموال * حزموها وشدوا منها الوثاق * وشهروها منادين عليها في الاسواق * واستقرت على شاه رخ الامور * وارتفعت صدور وانقصمت ظهور * وعلا انسان * وانحط انسان * فسبحان من هو كل يوم في شان * عز شانه وتعالى سلطانه يغير الدول ويقلب الاحوال * ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال *

ذكر ما فصل خداي داد * من اتمام النكث والفساد * وكيف آل
ذلك النكال * الى ان جرى عليه وبال *

واما خدايداد فحين حل في مكانه * وخلا بتخليل سلطانه في انذكانه *
جدد معه عهوده ومواثقه * انه امنه مكره وبوائقه * وذكران
ذلك النكال والنكاد * انما فعله معه ارغون شاه والله داد * مع
احسانه اليهم * واسبال ذيل انعامه عليهم * وانهم كافوه مكافاة
النصاح * وقابلوا بافسادهم منه الاصلاح * ثم قال له اذكر صنيعك
معي اولا وظاهرا * وانظر ما افعله معك باطنا وآخرا * وسافعل معك
ما يتحقق به خلوص الطوية * وصدق النية * بحيث يذهب الكدر
ويبقى الصفا * وينمحي الجفا ويثبت الوفا ونعيش باقي عمرنا متصافيين *
وفي رياض الهنا متوافقين متكافيين * فنمحو بما نكتب في الواح
صدورنا من المحبة والشفقة * مساطير الاساطير المكنية في باب
الحمامة المطوقة * وسأردك ان شاء الله تعالى الى دار عزتك * واجتهد
في تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وهزتك * ثم خطب باسمه في انذكان *
وامر بذلك في اطراف تركستان *

تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات * وتأكيد العهود والمودات * الى ان ادركهما هادم اللذات *

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان * وذهب خدايداد يستمد المغول لخليل سلطان * وترك خليل سلطان باندكان * وكان المغول * لما بلغهم موت تيمور المخذول * سلبوا قرارهم * واخلوا ديارهم * ولجأوا الى الحصون * وتشبثوا باذيال كل كهف مصون * كما ذكر اولاً فلما تحققوا موته * واستثبتوا فوته * تنادوا بالأمن والأمان * وجاوروا خدايداد في ذلك المكان * وارسلوا يهنئون خليل سلطان * وبعثوا اليه هدايا سنية * وتحفاً فاخرة ملوكية * من جملتها نرسي من ذهب * افرغه صائغه في قالب العجب * فاكرم خليل سلطان رسلهم * واعظم نزلهم * واجمل معهم جواراً واجرا * وجازاهم بكل حسنة عشرا * قلت *

* الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما اوعيت من زاد *

ولا زالت خلع المودة بينهم تنتسج * ووجوه المكارمة والمحاشمة يوماً فيوماً تبتهج * حتى عرى له ما عرى * وجرى عليه من بحر القضاء والقدر

ما جرى * فساعة وصول خليل اد اليهم قبضوا عليه * وارسلوا
ليل سلطان ينهون صورة الحال اليه * وقالوا تعلم ما بيننا وبينك
من خالص الوداد * وانا عالمون بما وقع بينك وبين خليل اد * وانه
كان السبب في تبدد دك * وخروج ملكك من يدك * وقد جاء
يستميل نالك * فارسم لنا ما بدالك * فان رسمت قتلناه * وان اشرت
امددناه * وفي الجملة مهما امرتنا به امتثلناه * فارسل يقول قد علمتم
كيف آذاني * ومزق عرضي واخزاني * واخرجني من ملكي وسلطاني *
وغربني عن اهلي واخواني * واذلني اذ راسني بمفارقة حبي واوطاني *
والآن فقد جعلني ترسا * يتقي بي الحوادث والباسا * وقد عرفتم كيف يريد
ان يتصرف * وعلى كل حال فالعارف لا يعرف * ومع هذا مهما رأيتم
في ذلك من المصلحة فافعلوه * ففي الحال قطعوا رأسه واليه ارسلوه *

* ذكر عود خليل سلطان * من ممالك اندكان *
وقصدة عمه شاه رخ * ولعبه بالنفس مع ذلك الرخ *

واستمر خليل سلطان * في ذلك المكان واطراف تركستان * يرسل
بالفارسي الاشعار الغراقيه * وينشئ في حبيبته ما ينسي القصائد

الزيدونيه * وبثّ كرمافيه من الغربه * وماجرى عليه من الفراق والكربه * فيصدع بذلك القلوب ويفتت الاكباد * الى ان ملّ المقام في تلك البلاد * فنفض منها ذيله * وضم رجله وخيله * وقصد عمه * وركب الطريق وامه * فاكرم عمه مثواه * ولم يذكر له اخبار ما انشاه * وضم اليه حبيبته * وزوّجه الى خليل خليلته * وقرر قاعدة ذلك الاقليم وشيدة * وولى فيه اولوغ بيك ولده * وقفل الى خراسان * مستصحبا معه خليل سلطان * ثم ولاه ممالك الري * فلم يقم بها الا ادنى شي * وانتقل الى رحمة الله * وكان عمه دس له شيأ فسقاه * فدفن بمدينة الري * وطوي نشر ذلك الحاتم اي طي * وحين وقعت شاد ملك في مثل الخطب الجليل * واشتعلت احشاؤها بنار الخليل * قالت لا ذقت فقدك * ولا عشت بعدك * وانت ورنت * وانشدت وغنت *

* شعر *

* كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر *

* من عاش بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر *

ثم اخذت خنجرا فوضعته في لبتها * واتكأت عليه بقوتها * فنفذ من قفاها * واحرقت بنارها كل من رآها * فلفنا في قبر واحد * وامضى لسان حالهما ينشد *

* شعر *

* أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب *

وصفا لشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان * وخوارزم وجرجان * وعراق العجم ومازندران * وقندهار والهند وكرمان * وجميع بلاد العجم الى حدود اذربيجان الى يومنا هذا اعني سنة ثمانمائة واربعين * ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه ولطفه والحمد لله رب العالمين *

* فصـــــل *

* في صفات تيمور البديعه * وما جبل عليه من سجية وطبيعه *

وكان تيمور طويل النجاد * رفيع العماد * ذا قامة شاهقة * كأنه من بقايا العمالقة * عظيم الجبهة والراس * شديد القوة والباس * عجيب الكون * ابيض اللون * مشربا بحمرة * غير مشوب بسمرة * فخيم الاطراف * عريض الاكتاف * غليظ الاصابع * سميك

الأكارع مستكمل البنية * مسترسل اللحية * اشل اعرج اليمناوين *
عيناه كشمعتين غير زهراوين * جهير الصوت * لا يهاب الموت *
قد ناهز الثمانين * وهو مع ذلك بجاش مكين * وبدن مستمسك متين *
صلبا شهما * كأنه صخرة صما * لا يحب المزاح والكذب * ولا يستميله
اللهو واللعب * يعجبه الصدق ولو كان فيه ما يسوءه * لا ياسى على ما فات
ولا يفرح بما يجيئه * وكان نقش خاتمه راستي رستي * يعني صدقت
نجوت * وميسم دوابه وسرة سكته على الدرهم والدينار ثلاث حلق
هكذا ٥٥ لا يجري غالبا في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم *
ولا من سبي ونهب وغارة وهتك حرم * مقداما شجاعا * مهابا مطاعا *
يحب الشجعان والابطال * ويستفتح بهم اقفال الاهوال * ويفترس بهم
اسود الرجال * ويستهدم بهم وبصدماتهم قلل الجبال * ذا افكار
مصيبة * وفراسات عجيبة * وسعد فائق * وجد موافق * وعزم
بالثبات ناطق * ولدى الخطوب صادق *

* قلت *

* فكم قد حت آراؤه زند فتنة * حمته لدى الباسا وأردت قبائلا *

نحجا جادرا كاللمحة وللمزة * مرتاضا مستيقظا لرمزة * لا يخفى عليه تلبيس ملبس * ولا يتمشى عليه تدليس مدلس * يفرق بين الحق والمبطل بفراسته * ويدرك الناصح والغاش بدرية درايته * يكاد يهدي بأفكاره النجم الثاقب * ويستتبع بآراء فراسته سهم كل كوكب صائب *

* قلت *

* يشاهد أعقاب الامور بعقله * كما شاهد المحسوس بالعين ناظر *

اذا امر بأمر او اشار بشيء لا يرد عنه * ولا يثني عنان عزيمته عن شيء منه * لئلا ينسب الى قلة الثبات * وركاكة الرأي والحركات *

* قلت *

* اذا قال قولا او اشار اشارة * ترى امره في ذاك كالنص قاطعا *

وكان يقال له في القاهرة صاحب قران الاقاليم السبعة وقهرمان الماء والطين * وقاهر الملوك والسلاطين * يحكى ان قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن ابن خلدون المالكي قاضي القضاة بمصر كان صاحب التاريخ العجيب * والسالك فيه الاسلوب الغريب * على ما ذكر لي

من رآه * واطلع على لفظه ومعناه * من الأذكياء المهرة * والأدباء البررة * مع انّي لم اره * وكان قد قدم الشام * مع عساكر الاسلام * وحين ولّت العساكر الادبار * انشبته في مخاليب تيمور الاقدار * قال له في بعض مجالسه * وقد انس بتوانسه * بالله يا مولانا الامير ناولني يدك التي هي مفتاح فتوح الدنيا حتى اتشرف بتقبيلها * وقال له ايضاً لما اراد ان يستصحبه معه وقد سرد عليه شيأ من تواريخ ملوك الغرب وكان تيمور مغرماً باقراء التواريخ واستماعها فاعجبه ذلك غاية الاعجاب * ورغب منه في الاستصحاب * يا مولانا الامير مصر خرجت عن ان يتولى فيها نائب غيرك * او ان يجري فيها غير امرك * ولي فيك عوض عن طريفي وتلادي * واهلي واولادي * ووطني وبلادي * واصحابي واخداني * واقاربي وخلاني * وملوك الناس * وعن كل ظهر وراس * بل وعن كل الورى * اذ كل الصيد في جوف الفرا * وما اتأسف * ولا اتلهف * الّا على ما مضى من عمري * وانقضى من عصري * كيف تقضى ذلك بي غير خدمتك * ولم تكتحل عيني بنور طلعتك * ولكن القضاء جاز * وسأسنبدل الحقيقة

بالمجاز * وما أولاني * أن أكررها على لساني *

* قوله *

* جزاك الله عن ذا السعي خيرا * ولكن جئت في الزمن الاخير *

فلأستأنفن في ذراك عمرا ثانيا * ولأعدن الزمان بأعادي عن عدوتك العاديا * ولأتداركن ما مضى من عمري بصرف ما بقي في خدمتك والتشبث بغرزك * ولأحسبن ذلك أعز أوقاتي * وأعلى مقاماتي * وأشرف حالاتي * ولكن ما يقصم ظهري * الا كتبي التي أفنيت فيها عمري * وصرفت جواهر علومي في تصنيفها * وظمئت نهاري وسهرت ليلي في ترصيفها * وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها * وسير ملوك شرقها وغربها * ولئن ظفرت بها لأجعلنك واسطة عقدهم * وخلاصة نقدهم * ولأطرزن بسيرك خلع دهرهم * ولأصيرن دولتك هلال جبين عصرهم * إذ أنت ابن القائم * والبازغ بدر نصرة في شرق الغرب من دياجير الملاحم * والمكاشف به على لسان كل ولي * والمشار اليه في الزوائج والجفر المنسوب الى امير المؤمنين علي * وصاحب القران * المنتظر في آخر الزمان * وهي في القاهرة فلو حصلت عليها

مافارقت ركابك * ولا هجرت اعتابك * والحمد لله الذي رزقني
من يعرف قيمتي * ويحرز حفظ مدتي ولا يضيع حرمتي مع كلام نصيح صادع *
بديع بليغ خالب خادع * فاهتزت فرحا اعطافه * وتراقصت مرحا
اطرافه * واعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب التواريخ والسير *
واستهواه حبه معرفة احوال الملوك الذي ذكر * حتى شده عما خلبه
بسحر هذا البيان البديع وسلبه * ثم انه استوصفه بلاد الغرب
ومما لكها * واستوضحه اوضاعها ومسالكها * وقراها ودروبها * وقبائلها
وشعوبها * كما هو داب ه وشانه * والقصد في ذلك امتحانه * لانه
لم يكن محتاجا ذلك * اذ في حزائن تصوره صور جميع الممالك *
وانما اراد بذلك معرفة مقدار علمه * وكيفية ابداء نصحه له وكتمه *
فاملى كل ذلك من طرف لسانه * كانه يشاهده وهو جالس في مكانه *
وشرح تلك الامور * كما في خاطر تيمور * ثم قال له كيف تذكرني وبخت
نصر مع الملوك الاكابر * ولم ننل في النسب تلك المفاخر * وما نحن
من يعاسب النحل * فاني تعينا مع الفحل * فقال افعالكما البديعة
اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعة * فاعجبه هذا الكلام * وقال لجماعته

اقتل ابيه فانه امام * ثم اخذ تيمور يخبر القاضي بما وقع في بلاده * وما جرى بين ملوك الغرب واجناده * ولا زال يذكر له اخبار الناس حتى سرد عليه اخبار متعلقيه واولاده * فتحير القاضي من املائه * وقال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه * ثم ان تيمور عاهد القاضي ان يتوجه الى القاهرة * ويأخذ اهله واولاده وكتبه الزاهرة * ولا يلبث اكثر من مسافة الطريق * ويرجع اليه بأمل فسيح وعهد بنيل الاماني وثيق * فتجهز الى صفد * واستراح من ذلك النكد *

* فصـــــل *

وكان تيمور محبا للعلماء * مقربا للسادات والشرفاء * يعز العلماء والفضلاء اعزازا تاما * ويقدمهم على كل احد تقديما عاما * وينزل كلا منهم منزلته * ويعرف له اكرامه وحرمته * وينبسط اليهم انبساطا ممزوجا بهيبة * ويبحث معهم بحثا مندرجا فيه الانصاف والحشمة * لطفه مندرج في قهره * وعنفه مندمج في بره *

* شعر *

* متفرق الطعمين مجتمع القوى * فكأنه السراء والضراء *

* وقيل *

* مرّ المذاق على أعدائه بشع * حلو الفكاهة للأصحاب كالعسل *

وكان مغرماً بأرباب الصناعات والحرف * أي صناعة كانت اذا
كان لها خطر وشرف * يبغض بطبعه المضحكين والشعراء * ويقرب
المنجمين والاطباء * ويأخذ بقولهم * ويصغي الى كلامهم * ملازماً
للعب بالشطرنج لكونه منقحا للفكر * وكانت علّت همته عن الشطرنج
الصغير * فكان يلاعب بالشطرنج الكبير * ورقعته عشرة في احدى
عشر * وفيه من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان
ووزير * واشياء غير هذه وسيأتي وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة
الى الكبير كلا شيء * مواظباً لاقراء التواريخ وقصص الانبياء عليهم
الصلوة والسلام * وسير الملوك واخبار من مضى من الانام * سفراً
وحضراً كل ذلك بالفارسي * ومما تكررت قراءتها عليه * وطنت
نغماتها على اذنيه * قبض زمام ذلك وملكه * حتى صارت له ملكة *
بحيث ان قارئ ذلك اذا اخبط * ردّه الى الصواب من الغلط *
وذلك لان التكرار * يفقه الحمار * وكان امياً لا يقرأ شيئاً ولا يكتبه

ولا يعرف شيأً من العربية * ويعرف من اللغات الفارسية والتركية
والمغولية * حسب لا غير * وكان معتقداً للقواعد الجنكيزخانية *
وهي كفروع الفقه من الملة الاسلامية * ومشياً لها على الطريقة
المحمدية * وكذلك كل الجغتاى واهل الدشت والخطا وتركستان
سيما اولئك الطغام * كلهم يمشون قواعد الملعون جنكيزخان على قواعد
الاسلام * ومن هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد
البزازي رحمه الله * ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد
البخاري ابقاه الله وغيرهما من العلماء الاعلام وائمة الاسلام *
بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانية * على الشريعة
الاسلامية * ومن جهات أخر ايضا * وقيل ان شاه رخ ابطل
التورة والقواعد الجنكيزخانية * وامر ان تجري سياساتهم على جداول
الشريعة الاسلامية * وما اظن ذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار
كالملة الصريحة * والاعتقادات الصحيحة * ولو اتفق انه تجمع
مرازبه ومواليه في دسكرة * ويغلق ابوابها ويطلع عليهم من منظرة *
ويفتح عليهم شيأً من هذا الباب * لحاصوا حيصة الحمر الى الابواب *

* فصل *

وكان فريد الطور بعيد الغور * لا يدرك لبحر تفكيره قعر * ولا يسلك في طود تدبيره سهل ولا وعر * قد أقعد في ممالكه نواميسه * وأقام في سائر الممالك جواسيسه * وهم ما بين أمير كاطلامبش أحد أعوانه * وفقيه نقير كمسعود الكحجاني عين أصحاب ديوانه * وكان ذلك في لقاضي تاج المعزية * وهذا ابن مشق أحد الصوفية بالشميصاتية * وما بين متسبب وتاجر * ومصارع شرير وبهلوان فاجر * ومكدٍ وصنائعي * ومنجم وطبائعي * وقلندري قوال * وحيدري جوال * وبحري سباح * وبري سياح * وسقاء ظريف * وحذاء لطيف * وسعلاة دلاله * وشيخة محتالة كل لة المحتاله * ومن مرت به التجارب * وضرب آكباد الابل مشارق ومغارب * وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال * والف بلطيف ختله وده ما بين الماء والنار والهدى والضلال * وجاوز في الحيل والكيد ساسان وأبا زيد * والزم في حكمته وجدله ابن سينا * واسكت في منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا * فجمع بين المتنافيين * والف بين المتعاديين

* قلت *

* فاق من قاد للعدى كل جيش * بكلام ثنى البعيد قريبا *

* مزج النقل في القياد بعقل * فهدى عاشقا وأهدى حبيبا *

فكانوا ينهون اليه حوادث الأطراف وأخبارهم * ويكتبون اليه مآثرهم وآثارهم * ويذكرون لديه أوزانهم وأسعارهم * ويصفون منازلهم وأمصارهم * ويصورون سهولهم وأوعارهم * ويخطون بيوتهم وديارهم * ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا * وما في ذلك ضيقا ورحبا * وجهاته وأقطاره شرقا وغربا * وأسامي الأمصار والقرى * وألقاب المنازل والذرى * وأهل كل مكان ورؤساءه * وأمراءه وكبراءه * وفضلاءه وشرفاءه * وأغنياءه وفقراءه * واسم كل ولقبه * وشهرته ونسبه * وحرفته وسببه * فكان يطالع بفكره ذلك * ويتصرف بتفكيره في سائر الممالك * وكان اذا حل ببلد * واجتمع به من أعيانها أحد * شرع يسأله عن فلان وفلان * وما جرى لفلان في الوقت الفلاني مما زانه من أمر وشان والى ما آلت تلك الواقعة * وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعة * فيبهت ذلك الرجل ناظرا * ويظن ان تيمور كان في تلك

الحالة حاضرا * وكان كثيرا ما يطرح عليهم من اغاليط المسائل *
ويحكي صور مباحثات جرت لهم ورسائل * فيتصورون ان له في ذلك
العلم قدمه * او كان منه للعلماء خدمه * ولذلك تصور بعض الناس *
ان ذلك الوسواس الخناس * وكان مقيما بالملازمة * وبعض
بالغ حتى قال انه رآه في فقراء الشيمصانيه

* فصل *

ومما يحكى عن فراسته انه لما نزل عن سيواس * وقد حصنها منه اولو
النجدة والباس * قال لعسكره اعملوا الحيلة * انا فاتحوها في ثماني
عشرة ليله * فكان كذلك فلا شك ان ذلك الاعرج * كان ملهما
او مستدرج * وكان ذا مغالطات * وحركات لها مغاورات * اذا
دهمه امر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه * وربما يظهر الرغبة
عن شيء وهو مريد حصوله ومشتهيه * وقد مر نظائر هذا كله * فمن
مغالطاته انه اذا كان له في مكان روم * او اراد ان ينزل بساحة
قوم * قصد الاخفاء والتعميه * وطلب الايهام والتوريه * وبحر
عسكره لا يخلو من تمساح متجسس * او سرطان متدسس * ولولم يكن

لاحد في عسكره عين * فان بزوغ العين لا يخفى على ذي عين *
فانه يجمع اركان دولته * واعيان مملكته * وذوي آرائه ومشورته *
بحيث انه لا يتخلف منهم احد * ولا يجزي مولود عن والد ولا والد
عن ولد * ثم يظهر لهم خفية اموره * ويطلب منهم المشورة في جهة
مسيره * ويطلق لهم عنان الكلام * ويقول لا تثريب على من خاض
في ذلك من خاص الانام * ناظر في اعقاب الامور ما بين يوم وعام *
وليتكلم كل ولا حرج * فسواء هوى الى حضيض الخطا او الى اوج الصواب
عرج * فان اخطأ فلا نقصان * وان اصاب فله اجران * فيبذل
كل جهده * ويعاني في ذلك وكده وكده * ويبدي في ذلك ما ادى
اليه اجتهاده * ويتصور ان ذلك يوافقه مراده * فتتفق الآراء *
على ناحية من الانحاء * ثم يفض ذلك المجلس * ويجتمع باخصائه
ويجلس * كسليمان شاه وقماري وسيف الدين * والله داد وشاه
ملك وشيخ نور الدين * ويمحضون القضية محضا غير ذلك * ويبحثون
فيها بحثا دقيق المسالك * فيقع آخر الامر الاتفاق * على التوجه
الى بعض الآفاق * ثم يدعو رائدهم * وسائقهم في ذلك وقائدهم

ويأمرهم بالتوجه اليه * فينصلحون على ما عول في ذلك عليه

وحين يقوض الظلام خيامه * وينشر رائد الصبح اعلامه * ويضرب

الكوس للرحيل * ويأخذ الناس في التحميل * ويتوجه الناس الى الجهة

التي امرهم بالمسير اليها * ووقع الاتفاق عليها * دعاها شيئه بعد

ما حملوا واخذوا في المسرى * وامرهم ان يمتازوا ويرحلوا الى جهة

اخرى * لم يكن ابداها لاحد من الجماعة * الا في تلك الساعة *

ولولا الضرورة لما افشاها * ولا اعاد سريرتها لاحد ولا ابداها *

فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا * ويأخذ العساكر شرقا ويأخذ غربا *

فتضطرب تلك الاطواد وتختبط * وتنفرط عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط *

وتنحل قوائم مواشيها عن المسير وترتبط * ويموج بعض الناس في بعض *

وينعكسون سماء في ارض وطولا في عرض * ويتوله كل احد ويتدله *

ولا يدري الى اين يتوجه * فان كان في عسكره بيته * او من يراقب

ذهابه ومجيئه * فبمجرد ما رأى تحميلهم * وشاهد تحويلهم ورحيلهم *

طار الى مخدومه * واظهر له ما في معلومه * من توجه العساكر

الى الجهة التي اتفقوا عليها وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها *

فيا لخذل وحذ يرة اهل ذلك الجانب * وتطمئن سائر الجوانب من النوائب *
فلم يشعروا الا وقد دمر على الجانب الذى قصده وحطمه * ونبذه من نار
العذاب الموقدة في السعير والحطمه * وكم كان له من دهاء * ومكر خفي
وذكاء * ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام * وقد قابلته عساكر
الاسلام * اشاع ان سوار اساورته تخلخل * وتأخر قليلا الى وراء
وتخلخل * واذاع انه اعوز خيله ورجله الزاد * وانه صائب صوب
بغداد * ثم اسفرت القضيه * عن ان انهزمت العساكر المصريه *
وكان قصده بذلك تثبيت جاشهم * واستقرار رؤسائهم واوباشهم *
وان يكثر كل منهم على ما زم * فيربض في مكانه ولا ينهزم * فيحبط
بالكل كيده * ويهيئوا لمجوع صيده * ومما يحكى من شدة عزمه *
وثباته على ما يقصده وحزمه * وحلول نقمته بمن يعارضه * وبعاكسه
فيما يرسم وينا قضه * انه لما توجه بالجنود * الى بلاد الهنود * بلغ الى قلعة
شاهقه * اقرا طالى رارى باذان مراميها عالقه * ورجوم النجوم
الخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه * كأن بهرام
في مهواة احد سواطيرها * وكيوان في مهواة خادم نواطيرها *

والشمس في استوائها غرة جبينها * وقطرات السحاب في الانسكاب
تترشح من قعر معينها * وشقة الشفق الحمراء على آذان مراميها
وانوف ابدانها سرادق * وكربات نجوم القبة الخضراء لعيون
مكاحلها وافواه مدافعها طاباات وبنادق * فيها من الهنود طائفة *
ثابتة الجنان غير خائفة * جهزت اهلها وما تخاف عليه الى الاماكن
المعجزة * وتثبتت هي في تلك القلعة حافظة لها متحرزة * مع انها شرذمة
قليلة * وطائفة ذليلة * لا خير عندهم ولا مير * ولا فائدة سوى
الضرر والضير * ولا للقتال عليها سبيل * ولا حواليها لاحد مبيت
ولا مقيل * بل هي مطلة على المقاتلة * مستمسكة من المقاتلة * فابى ان
يجاوزها * دون ان ينابذها بالجدال ويناجزها * واللبيب العاقل *
ما يترك لخصمه وراءه معاقل * فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد * ونصب
كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد * فكان كل يوم
يقتل من عسكره ما لا يحصى * والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا *
وهو يابى الرحيل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ففي بعض ايام
المحاصرة مطروا * وبواسطة المطر انحصروا * وصار ريحتهم على القتال *

ورُكب لينظروا ماذا يصنعون في تلك الحال * فلم يرتض افعالهم * لما عكست اوجالهم احوالهم * فدعا منهم رؤس الامراء * وزعماء العساكر والكبراء * واخذ يمزق اديم عصمتهم بشفار شتمه * ويشقق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه * ونفخ الشيطان في خيشومه * فالهب فيهم نيران غضبه وشومه * وقال يا لئام * واكلة الحرام * تتقلبون في نعمائي * وتتوانون عن اعدائي * جعل الله نعمتي عليكم وبالا وانبسكم بكفرانها خيبة ونكالا * يا فاجري الذمم * وكافري النعم وساقطي الهمم * ومستوجبي النقم * الم تطؤا اعناق الملوك باقدام باقدامي * وتطيروا الى آفاق الدنيا باجنحة احساني واكرامي * وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتي * وتمرحوا في متنزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتي * بي ملكتم مشارق الارض ومغاربها * واذ بتم جامدها واجمدتم ذائبها *

* شعر *

* الم اك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما الجأتم من ورائيا *

* وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا *

ولا زال يهمهم ويغمغم * ويهذي ويبرطم * وهم مطرقون لا يحيرون
جوابا * ولا يملكون منه خطابا * ثم ازداد حنقا * وكاد ان يموت
خنقا * فاخترط السيف بيده اليسرى * وهم به على قيم اولئك الاسرى *
وهم ان يجعل رقابهم قرابه * ويسقي من دمائهم فرنده وذبابه * وهم
على تلك الحال * في الخزي والاذلال * باذلوا نفوسهم * ناكسوا
رؤسهم * ثم تراجع وتماسك * وملك نفسه قليلا وتمالك * فاغمد عن
تشريقهم حسامه * ولم يلق لاموره قبلة ولا دبرة تعلف غربه وشامه *
ثم نزل عن مركبه * واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به * وكان عنده
شخص يدعى محمد قاوجين * وهو لديه ذو مكان مكين ومقام امين *
مقدم على كل الوزراء * ومبجل دون سائر الامراء * مسموع القول
مقبول الرأي * ميمون النقيبة * محبوب الشكل * فتشفعوا اليه *
وعولوا في حل هذا الاشكال عليه * وقالوا ساعدنا ولو بلفظه *
وراقبنا ولو بلحظه * واعمل معنا * بهذا المعنى *

* شعر *

* ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال *

* وبما قيل *

وأمون مايعطى . . . منك يقه * من الهين الميسور ان يتكلما *

وبما قيل

* وإن امرأ قد ضن عني بمنطق * يسد به من خلتي لضنين *

فأجابهم والتزم * أن يرد ه عما تأزم به وازم * وراقب محال المقال * وراعى فرص المجال * واحذت افكارتيمور * تفور في امور الا تم وتغور * وجعل يستضوي اضواءهم * ويستوري آراءهم * ولا يسمع كلا منهم الا القبول * لما يستصوبه رأيه ويقول * ففي بعض الاحايين اتفق ان فال محمد داوجين * وقد زل به القضاء * واحاطت به نوازل البلاء * اطال الله بقاء مولانا الأمير * وفتح بمفاتيح آرائه ورايا ته حصن كل امر عسير * مذ اننا فتحنا هذه القلعة * بعد ان اصيب ما جاذب من اهل النجدة والمنعة * هل يفي هذا بذا * ويوازن هذا النفع بهذا الأذى * فما احتفل بخطابه * ولا اشتغل بجوابه * بل استدعى شخصا من المرقد اريه * فظا قبيح المنظر ذا حالة زريه * يدعى هوا ملك * ذا عرق سهك * ووجه بالسواد سلك * ازنخ من في المطبخ *

واسنخ من في المسلخ * لعاب الكلب طهور عند عرقه * وعصارة القبر
حليب بالنسبة الى مرقه * فحين ما حضر لديه * ووقع نظره عليه *
امر بثياب محمد قاوجين فنزعت * وبخلقان هوا ملك فخلعت * ثم
البس كلاثياب صاحبه * وشد وسطه بحباصته * ودعا داوا وبن محمد
ومباشريه * وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه * ثم نظر ما له من ناطق
وصامت * وذائب وجامد * وملك وعقار * واهل وديار *
وحشم وخدم * من عرب وعجم * واوقاف واقطاع * وبساتين
وضياع * ومماليك واتباع * وخيل وجمال * واحمال واثقال *
حتى زوجاته وسراريه * وعبيده وجواريه * فانعم بذلك على الوسخ *
وامسى نهار وجود محمد قاوجين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ * ثم قال
تيمور اقسم بالله وآياته * وكلماته وصفاته * وارضه وسمواته *
وكل نبي ومعجزاته * وولي وكراماته * وبراس نفسه وذاته * لئن
آكل محمد قاوجين احد او شاربه او ماشاه * او صادقه او صافاه *
او اوى اليه او آواه * او راجعني في امره * او شفع عندي فيه او اشغل
بعذره * لاجعلنه مثله * ولا صيرنه مثله * ثم طرده واخرجه *

وقد سلبه نعمته واحرجه * فصار مسلوب النعم * قد حلت به نوائب النقم * وصحبوه بالحلق * ورأى نعمته على أقل الخلق * واتصل غيره بالحلق وقطع منه الحلق * فقلقت حبة قلبه أي قلق * واستمر على ذلك في عيش مر وعمر حالك * وحاشا أن تشبه قصته قصة كعب بن مالك * فكان يستحلي مرارة الموت * ويستبطئ إشارة الفوت * وكل لحظة من مزاد الحيف * أشد عليه من ألف ضربة بالسيف *

فلما مات تيمور أحياه * ورد عليه خليل سلطان

ما سلبه جده اياه *

* فصل *

وكان من أبهته وعظمته * وشدة شكيمته وعتوه وحرمته * أن ملوك الأطراف * وسلاطين الأكناف * مع استقلالهم بالخطبة * واستبدادهم بالسكة * وانفرادهم بالزعامة والرياسة * وقيامهم بأمور الايالة والسياسة * كالشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان * وخواجا علي ابن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان * واسفنديار الرومي وابن قرمان * ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان * وحاكم منشا وطهرتن أمير رزنجان *

وسلاطين فارس وأذربيجان * وملوك الدشت والخطا وتركستان * ومرازبة بلخشان * ومراجيح مازندران * وعلى الجملة فالمطيعون من ملوك إيران وتوران * كانوا اذا قدموا عليه * وتقدموا بالهدايا والتقادم اليه * يجلسون على أعتاب العبودية والخدمة * نحوا من مد البصر من سرادقاته قائمين بشرائط الأدب والحرمة * فاذا أراد منهم واحدا * أرسل اليه من الفراشين او نحوهم قاصدا * فيهيب ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد * وينادي ذلك الواحد باسمه يا فلان من مكان بعيد * فينهض في الحال من مجثاه * مجيبا بلبيك لبيك دعواه * ريعد ونحوه متعثرا في أذياله * متلقيا ما برزت به مراسيمه بقبوله واقباله * مطرقا راس التذلل والخضوع * مصغيا بآذان الخنوع والخشوع * مفتخرا على أضرابه * لكونه أهله ودعاه واعتنى به * وقيل كان أناس من جماعته يلعبون بالنرد فافترقوا فرقتين واختلفوا في نقش الكعبتين * فقال احد اللاعبين وراس الأمير تيمور كذا وكذا نقش الكعبتين * فرفع يده خصمه ولطمه * وسبه ولعنه وشتمه * كأنه ذبح يحيى او زكريا بنشر * او كفر بحملة

أرقم موسى على أبى البشر * وقال يا ابن الفاعلة * والغاسل ابن الغاسلة *
بلغ من انتهاكك المحرم * أن تذكر الأمير تيمور بفم * وأنى لك
أن تجعل نعلك موطئ علم اسمه * فضلا أن تحلف برأسه * إنه لأجل
أن يتفوه مثلي ومثلك باسمه * أو يتلفظ بشيء من حد وده ورسمه *
وإنه لأعظم من كيخسرو وكيكاوس وكيقباد * الذين ملكوا المشارق
والمغارب وأفخم من بخت نصر وشداد * وقيل إنه قصد في بعض
الأوقات الاصطياد * وأرسل يمنة ويسرة على العادة طوائف الجيش
والأجناد * ورسم أن يخرج مشاة تلك الرقاع * ورجالة هاتيك القرى
والبقاع * فيمتدوا في الوهد واليفاع * وحين تلتئم على الوحوش حلقة
الكيد * ويصح أن يتنازع فعلا رمى وأصمى كلا من عمرو وزيد *
لا يشير أحد بضربة ولا طعنة ولا رمية إلى صيد * بيد أنهم يردون
أوابد تلك البيداء إلى بهرة ذلك البيد * فامتثل كل ما به أمر *
وحين صاروا كالبنيان المرصوص صف تلك الأحزاب والزمر * وأحاطت
صافات تلك الكواسر بالوحوش إحاطة النجوم بالقمر * ماجت بحار
الوحوش في ذلك البر * ولم تجد لها من دون تلك السيول الهامرة

من مخرج ولا معبر * فدارت ومارت * وخارت وحارت * وثارت
وبارت * واستجارت بعد ما جارت * واستكانت بعد ما زأرت *
وانطوت ارضها التي طال ما عليها انتشرت * وطرزت خلع اعلامها باعلام
واذا الوحوش حشرت * فبينما هي على تلك الحال * في اشد ما يكون
من الاهوال * امر بان تضرب الطبول من كل الجهات * وينفخ في صور
المزامير والبوقات * فدق الكوس وزعق النفير * وامتلأت الدنيا
من الشهيق والزفير * ورجت الارض رجا * وماجت الاقطار هرجا
ومرجا * وحين سمعت السباع صوت الطبول * ورأت الوحوش هذا
الامر المهول * سقطت قواها * وتقطعت كلاها * وجثت وما انبعثت
ثم تقاربت وتلاصقت * وتقارنت وتضامت * وتصورت ان القيامة
قد قامت * فاخذ بعضها بعنق بعض ونامت * فعانق الثور
منها اللبوة * وضاجع الاسد فيها الظبية * واختفى السرحان *
بين الغزلان * واستجار الثعلب * ببنات الارنب * ولاذ بالارو
النعام والارنب بالعقاب * وعاذ الضب بالنون واليربوع بالغراب *
فعند ذلك امر الاطفال من اولاده * واولاد الامراء واحفاده *

أن يرموا ويصموا ويغنوا * مهما أرادوا ولا يظنوا * وجعل ينظر إليهم * ويتفرج عليهم * ويزمزه لأفعالهم * ويقهقه على أحوالهم * ويجرّئهم على الاقتحام والنضال * ويشجعهم بذلك على صيد الأبطال * وجعلت حواشي الجيش تنجز على ما أصموا * وتجهز على ما أنموا * وصار ذلك المفصل * يترنم وينشد *

* شعر *

* صيد الملوك أرانب وثعالب * فإذا ركبت فصيدي الأبطال *

* فصـــــل *

وكان يحمل إليه البلخش من بلخشان * والفيروزج من نيسابور وكازرون ومعادن خراسان * والياقوت من الهند * والماس منها ومن السند * واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا * واليشم والمسك وغيره من الخطا * ومن سائر الأقطار * خالص الفضة ومصفى النضار *

* فصـــــل *

وأنشأ في سمرقند بساتين عديدة * وقصوراً شوامخ مشيدة * لها ترتيب غريب * ووضع أنيق عجيب * أحكم أساسها * وطعم بالفخر

الفواكه غراسها * سمى احدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا *
والآخر جنة الفردوس والآخر بستان الشمال والآخر الجنة العليا *
ثم انه هدم مصرا * وبنى في كل بستان منها قصرا * وصور في بعض هذه
القصور مجالسه * واشكال صورته تارة ضاحكة واخرى عابسه *
وهيآت مواقعاته * وصور محاضراته * ومجالس صحبته مع الملوك
والامراء * والسادات والعلماء والكبراء * ومثول السلاطين بين
يديه * ورفودها بالخدمات من سائر الاقطار اليه * وحلق مصائده *
وكمائن مكائده * ووقائع الهند والدشت والعجم * وصورة انتصاره وكيف
انكسر عدوه وانهزم * وصورة اولاده واحفاده * وامرائه واجناده *
ومجالس عشرته * وكاسات خمرته * وسقاة كاسه * ومطربي ايناسه *
وتغزلات مقاماته * ومقامات تغزلاته * وحظايا حضرته * وخواتين
عصمته * الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك *
مدة عمره المتقارب المتدارك * كل ذلك كما وقع ووجد * ولم ينقص
من ذلك شيأ ولم يزد * وقصد بذلك الافادة * لمن كان في عالم الغيبة
عن احواله بالشهادة * فكان اذا توجه الى مكان * وحلت سمرقند

من الظلمة واعوان الشيطان * تخلو تلك البساتين * ويتوجه اليها اهل المدينة الاغنياء والمساكين * فلا يوجد اعجب متنزهاً منها ولا احسن * ولا اوفق صحوا تفقا ولا آمن * واما ثمارها اللطيفة فانها مسبلة * بحيث انه لا يباع منها قنطار بخردلة * وانشأ في ضواحي سمرقند واطرافها قصبات * سماهن باسماء كبار البلدان والامهات * كمصر ودمشق وبغداد * وسلطانية وشيراز وغيرها من عرائس البلاد * وانشأ بستاناً في ضواحي سمرقند على طريق الكش وبنى به قصراً سماه تخت قراجا يحكى ان بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس واستمرت ترعى في البستان ستة اشهر حتى وجدوها *

* فصــــــل *

فيما وراء الملكة الكبرى * وهي اقدم واكمل * والملكة الصغرى * وهي احسن واجمل * وهما من بنات ملوك الخطا * وتومان بنت الامير موسى امير تخشب المار ذكره في اول الكتاب * وجلبان كانت كالبدر عند الكمال * وكالشمس قبل الزوال * قتلها في حيوته لشيء بلغه عنها * وكان غير واقع وانما فعل ذلك معها * لانه قيل

إن صدقا وإن كذبا * وأظنها كانت من الخطايا * وأما السراري والخطايا * فأكثر من أن يحصين * فالملكتان المذكورتان سمتهما شاد ملك خوفا منهما على خليلها وتومان آغا زمّلها خليل سلطان الى شيخ نور الدين بسغناق كما مر وبعده جاءت الى سمرقند وسمعت انها عزمت في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة على الحج والله تعالى اعلم *

* فصـــل *

اولاده لصلبه المخلفون من بعده اميرانشاه قتله قرا يوسف كما ذكر وشاه رخ وهو المتملك في يومنا هذا وبنت تدعى سلطان بخت زوج سليمان شاه كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما افسدها النساء لبغي اديات قبل من سمرقند ولها تواريخ سوء * احفاده فالذين انقرض الا اولاد شاه رخ وامثلهم اولوغ بيك حاكم سمرقند وابراهيم سلطان حاكم شيراز وبايسنغر حاكم كرمان ماتا كلاهما في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وجوكي وهو الذي مشى على اسكندر بن قرا يوسف وشتت شمله بعد موت قرا يلوك وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين

وثمانمائة ثم مات في اواخرها *

* فصل *

أمراؤه ووزراؤه لا يحصون واشهرهم من ذكر في هذا الكتاب *
دواوينه الخواجا محمود بن الشهاب الهروي ومسعود السمناني
ومحمد الشاغرجي وتاج الدين السلماني وعلاء الدولة واحمد الطوسي
وغيرهم * منشي ديوانه وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس
الدين قاضي زمانه وفاضل ابانه فارسيا وعربيا يصرف اخبار الانشاء كيف
شاء كان قلمه في فتح اقاليمه * انفذ من سنان مخذومه * ولما مات تيمور
احتجب * وطوى بساط الادب فقيل له ضحكت البشرة الاتباشر * وصفت
العشرة فهلا تعاشر * فقال ذهب الذي كان يعرف قيمتي * فانا لا اذهب
في خدمة الاحداث حرمتي * إمامه عبد الجبار بن النعمان المعتزلي *
صدور مملكته مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك وابن عمه
الخواجا عبد الاول وغيرهم * قاري قصصه وتواريخه مولانا عبيد *
أطباؤه فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام وغيرهما وكان
دائما يستعمل معاجين الاحجار * وفي سنه ذلك تجنني باكورة

الابكار * منجموه لا يحضرني اسماؤهم *

* فصـــل *

حصل في ايام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك وهو من اولاد صاحب الهداية كان يلقي الدرس ويعلم الشطرنج والنرد وينظم الشعر في حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمي ابو عبد الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني وكان اعمى والخواجا عبد الاول ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة في ماوراء النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه الرياسة في يومنا هذا بعد ابن عمه عبد الاول * ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازاني توفي في محرم الحرام سنة احدى وتسعين وسبع مائة بسمرقند والسيد الشريف محمد الجرجاني توفي بشيراز * ومن المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري كان اخذه من الروم وكان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة توفي بشيراز والخواجا الكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد البخاري فسر القرآن الكريم في مائة مجلد توفي بمدينة النبي صلى

الله عليه وسلم سنة اثنين وعشرين وثمانمائة * ومن القراء هما ومولانا
فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين قراءة وصوتاً عبد اللطيف
الكلار مغاني ومولانا اسد الشريف الحافظ الحسيني ومحمود المحرق
الخوارزمي وجمال الدين احمد الخوارزمي وعبد القادر المراغي
الاستاذ في علم الادوار * ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا احمد بن شمس
الائمة السرامي كان يقال له ملك الكلام عربياً وفارسياً وتركياً وكان
اعجوبة الزمان ومولانا احمد الترمذي ومولانا منصور القاغاني *
ومن الكتاب المجودين السيد الخطاط ابن بنكير وعبد القادر
المذكور وتاج الدين السلماني وغيرهم * ومن المنجمين اناس برعوا
لا اعرف من اسمائهم غير مولانا احمد الطبيب النحاس المستخرج
قال لي استخرجت من زايجة الطالع الى مائتي سنة وكان هذا الكلام
في سنة ثمان وثمانمائة * ومن الصواغين الحاج علي الشيرازي والحاج
محمد الحافظ الشيرازي وغيرهما * ومن الحكاكين طائفة جمة وامثلهم
التون وكان آية في فنه ينقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط
احسن من ياقوت * ومن الشطرنجيين محمد بن عقيل الخيمي وزين

اليزدي وغيرهما وعلامة زلك علاء الدين التبريزي الفقيه المحدث
كان يحط لزبن اليزدي بيذقا و يغلبه ولا بن عقيل فرسا ويدنيه
ولقد داخ تيمورا الاقاليم شرقا وغربا * وقمر في دست مصافاته كل
سلطان و كل شاة مات عنده جدا ولعبا * وكان يقول له انت
في ملك الشطرنج فريد * كما انني في سياسة الملك وحيد * وكل مني
ومن مولانا علي شيخ في فنه ذو كرامات لم يوجد له نديد *
وله في لعب الشطرنج وعلم مناصبه شرح * وما كان احد
يقول انه ينتج ولا دفكرة في لعبه معه من غير طرح *
وكان فقيها شافعيا * محدثا اريحيا * حسن البهجة * صادق اللهجة *
حكى لي انه راى اميرا لمؤمنين عليا كرم الله وجهه في المنام * وانه
ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه احد بعد ذلك من الانام * ومن
اوصافه في لعبه انه كان لا يتفكر * وبمجرد مايلعب خصمه بعد التفكر
والتامل الطويل ينقل من غيران يتدبر * وكان يلعب على الغائب مع
خصمين * ويعلم مع الطرح لمن هو في جهته على الجهتين * وكان يلعب هو
والامير * بالشطرنج الكبير * ورأيت عنده شطرنجا مدورا وشطرنجا طويلا

والشطرنج الكبير فيه من الزوائد ما مرّ ذكره * وطريقة تعلمه بالفعل اقوى * وليس في شرحه بالقول كثير اجدوى * ومن المطربين عبد القادر المراغي المذكور وولده صفي الدين وختنه نسربن وقطب الموصلي واردشير الجنكي وغيرهم * ومن النقاشين كثيرون واعلاهم عبد الحي البغدادي وكان ماهرا في فنه * ومن التجرية شهاب الدين احمد الزردكاشي * ومن نقاشي الزجاج والنحاس وغيرهم ما لا يحصى وهولاء كل منهم كان علامة دهره واعجوبة عصره * ولو رصعت حلي الالفاظ بجواهر اوصاف هولاء الاعيان * لملأت الاكوان من فرائد الجمان وقلائد العقيان * وهولاء من حضرني ذكره ممن اعرفه واما من لا اعرفه او اعرفه ولا يحضرني ذكره فاكثر من ان يحصى * واعز من ان يستقصى * وحاصل الامر ان تيمور كان جنى كل حي * وجبى الى سمرقند ثمرات كل شي * فكان بها من اهل كل فن عجيب * واسلوب من الصنائع غريب *

من هو على جبين الفضل شامه * وبرز على اقرانه

فصار في فنه علامه *

* فصل *

وكان في سمرقند انسان * يسمى بالشيخ العريان * فقير زاهد * بشكل بهي وعزم سني * قيل ان عمره على ما هو فيهم شائع * وبين اكابرهم واصاغرهم ذائع * ثلاث مائة وخمسون سنة * مع ان قامته مستوية وهيئته حسنة * كان المشائخ المعمرون * والاكابر المعمرون * يقولون لقد كنا ونحن اطفال * نرى هذا الرجل على هذا الحال * وكذلك نروي عن آبائنا الاكرمين * ومشائخنا الاقدمين * ناقلين ذلك كذلك عن آبائهم * والمعمرين من كبرائهم * وكان اطلس وله قوة ناهضة وحدة * من رآه يتصور انه لم يبلغ اشده * لم يكن للكبر * بوجهه تجعيد ولا اثر * وكان الامراء والكبراء * والاعيان والصلحاء * والفضلاء والرؤساء * يترددون الى زاويته * ويتبركون بطلعته ويلتمسون بركة دعوته * وفي سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط * يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط * والروح والنشاط * وقيل ان احد فعلته كان وليا * يسمى الشيخ زكريا * هو معتقد تلك البلاد * ومزاره في مكان مشهور على طود من الاطواد * وقبره يستجاب عنده الدعا * وهو عن سمرقند نحو يوم في المدى * وهو بالكرامات

موصوف * وفي كرخ هذه المقامات معروف * وهو في ربوة ذات قرار *
فيها جنات تجري من تحتها الانهار * محفوف باليمن والانس * كأنه
اقتطع من حظيرة القدس * يحكى انه لما كان * فاعلا في ذلك البنيان *
وقع في جبهته نقطة من الطين * فرأى ذلك احد المباشرين * واستمر
ذلك الطين على هذه الحال * نحوا من ثلاث ليال * فلما اراد واضع
المحراب * وقع الاختلاف فى الخطأ والصواب * وكثر في ذلك الصخب
والاضطراب * فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه الغفرة *
ولا تعدلوا عنها يمنة ولا يسرة * فقال ذلك المباشر * لمن في ذلك المكان
حاضر * يا للعجيبة * والقضية الغريبة * رجل لم يغسل وجهه ثلثة
ايام * يرشد الناس الى معالم الاسلام * فقال ذلك العابد الزاهد * او رجل
مؤمن لم يتم ثلاثة ايام بوضوء واحد * ولكن تعال ايها الجاحد
قف مكانك * وثبت جنانك * ولا تكن ممن انكر وتولى * وانظر
الى عروس الكعبة كيف تجلى * فنظر ذلك الذي انكر * فاذا الكعبة
امامه تتبختر * ثم التفتوا الى الشيخ ففقدوه * وطلبوه ارضا وسماء
فلم يجدوه * وهذا المسجد فيه شئ عجب * عدة اسطوانات من خشب *

مِن جملتها سارية شمخت ارتفاعا * نحوا من خمسة عشر ذراعا * وبغلظ جسمها وبدنها * فلا يقدر الرجل يحتضنها * وباقي السواري بها قد حطن * قيل انها شجرة قطن * ولها خاصية عجيبة * مجربة غريبة * من كان به وجع الضرس * يضع عليه مقدار رحبة من خشب ذلك البرس * فانه ينفعه * ويسكن في الحال وجعه * جربته فصح ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأي فيها من العجائب * وشاهده من علامات الطرف الغرائب * فان اخبر برؤية هذه السارية الفائقة كانت رؤياه صادقة * واعتقد له بصدق الكلام * والا كانت رؤيته اضغاث احلام *

* فصـــــل *

سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان * ولا يجري على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان * وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان * ورطل سمرقند اربعون اوقية * كل اوقية بالمثاقيل مائة * فيكون رطلهم اربعة الآف مثقال * كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال * فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة ارطال * حكى لي مولانا

محمود الحافظ المحرق الخوارزمي ولقب بالمحرق لأن سهام ترجيعاته
كانت تصيب حبات حشاشات اذ ترمي * وتفوق رنات أوتارها
نحو آذان القلوب فتصمي طائرها ولا تنمي * فان صدعت من القلوب
حجرا * تطاير من اقتداحه في الأرواح شررا * فيحرق برناته الأرواح
ويشغل بنغماته الاشباح * قال استصحبني تيمور في بعض أسفاره *
فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره * فنزلت عساكره على حصن
لحصاره * وضرب خيمته على مكان عال * ليشرف منه على القتال * ويتفرج
في صنع الرجال * ففي بعض الزمان * حضرت عنده أنا ورجلان *
وكان قد حصل له حمى * أورثته كربا وغما * وكانت سماء النزال
ذات حبك واحتباك * ورماح القتال في التواء واشتباك * فأراد
أن يطالع أحوالهم * ويشاهد أفعالهم * وأفرطت شهوته الى
العيمه * فقال احملوني الى باب الخيمه * فدخل ذلك الرجلان تحت
ابطيه * وأوقفاه بباب الخيمة وأنا بين يديه * فجعل يشاهد
حروبهم * ويتميز طعنهم وضربهم * ثم اراد ان يأمرهم بشئ * فقال لي
يا محمود الي * فأسرعت اليه * ودخلت تحت عضده * فأرسل احد

الرجلين الى عسكره * يأمرهم بما عن له من عجره وبجره * فكانه لم يبر
عليلا * ولم يرو غليلا فقال لنا دعاني * وعلى الارض ضعاني * فوضعناه
فسقط كانه رمة بالية * او لحمة على باريه * ثم ارسل ذلك الرجل
الاخر اليهم * وامرهم بما اقتضته اراؤه واكد عليهم * فبقيت انا وهو
وحدنا * لم يبق احد عندنا * فقال لي يا مولانا محمود انظر الى ضعف
بنيني * وقلة حيلتي * لا يد لي تقبض * ولا رجل تركض * ولو رمانى
الناس هلكت * ولو تركوني وحالي ارتبكت * لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا * ولا اجلب خيرا ولا ادفع شرا * ثم تأمل كيف سخر الله تعالى
لي العباد * ويسر لي فتح مغلقات البلاد * وملأ برعبي الخافقين *
واطار هيبتي في المغربين والمشرقين * واذل لي الملوك والجبابرة *
واهان بين يدي الاكاسرة والقياصرة * وهل هذه الافعال الا افعاله *
وهذه الاعمال الا اعماله * ومن هوانا غير مطبع ذي فاقه * لا باب لي
في الدخول الى هذه الافعال ولا طاقه * ثم بكى وابكاني * حتى ملأت
بالدموع اردانى * فانظر الى هذا البربر * كيف سلك بهذا القول مسلك
القائلين بالجبر * وانشدوا فيه بالفارسي بيتين وهما

* شعر *

* نیم تنی ملك جهانرا گرفت * چشم کشا قدرت یزدان ببین *

* پای نی زتخت بزیر قدم * دست نی وملك بزیر نگین *

ترجمته فقلت ذو بیت

* قد اظهر قدرة بخافي حكمه * من ملك شقا الدنا جا في قسمه *

* لا كف له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطي قدمه *

* فصل *

واما عما كره وطرائق سلوكهم * فانهم على دين ملوكهم * كانوا استدرجوا من حيث لا يعلمون * ورزقوا من حيث لا يحتسبون * مسخرا لهم خفيات الدفائن * مفتوحا عليهم خبيات الخزائن * ميسرا لهم مكامن المطالب والمعادن * كل طرف منهم قد جال وسطا * وصار بطرق اللوم اهدى من القطا * قد دبروا الامور * وجربوا احوال الدهور * وقاسوا معاصر العصور * ركابد والمكائد * وعالجوا الشدائد * ومارسوا الاشيا * وذاقوا الناس والدنيا * وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه * وادركوا مدارکه ومعارجه * لا يدخل فيهم داهيه *

ولا يطغيهم طاغية * ربما يمرون بقفراء * ويجيزون بمهمة صحراء *

* شعر *

* لا يفزع الارنب اهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر *

فيقف بعضهم ثم تراه * ينظر الى ارض ذلك المكان وثراه * ثم يقول ليس مثنا الثرى * من مثنا الثرى * ثم ينزل عن دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه * ثم يلتفت الى جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويؤمه * ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان * حتى يصلوا الى مكان * فيحفرون ويخرجون كمين الدفائن * وما في ذلك من المغلات والخزائن * وكذلك اذا وصلوا الى عمائر * او مروا على مقابر * يتوجهون الى الخبء كأنهم وضعوه بايديهم * او اوحت شيا طينهم ذلك اليهم * وربما يجيئون الى مقام * مر على ساكنه فيه ايام * ومضى عليه فيه شهور واعوام * وفيه شيء مطمور * لم يكن لصاحبه وساكنه به شعور * فبمجرد دخولهم اليه * يفتح ذلك عليهم ويطلعون عليه * وحين يطلع ساكنه على ذلك يأكل ندامة وحسرة يديه *

وكان لهم درايات في دهرهم عجيبة * ومهام آراء في عمرهم مصيبة *

وكانوا يحملون البقر ويركبونها * ويسرجون الحمر ويلجمونها *
ويسابقون على ذلك اصحاب الخيل العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها *
ويطعمون الجمل * لحم الكلب والحمل * ويعتاضون عن شعير
الفرس * بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس * وربما اعوزهم
ذلك في السفر * فاطعموا دوابهم لحاء الشجر * حكى لي القاضي
برهان الدين ابراهيم القوشة الحنفي المذكور رحمه الله تعالى ان تازان
والتتار * لما قدموا هذه الديار * خرج من له قوة الفرار فارا من الشرور *
كما فعلوا في قضية تيمور * ومن جملتهم تاجر بالصالحية * كان
في عيشة رضيه * وله اموال وافرة وفيه * جمع ماله من صامت المال *
ووضعه في قدرة مهال * ثم عمد الى بركة ماء فحفرها * ووضع تلك
القدرة تحتها وطمرها * ثم ردها الى مبانيها * واعاد مياهها الى مجاريها *
وحين استتب الوثوب * وقدمت الدواب للركوب * قالت له امرأته
قد نسينا قرطين * واخاف ان تحدث علينا في الطريق شين * فانظر لهما
مكانا * وحصل لنا بذلك امانا * فقال اما الآن * فلا مكان * ثم
اخذهما ووضعهما في سقف سقيفة * على خشبة لطيفة * ثم ركبا *

وتركا الديار ودمنا * فلما حل بلد منبع الانهار * نزل منهم زمرة في تلك الدار * فجعلوا يأكلون ويشربون * وهم في خوضهم يلعبون * فبينا هم بعض الايام في النشاط * قرض الفار احد تلك الاقراط * فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط * فتبادرت الجماعة اليها جارية * كأنهم يتسابقون الى قرطى مارية * فسبقت الجماعة * ودخلت البلاعة * فكشفوا عن وجه الارض ستر خدرها * فوجدوا الاموال كما هي في قدرها * فأخذوها واللؤلؤة واخرجوها * وقصدوا باقي القرطين واقتسموها * وجماعة تيمور ايضا كذا كانت * وكل معضلة من القضايا اذا وصلت اليهم هانت * وكل منهم كان على دين ملكه وفي فتنة الى غاية حرج * فان كنت محدثا عن احوالهم واخبارهم فحدث عن البحر ولا حرج *

* فصـــل *

يحكى ان واحدا منهم من اهل الذكاء والكيد * اراد في فصل الشتاء التنزه فقصد الصيد * فاخرج مركوبه وهو بقرة * فشد عليها سرجه وهو خشبة مكسرة * غرزه قضيب من ورد * وحزامه حبل مهتر *

وتجمل بلباسه وهو جلد ثروة منهوش * وبتاجه وهو طرطور من لبد منقوش * وشد كنانته وهي جلود ممزقة * مثل ودة بحبل وعليها خروق ملزقة * بها مها قد التوت * وجنبها قد استوت * ومعه بازي قد نتف القرناص ريشه * وقلع عن حقل بدنه زرع خوافيه وحشيشه * ثم ركب جواده * وحمل بازيه وقصد اصطياده * فرأى جماعة من البط * على ساحل غب يرحط * فرفع يده بالبازي معه * حتى عاين تلك الجماعة * ثم وضع يده وخفض * وارسل البازي على الارض * فصار يحجل رويدا * قد اضمر للبط كيدا * اذ لم تكن له قوة الطيران * ولا جناح عليه به يستعان * فوصل الى الطير بسكون * وهي آمن ما يكون * لانها لا تتوقع البلاء * الا من جهة السماء * فدخل بينها فما نفرت منه * ولا هربت عنه * فلم تشعر الا وقد وثب على واحدة وقلدها * فادركه صاحبه واخذها * ولما رحلوا عن دمشق * وقد مشقوا اوراق نعمها من اغصان وجودها اي مشق * وكان مع بعضهم بقرة نهبها * وحملها ما اخذه من الاموال التي سلبها * واركبها اسيره * وسار بها مدة يسيرة * فبعد سيرها يومين او ثلاثة

قلقت * ونادت بلسان حالها انها ما لهذا خلقت * فلما لم تجد ملجأ مما شكت * توكلت على الله وبركت * فانزلوا الراكبة عنها وصاحوا عليها فلم تقم فحلوا احمالها وضربوها فلم تتحرك فاوجعوها ضربا * واشبعوها العنا وسبا * وتلك المباركة باركة فادموها وهم يضربونها الى ان كادوا يهلكونها * فمن شاحط بمقبضها * ومن جاذب بمؤخرها * ومن متعلق بقرنها * ومن متشبث باذنها * وهي جاثمة متشبهة بجبل ابرهة * فعجزوا عنها * وايسوا منها * فبينما هم على ذلك * وقد ضاقت عليهم المسالك * واذا هم بشيخ كوسج * كانه شجرة عوسج * قد سلك المشارق والمغارب * ومرت به انواع التجارب * وقاسى برد الامور وحرها * وذاق حلوها ومرها * وعرف خيرها وشرها * مر بهم * وهم في كربهم * فلما رآهم اسارى * عاجزين حيارى * سكارى وما هم بسكارى * قال تنحوا عنها افحجه * ثم دنا منها دنو الراقي من ذي جنة * واخذ كفا من تراب * انعم من عيش الشباب * ثم قبض على قرنها * وصبه في اذنها * ثم هزرأسها في مناخها * حتى وصل التراب الى صماخها * فوثبت قائمة * وهي من ذلك الرغام راغمة *

وجعلت تنفض رأسها * وزادت اضطرابها وشماسها * وطلبت المسير *
وكادت تطير * فاعادوا عليها احمالها * وزادوا اثقالها * فصارت
تلك البليها * تعدو ولا يقدر عليها * فصل * وكان في عسكره من الترك عبدة
الاصنام * وعباد النار من المجوس الاعجام * وكهنة وسحرة *
وظلمة وكفرة * فالمشركون يحملون اصنامهم * والكهان يشجعون
كلا منهم * ويأكلون الميتة والدم المسفوح * ولا يفرقون بين مخنوق
ومذبوح * وناس حزاون وزواجر خراصون * ينظرون في الواح
الضان * ويحكمون بما يرون فيها على احوال كل مكان * وما حدث
في كل بقعة * من الاقاليم السبعة * من الامان والخوف * والعدل
والحيف * والرخص والغلاء * والسقم والشفاء * وسائر ما يكون *
فلا يكادون يخطئون * ولهم ايام * وشهور واعوام * كل عام منسوب
الى حيوان * يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يأتي فيها زيادة
ولا نقصان * وفي الخط لهم خط يسمى دلبرجين * رأيت حروفه احدا
واربعين * وسبب زيادته انهم يعدون التفاخيم والامالات *
حروفا وكذلك البين بينات * فمنوها الزوائد * وكل حرف زائد *

واما الجغتاي فلهم قلم يسمى اويغور * وهو بالقلم المغولي مشهور *
وعدته اربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد ان
حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذه
الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاء والسين
والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم
ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم * وتواريخهم
واشعارهم * وقصصهم واخبارهم * وسجلاتهم واسفارهم وجميع ما يتعلق
بالامور الدنيوية * والتورة الجنكزخانيه * والماهر في هذا
الخط لا يبور بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم *

* فصـــل *

وكما كان فيهم من جبل على الفظاظة * والقسوة والغلاظة * ومن هو قليل
الرحمة بل وعديم الاسلام * كفرة فجرة اوغاد انذال طغام اغنام *
قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا * واستكبروا به في انفسهم
وعتوا عتوا كبيرا * استجرهم لغرهم وحبهم اياه * الى انه لو ادعى
النبوة او الالهية لصدقوه في دعواه * كل منهم يتقرب الى الله تعالى

خبيرة * يندد له اذا وقع في شدة ويفي بنذره * واستمر على اعتقاده

الباطل وكفره * مدة حيوته وبعد موته ينقل النذر ويقرب به القربان

الى قبره * وكان ترقى معقى المصاحبه * حتى وصل الى مقام المراقبه *

قيل انه كان في السفر * فرأى واحدا من العسكر * كأن الكرى عطف

رقبته * او السرى أمال شقته * او على حال لا يتوجه عليه فيها لوم

ولا عتب * فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب * فقال تيمور ترى ما ثم

احد قاطع * يقطع رأس هذا الفاعل الصانع * ولم يزد على هذا الكلام *

فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام * اسمه دولة تيمور * وهو

امير كبير مشهور * قد البسه الله ثوب النقمه * ولم يشمه شيأ من روائح

الرحمه * ففي الحال سل رأسه من بين كتفيه * وحمله الى تيمور ووضعه

بين يديه * فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الافظع * فقال هذا الرأس

الذي اشرت ان يقطع * فاعجبته هذه العباره * وابتهج بان امره

يمتثل بادنى اشاره * وكان فيهم الظرفاء والادباء * والاذكياء

والشعراء * ومن هم في الفضل اعلام وعلماء * وفيهم المحقق * والباحث

في العلوم والمدقق * ومن شارك في كل العلوم * وبحث فيها بحثا شافيا

من طريقي المنطوق والمفهوم * ويقرر مذهب الصوفية واحياء العلوم *
ومع هذا فبعضهم يمضي على مقتضى ما علمه * وكان من الذين آمنوا
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * وبعضهم كان مع رقة الحاشية
واللطافة الفاشية * والعلم الوافي والظرف الشافي * والجمال الفائق
والكمال الشائق والكلام الرائق * قلبه أقسى من الحجر * وفعله
أنكى من ضرب الصارم الذكر * يقولون من قول خير البرية * يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية * واذا وقع مسلم في مخالبهم
او نائي غريب بتعذيبهم * صنف ذلك العالم المحقق * والحبر المدقق *
في استخراج المال أنواع العذاب * وأصناف العقاب * واستحضر
في فنون تعذيبه كتبا ومسائل * وسرد في علوم تثريبه خطبا
ورسائل * فيصير ذلك المسكين يتكوى * ويستغيث ويتلوى *
ويستجير بالله وآياته * ويستشفع بكل ما في أرضه وسمواته *
من ملك ونبي * وصديق وولي * وذلك المليح يضحك ويتظارف *
ويتمايل ويتلاطف * وينشد لطائف الاشعار * ويتمثل بطرائف
النوادر والاخبار * وربما تحرق وبكى * وتأوه لما يفعل بذلك

من التعذيب وانتكى * وصار كبعض قضاة الاسلام * المستولي على مال

الايتام * يخطب ويبكي * وفعله في قلوب المسلمين ينكي * ولما كانوا

في دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان بزقاق العجم *

واذا هو مملو من النفائس والخيرات والنعم *

* شعر *

* بقصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام *

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه * وبانواع العذاب والعقاب

عذبوه * ثم احكموا رجليه شدا وعلقوه * واستخرجوا النفائس *

واستجلوا من حسانها العرائس * واحضروا لذيذات المطاعم والمشارب *

وقضوا من التفكه والتنعم ما لهم من مآرب * وجعلوا يأكلون ويشربون *

ويلهون ويطربون * واذا تحرك في واحد منهم الخبث * او ثمل

واخذه في سكره العبث * عمد الى ذلك المسكين وهو في شدة النكاد *

فسقاه الماء والملح وسقفه الكلس والرماد * وكان فيهم عالم متقشف *

عن تناول المسكرات متعفف *

* كما قيل *

* عجبت من شيخي ومن زهده * وذكره النار وأهوالها *
* يكره أن يشرب في فضة * ويسرق الفضة إن نالها *

وكانوا اذا رأوا القدح المزعفر * احضروا له السكر المكرز * ووضعوه له في صيني الغوائق * وصبوا عليه الماء الرائق * فيسكرون هم بالاقداح القوادح * ويسكر ذلك الفاسق المحروم من الروائح * ثم يتوجه الى صاحب المنزل ويضحك عليه وهو في أشد ما يكون من العذاب ويسخر منه ويهزل * ثم يتمايل على صوت المثاني والمثالث * ويتناول من تلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال البخيل بحارث او وارث * وكان في عسكره كثير من النساء * يلجن معا مع الهيجاء وقائع الباساء * ويقاتلن الرجال * ويقاتلن أشد القتال * ويصنعن أبلغ ما يصنع الفحول من الرجال في النزال * من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال * واذا كانت احداهن حاملا واخذها وهم سائرون الطلق * تنحت عن الطريق واعتزلت الخلق * ونزلت عن دابتها ووضعت حملها ولفته وركبت دابتها واخذته ولحقت اهلها * وكان في عسكره ناس ولدوا في السفر * وبلغوا وتزوجوا وجاءهم أولاد ولم يسكنوا

الحَضَر * وكان في عسكره ناسٌ صُلحاءُ عُبّاد * وَرِعُونَ زُهّادٌ أجوادٌ أمجاد * لهم في الخيرات أوراد * وفي وِردها إصدارٌ وإيراد * دأبهم خلاصُ مأسور * أو جبر مكسور * أو إطفاءُ حريق * أو إنقاذُ غريق * أو اصطناعُ معروف * أو إغاثةُ ملهوف * مهما أمكنهم * ووصلت اليه يدهم * إمّا بقوّةٍ وأيد * وإمّا بنوعِ خديعةٍ وكيد * وإمّا بإستيهابٍ واستشفاع * أو تعويضٍ وابتياع * وكانوا سائرين معه بالاضطرار * ودائرين معه لهذه المعاني بالاختيار * حكى لي مولانا جمالُ الدين * احمدُ الخوارزمي أحدُ القرّاء المشهورين المجوّدين * وكان إمامَ محمّد سلطان في حيوته * وإمامَ مدرسته بعد وفاته * ثم خطيبَ بروسا وبها ادركته المنيه * سنة احدى وثلاثين وثمانمائة * رحمه الله تعالى قال كنتُ في سمرقند في مدرسة محمد سلطان * أعلم مماليكه وأولادَ الأمراءِ القرآن * فأرسل اليه جلادة الظلوم * وهو متوجّه الى بلاد الروم * أن يتوجّه اليه * ويفد هو والأمير سيف الدين عليه * فامتثل ما به أمر * وأخذ في إعداد أهبة السفر * وقال لي هيّئ مرافقتك * واقطع علائقك * وخذ أهبة سفرك * واعمل

بمصلحة رهطك ونفرك * ووافقنا في المرافقه * فان من حسن المرافقة
الموافقه * فاستعفيته من الذهاب * وفتحت له في سد خوخة السفر
كل باب * فقلت له يا مولاي انا رجل من اهل القرآن والفاقه *
مالي بفتح باب السفر من طاقه * لاني ضعيف البنيان * رخو الاركان *
لا جلد لي على الحركه * وان كان في صحبة مولانا الامير كل خير
وبركه * خصوصاً على هذا السفر البعيد الشقه * الكثير المشقه *
ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقه * لا جمل لي في مناخ السفر
ولا ناقه * واما انتم فالسفر عليكم حتم لازم * وحق ملازم * لا يسعكم فيه
التخلف * ولا يفسح لكم فيه المطل والتسوف * فلم يعفني * وتعلل لي
بعلل علمني فيها ولم يشفني * فلم ار بدا من الاستعداد * وتحصيل الرفيق
والزاد * ثم سرنا حتى وافينا جده * وقد ركب في الجادة جده وجده *
ورأينا من تلك العساكر * بحار الا اول لها ولا آخر * ان انعرطاحد
من سلك جماعته * وضل معتزلا عن سنن سنته * لا يصل اليهم
بالسرج والشمع * ولا يهتدي الى سنة جماعته الا ان كان يوم الجمع *
فبينا انا معهم اسير * وقد وهن مني العظم الكسير * واني في اتعب *

واخذ مني النصب والوصب * ومللت السرى * وعدمت الكرى * نفضت يدى من الرفيق * واخذت على فجوة من الطريق * فلما ان خلوته هينمت بالقرآن العظيم وتلوت * ثم استهواني الذوق والشوق * فحلقت بمراشيق حلقي الى فوق * وكان صوته اطيب من رحيق المقطوع على رخيم الموصول * والذ من جمع شمول على كاس شمول * بنسيم الشمال معلول وبرضاب الحبيب مشمول * قال واذا برجلين ضعيفين * كالعود البالي نحيفين * اشعثين اصفرين * ذوي طمرين اغبرين * بضراني عن جنب وعلقا بي علوق الوتد بالطنب * فجعلا يراقبان احوالي * ويستمعان اقوالي * فلما زمزمت زمزمتي * وكففت هينمتي * وكتمت في خزانة صدري جواهر كلماتي * وختمت بطابع دعائي زواهر آياتي * بكيا لما جاتي * وامنا على دعواتي * ثم اقبلا نحوي وسلما * واهتزا لما سمعاه من تلاوتي وترنما * وقالا احيى الله قلبك كما احييت قلوبنا * ومحوت بما سطرت في الواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا * ثم انهما آنساني بالخطاب * وجاراني بالسؤال والجواب * واذا هما من صميم الجغتاي وخالص عسكر تيمور * ومن ضيضئ التتار وسنخ الفتن

والشرور * ثم سألاني عن نجاري ووجاري * وعن رفيقي في هذا السفر وجاري * فأخبرتهما عن مولدي ومحتدي * ومسقط رأسي من بلدي * واني من أهل القرآن * واني مع محمد سلطان * فقالا لي يا سيدنا الشيخ انما جئنا اليك لتحسن الينا * وانا سائلوك عن شيء فلا تجد فيه علينا * فقلت قولا وطولا * فلن تجد اني مللولا * فقالا يا مولانا * هذا شيء يعنينا وان كان قد عنانا * وكل من اشتغل بما لا يعنيه * فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه *

* شعر *

* ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه *

فبالله يا سيدنا قل * من اين تأكل * فقلت على خوان * محمد سلطان * فقالا مأكول هذا العسكر حلال * ام حرام ووبال * فقلت الغالب عليه الحرام * بل كله والله مظالم وآثام * لانه من التاراج والنهب * والغارات والغصب * والاختلاسات والسلب * فقالا والله يا امام * لقد اسأنا الادب اذ واجهناك بهذا الكلام * ولكن انتم اهل العلم * شيمتكم العفو عن الجاني والحلم * وانتم اولى بجبر الكسير وفك الاسير *

وتيسيراً لامر العسير * فقابل منا هذا التفحص بالصفح * ولا تعامل هذا
الالحاف بالنفح * فقلت سلا * ولا تسلسلا * فقالا نسألك بالله
الذي اصطفاك لخزن كلامه * الذي تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم
حلاله وحرامه * لا تؤاخذنا بما تهجمنا عليك به * فان الشيخ المرشد
كالوالد الشفوق لا يؤاخذ ولده بقلة ادبه * فقلت كلا سلا ما شئتما *
وتسلسلا مهما اردتما * فقالا يا سيدنا اما كان لك مندوحة عن
مرافقة هؤلاء اللئام * والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام * فقلت
اني دخلت فيهم وانا مضطر * وخرجت معهم وانا كاره مجبر * واكرهني
محمد سلطان * وحاباني بما حباني من الاحسان * فصحبتهم وعيني
ذاتي من كحل الراحة مرها * وحملتني فرسي في سفري كرها ووضعتني
كرها * فقالا ارأيتك لو امتنعت عن الخروج اكانوا يريقون دمك *
ويأسرون اولادك ويسبون حرمك * فقلت لا والله * وحاشا لله *
فقالا اكانوا يحبسونك ويضربونك * وفي مقام المصادرة يجلسونك *
فقلت انا امنع جنابا * ان يسوموني خسفا وعذابا * لاني حافظ
القرآن * والقرآن حافظي من هذا الخسران * قالا فغاية فعلهم

معك * اذا رأوا تعززك وتمنعك * انهم كانوا يشتمونك * ويعملون

الى معلومك فيقطعونك * ويتخطون عليك * ويمنعون برهم الواصل

اليك * قلت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا * وتعززي وتمنعي ما يسطو من

مكانتي عندهم الى هذا الاذى * ولكنهم حابوني فاستحييت * وخادعوني

فانخدعت وليتني ابيت * فقال لا يصلح هذا الكلام عند راجحه * ولا يسلك

بك الى صحة الاعتذار بين يدى الله تعالى سواء الحجة * فهلا جلست

في مكانك * واشتغلت بتلاوة قرآنك * ومطالعة علمك ومباحثة ٣٥١

اخوانك * وفرغت بدنك عن الكلال * وملأت بطنك من الحلال *

واحتميت في حمى دينك عن هؤلاء اللئام * واسترحت من

الاضطرار الى تناول الحرام * مع انا سمعنا من امثالكم * ما قد ضرب

في امثالكم * اهل القرآن وقاصته * اهل الله وخاصته * وانهم

عتقاؤه بين خلقه * وبركاتهم ادر سحاب رزقه * وان السلاطين *

ملوك الناس اجمعين * وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين * واذا

اعتقكم الله واعفاكم الناس * وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب

والكبد والراس * ولم يبق لاحد عليكم سلطة * ثم القيتم انتم انفسكم

بايديكم الى هذه الورطه * وتهافتم على التهالك تهافت الفراش على النار * وتشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الضر والاضطرار * فكيف يصح هذا الاعتذار * وانى ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك الجبار * وهل صرتم الا

* كما قيل *

* معاشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد * فقلت اما اذا حررتما القضيه * فكلنا في هذه المصيبة سويه * مصراع * بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي

* وقيل *

* بي مثل ما بك يا حمام البان * انا بالفقود وانت بالاغصان * فبكيا وانتحبا * وتأوها والتهبا * وتنفسا تنفس الصعدا * وقالا اين ما بين قصتنا وقصتك في المدى * فورب الخافقين * ان بين القصتين لبعد المشرقين * ولكن ما للمقال مجال * وما كل ما يعلم يقال * واين السر من الاعلان * وان الحيطان لها آذان * فقلت هذا ايضا ليس بحجه * فلا تعدلا عن سواء المحجه * فقالا نحن المضطرون

جبراً * المأخوذون قهراً وقسراً * وانا مكتبون في الديوان * مضافون
الى واحدٍ من اعيان الاعوان * اذا ورد علينا مرسوم بالبروز *
في يوم عيدٍ مثلاً اونوروز * ويكون الخروج وقت الظهر * وتأخرمنا
واحدٌ الى وقت العصر * لم يكن له جزاء فيما ارتكبه * الا الصلب اوضرب
الرقبه * فضلاً عن ضربٍ وشتمٍ وشناعه * اورفع عذلٍ اوتقديم
شفاعه * واين انت عن قعودٍ ما اوتخلف * اواستتارٍ بتلٍ تواراٍ وتوقف *
فنحن مدى الدهر لمثل هذا مستوفزون * وعن مثلِ ما جرى على اضرابنا
من هذا البلاءِ متحوزون * مصيخون ابدا لما اشاروا امر * عاملون
بمقتضى رحم الله من رأي العبرة في غيره فاعتبر * ويا ليتنا امكننا التحويل
عن مملكته * والرحيل عن اقليم ولايته وسلطنته * وكيف لنا بذلك
وهي مسقط راسنا * ومحل اناسنا ومحط ايناسنا * وايلاف رحلتنا *
ومزدرعات معيشتنا * ومدرج آبائنا ومخرج ابنائنا * ومقام قبائلنا
وعشائرنا * ومثابة قاطننا وغابرنا * ولوغاب من هوام قبائلنا جلد جلد *
فضلاً عن بلبلٍ اوهدهد * لجحف الباقين سيل الظالم الحيف * ولتحكم
في رقاب سائرنا صائل الموت بالسيف * واما اذا برزنا وعزمنا *

على الأمير معه وتجهزنا * فنسأل كم سنة نغيب * وأي جهة يريد ذلك المريد المريب * فنأخذ أهبتنا لذلك المقدار * وكل منا ابن عم الآخر وجار * وله جراب فيه سويقه * ومعه كلفة نفسه وفرسه وعليقه * يصوم على الدهر ويفطر على ما يسد الرمق * ويلبس ما يستر العورة من رث الثياب والخلق * كل ذلك من زرع أيدينا وكدنا * وما بذلنا فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا * لا نتعرض لمال أحد ولا لعرضه * ولا نقف في طريق إبرامه ولا نقضه * ولا لأحد عندنا نشب * ولا بيننا وبين أحد علاقة ولا سبب * ولكن يا مولانا البلاء الطام * والمصاب العام * ثم رقصا رؤسهما يميناً وشمالا * وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالا * وابيضت شفاههما * واسودت جباههما * وأخذا في البكاء والعويل * وانتحبا الانتحاب العريض الطويل * فوالله لقد ذابت نفسي لديهما * واستصغرت كبر المشايخ بالنسبة إليهما * وتفكرت فيما دهاهما من شدة الأمر * وعلمت أنهما هما القابضان بكفيهما على الجمر * ثم تأوهت آها بعد آه * وقلت بالله يا إخوتاه * وما هذا البلاء الطام * والمصاب العام * ا...

ذكرتماه * ثالا خيولنا ومواشينا * وحوامل مهادنا وغواشينا *
نرفق بها في التحميل * وما نركبها الا وقت الاعياء في الرحيل *
وامرتم بها اقصم ظهورنا * واعجز امورنا * واضطرنا الى الخوض
في دماء المسلمين واموالهم * والجأنا الى رعي زرعهم وتحمل وبالهم *
وما ندري كيف المخلص * وانى ننجو من ذا المقنص * فبالله يا سيدنا
الشيخ هل تجد لنا في هذا الامر الغالي رخصه * ومن قطرة برود
تطفي هذه الحرارة وتسكن شرق هذه الغصة * فقلت لا والله * الا عناية
الله * وايم الله لقد اشبعتماني شرا * وجرعتماني صبرا ومقرا *
واوسعتماني نكدا وضرا * وكان همومي ما بي * من نصبي وعذابي *
يكفيني * الى يوم تكفيني * فقد زدتماني بلاء على بلائي * وعناء على
عنائي * فبالله من انتما وما اسماؤكما * وفي اي قطر ارضكما وسماؤكما *
ومع من انتما فحييتما ما حييتما * فخبراني ولا تحيراني لاجيء
في كل وقت اليكما * وافوز بالسلام عليكما فقالا يا مولانا * الحمد لله
الذي برؤيتك حيانا * ان معرفتنا لا تجديك شيا ولا تبرك * وعدم
المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك * والغالب على ظننا يا مولانا انك بعد ليوم

لن ترانا * وإن قدّر اجتماعٌ فنحن نسعى على رؤوسنا إليك * وخليفتنا الله والسلام عليك * ثم ودّعاني وما وقفا * وأودعاني أليم الفراق وانصرفا * فلا أمن البحر قطرة * ومن الطود ذرة * ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يصون عن الزلل أقوالنا * وعن الخطل والخلل أفعالنا وأحوالنا * وحسبنا الله ونعم الوكيل *

* خاتمة الكتاب *

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذي أدب عبده أحمد فأحسن تأديبه * وخصه إذ رباه يتيما وأنشأه غريبا بكل نتيجة غريبة * وأظهر له في بيان بديع المعاني منهج كل فن وأسلوبه * فأعجب أهل زمانه إذا أعجزهم بما أتاهم به من كل أعجوبة * أحمده حمدا تفتقت في رياض آلائه أنوار فصاحته * وأشكره شكرا تعبقت في رياض نعمائه أزهار بلاغته * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة طابق خبرها الواقع والاعتقاد * وأسندت إلى حقيقة الصدق فصارت حقيقية الإسناد * فتمنطق الإيمان بأقوالها * وتعلق الإسلام بأفعالها * وأشهد أن سيدنا

محمداً عبده ورسوله الذي أنشأ أخبار بعثته على التوحيد * وقصر فصل رسالته على وصل الإخلاص بالتعبيد * صلى الله عليه صلوة باقية ببقاء إعجازه * موصولة بطنب الإطناب وصل فصيح الكلام بايجازه * وعلى آله وأصحابه شموس سماء الفصاحة * وبدور أفلاك البلاغة * وسلم تسليماً كثيرا * أما بعد فيقول العبد المفتقر الى مولاه * المعترف بتقصيره وخطاياه * المغترف من بحار كرمه وعطاياه * الراجي في حدائق المغفرة ثمرة العفو مما جناه * احمد بن محمد بن عبد الله الحنفي مذهبا * العجمي لقبا * الانصاري نسبا * الدمشقي مولدا * السني معتقدا * عامله الله بما كان أهله * وحفظ عليه دينه وعقله * لما كانت الدنيا دار انتقال * ومحل تغير واضطراب * قدمت على الاخرى للاكتساب * اما لجزيل الثواب * واما لوبيل العقاب * وكان سيرها سريع الاحتثاث * واذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث * اردت ان يخلد لي ذكر * ويجول لي في خواطر الآخرين فكر * لعل رحمة تتبعني * او دعاء صالحا ينفعني * فنادى بي لسان الحال * ع لا خيل عندك تهديها ولا مال * واما

به ولا دفليت صالحهم كفاني شره * ووازن في حيوتي نفعه وضره *
فلم يبق الا علم ينفع * او افادة ترفع * وقد صنف العلماء في كل فن
من العلوم ما بلغوا فيه الغاية * وتدرجوا في تقريره وتحريره من البداية
الى النهاية * وعينوا معانيه متونا وشروحا * وبينوا فحاويه خفاء
ووضوحا * مع ان دروس العلوم قد درست * وحدائق رياضها ذبلت
ويبست * وصار الكلام فيها عيا * والمستوي في تحقيقها وتدقيقها نبا *
ولم يبق لطالب العلم به انتفاع * الا انه اذا احتاج الى القوت عرض
كتبه للتباع * غير ان بعض كبراء العصر * ورؤساء الدهر *
وبقايا الاكياس * متشوقون لتواريخ الناس * ومتطلعون لمعرفة
احوال من ساس * من ذنب وراس * ومستشرفون لسالف
الاخبار * كيف كان امر الناس وصار * ولم يكن فيما مضى *
من هذه الامة وانقضى * من متغلبيها وبغاتها * ومتمرديها وطغاتها *
مسلميها وكافرها * مقسطها وجائرها * عاتيها وموانيها * مصادقيها
ومعاديها * صالحها وطالحها * سانحها وبارحها * غابرها وداخلها *
هابرها وخارجها * مثل تيمور الاعرج * ولا اعبر منه في العتو

ولا أخرج * سيرة كلها عبر * وكل عبرة منها فيها سير * أموره أظهر من أن تخفى * وما أضرمه من فتائل الفتن شرقاً وغرباً أعظم من أن يطفا * فقصدت ما ذكرته * وذكرت ما قصدته * وتوخيت الافادة والاعتبار * لا التفاخر والاشتهار * فاعترضتني نوائب الخطوب * وكشرت دون مرامي أنياب القطوب * وجبهتني يد الردع * وصدمتني قارعة المنع * بأن أكبر الكبائر * في هذا الدهر الدائر * أدب أديب * أو فضل أريب * أو علم عالم لا سيما غريب * لقد كره الاديب والفقيه * كراهية التحريم لا التنزيه * وقد تقرر هذا في الاذهان ورسخ * ولهم الذنب إذ يدهم أوكتا وفوهم نفخ * ثم ذكرتني شاني * وخاطبتني بلساني *

* شعر *

* أتصرف غض العمر في طلب العلى * فتظمي أكباداً وتسهر أعينا *

* تقاسي صروف الدهر فقراً وغربة * وبعداً عن الاوطان للقلب موهنا *

* وعيلة أطفال ضعاف كأنهم * جوازل زغب أسكنتها يد أضنا *

* ففي مثل تلك الحال ما كنت ضايعاً * وكنت بنفس فقرها واسع الغنى *

* الى أن حباك الله فضلا ورفعة * وحزت فنونا من علوم لها سنا *

* فصرت عزيزا في البرايا مكرما * وطار الى الآفاق من صيتك الثنا *

* وقد سل فوق الراس سيف مشيبه * وهل بعد هذا غير معترك الفنا *

* اتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة * فترهب من فقر وترغب في الدنا *

* فتبذل وجها طالما صنت ماءه * لك الله لا تفعل وكن متمكنا *

* وهل في الورى من يرتجى لملمة * وان قيل من للمكرمات يقل انا *

* فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل * على الله مولى لم يزل بك محسنا *

فما ثم ذو فضل بصدر منشرح * فحط عنك واسترح * فتضاعف الحال تشتيتا * وزاد الكبد تفتيتا * وارتبكت في عزمين * واشتبكت بين همين * بين ان اسكت فاضيع * او ان اقول فلا يسمع * فقدمت رجلا واخرت اخرى * واستنهضت جواد فكري كرا وفرا * فقواني صدق النية فيما هممت * وخلوص الطوية على ما عزمت * وجمعت من بال متفرق * والفت من فكر متمزق * من قضايا تيمورا الطويلة العريضة نبذه * وجبذت بكف الافكار من حكاياته جبذه * نثلت في بيانها من بديع المعاني العجيبة * وسللت وقد صرفت نحو مشرق

النطق عنان الكلام عضبه وشحذت غربه * فجاءت بحمد الله تعالى طريقة المعاني كاملتها * لطيفة المباني فاضلتها *

قلت في مرآة الادب *

* بالفاظ الحاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون *

حوت دقة الجزل ودقته * ورياقة الغزل ورقته * ولطافة الادباء * وظرافة الشعراء * وفصاحة البلغاء * وبلاغة الفصحاء * وحقائق الحكماء * ودقائق العلماء * مع الامثال الفائقه * والاستشهادات اللائقه * والاستطرادات الرائقه * والتشبيهات الغريبه * والاستعارات ا بيه * ونوافث السحرة من علماء البيان * ونوادر المهرة من ارباب الديوان * ومزجت جليل التحمس فيها برقيق التغزل * ونسجت جديد الجد بمعتق التهزل * وطرزت طلع ذلك كله باعلام الآيات الشريفه * ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه * اصبت بكل ذلك محز القصد * وطبقت بحسامه مفصل الضرب *

* قلت في مرآة الادب *

* كأن النهى قد كان عنى ناعسا * فمر على اذنيه ما اتلفظ *

* فان اتى لهذا الشهد صدق حلاوته * ففتح عينيه وجا يتلمظ *
فمن اراد التنزه فى التواريخ فعليه بمداومة تكرارها * ومن قصد
التفكه فى رياض الانشاء فليقتطف من بهى ازهارها * ومن سلك
طرائق الادب فليجتن من حدائقها جنا ثمارها * ومن رام التسلق
الى ذروة العلوم فليتشبث باذيال استارها * ومن طلب الاعتبار
بتقلبات الزمان فليتأمل حقائق اخبارها * ومن اعتنى بسياسة
الملك فليتدبر دقائق اسرارها * مع انى لم اوفها حقها فى التهذيب *
ولم تنل استحقاقها فى حسن الترتيب والتشذيب * لئن الكلام كالدر
المنتظم * والدر المنسجم * لا بد ان يتعانق لفظه ومعناه اولا وآخرا *
ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا * والا اختل نظمه * واعتل
فهمه * وانحطت منزلته * وسقطت من سلم الفصاحة درجته *
وهذا يحتاج الى بحر ذهن صاف * ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود
جواهره واف * وذوق احلى من العسل * وفكر امضى من الاسل *
ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من النية * فان
غروب الالسنة ربما جاوزت الى ما يثبت على القائلين الحجة * ومن لى

بذلك * وانى يتيسر لي سلوك هذه المسالك * وكنت طالما افوق سهم النظر في بيداء التامل نحو قنص معني دقيق * واصوب غواص الفكر في دأماء التدبر الى جوهر قصد رقيق * حتى اذا قلت فاز القناص * وحاز الغواص * واذا بقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل والحوادث على سهم خاطري الطريق * وبتمساح الهموم التهم غواص فكري فاذا هو في بحر الغموم غريق * فتستد في وجهه قصدي المسالك * واصير من نهاري ازهر الى ليل حالك *

* قلت *

* فاني انتقي للنظم درا * ولم تظفر يدي منه بودعه * لكن لما كان الشروع ملزما * واتمام ما شرعت فيه متحتما * لم ارد امن اتمام ما ابتديته * واضاع ما انميته * فصرت في وعوره اقع واقوم * وفي بحوره اغطس واعوم * ان راق راكد الخاطر اوحمى الفكر الفاتر * تذكرت من الكلام اوائله * والحقت بكل منه ما شاكله * واذا ازعجه من الزمان الجفا * تكدر منه ما صفا * وتبلدت الافكار * وتولدت الاخطار * وتماوى عند بصر

البصيرة الليل والنهار *

* قلت *

* اكمل كل سطر بعد شهر * وابني كل بيت بعد عام *
فلا اضع المحمول الا وقد حمل الموضوع * ولا اذكر الخبر الا وقد نسي
المبتدا *

* قلت مضمنا شعرا *

* والفكر كالبحر يبدي لي جواهره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر *
فتنخرم القاعدة * ويختلط راس المال والفائدة * فقل لي اني ينتظم قال
وقد انفرط نظام الحال * هذا وان الكلام له مقامات * ولكل
من الفصاحة والبلاغة درجات *

* قلت قديما مترجما *

* ما استوى في موقف افصاح منطيق ولو *
* قد تحبا سحب سحبان واضحى الاصمعي *
* فافتكر فيما ترى في منزل اعيى الورى *
* هل ترى تبت تحاذي قيل يا ارض ابلعي *

وأين من يوفي المقامات حقها * ويعطي كل مستحق منها مستحقها * ولقد سلكت في هذا الكتاب مسلك أبناء العصر * وطريقة أولاد الدهر * فإن الناس بزمانهم * أشبه منهم بآبائهم * ولو اخذت فيه أخذ العرب العرباء * والبهنه في الفاظه ومعانيه ثوب الاستعصاء والاباء * فابرزت ما قصدته من المعاني الجزلة العجيبة * في قوالب فحلة غريبة * لما التفت اليه * ولا عول لقصور الهمم والافهام عليه * ولما كانت المجازات المشهورة * خيرا من الحقائق المهجورة * والغلط المستعمل * أولى من الصواب المهمل * ابرزتها في إشارات رشيقة * وعبارات رقيقة * وعملت في بعض المواضع بقوله *

* شعر *

* عمدا كسوت مرهبا مغتمرا * ولو أشاء حكته محبرا *

* وقد قيل *

* اذا احسست في لفظي قصورا * وخطي والبراعة والبيان *

* فلا تعتب لفهمي ان رقصي * على مقدار ايقاع الزمان *

ثم ان بين هذا الكتاب * وبين ما صنعه قبله ذووا الآداب * لبونا

مديدا * رامدا بعيدا * بوجوه منها ان زمانهم كان بالرفاهية
مساعد * وانا في عصر لا ساعد لي فيه ولا مساعد * ومنها ان
وقتهم كان فيه من يربي الفضل واهله * ويحل كلا منهم محله *
من الملوك والاكابر * وذوي الفضائل والمآثر * وارباب المناصب
والمفاخر * واقل من فيهم كان يحب السماع * ويميل الى الفضل
والادب بالطباع * فكان الفضل فضيله * والادب خصلة جميله *
واما الآن * فقد انقلب باهله الزمان * فصار حامل الفضل والادب
من رهطه * والمنتظم من العلم في سلكه وسمطه * كأنه سارق عملته
تحت ابطه * ومنها ان الافهام كانت مدركه * وكانت كذلك
قريحة المتكلم متحركه * ولقد صارت الافهام جامده * والقرائح خامده * ونارها
هامده * ومنها ان غالب ما صنف اخباره كاذبه * وسهام اغراض غير صائبه *
لانه لا واقع يطابقه * ولا خارج يوافقه * فعمد مصنفه الى ما عقدته
مخيلته * وتوهمته مفكرته * فالف حسبما اراد * واسس على مقتضى
اختياره ما شاد * وشاد * واما هذا الكتاب فاخباره صادقه * وكلماته
بالصدق ناطقه * اذ هي في الواقع للخارج مطابقه * فابدا ما منشي

الخاطر واعادة على طبق ما أريد منه ووفق ما أراد * ولئن بني في هذا وهذا كفانا * من خيرها وشرها معافى * ولئن ساعد الزمان بترقيه الحال * وخلا من سكان الهموم ربع البال * لا تبعن آثاره * ولا سترن بقدر الإمكان عواره * ولا بذلن الجهد في ترقيحه واصلاحه وتنقيحه * والا فالصفح مأمول * والعذر عند خيار الناس مقبول * والمسئول من صدقات ذوي الأدب * البالغين في البلاغة أعلى الرتب * أن يسبلوا ذيل الإغضاء عليه * وينظروا بعين الإفادة والاستفادة إليه * ويقبلوا لعثاره * ويقبلوا الأعذار فيسدوا أسرة * ويجبروا كسره * ويرقعوا خلله * ويحققوا أمله * راجين من لطف الله ما رجوه منهم * لعل الله سبحانه أن يعفو عني وعنهم * مع أنا كلنا في الهوى سوا * وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى * الحمد لله حمداً يملأ أركان الأمكنة * ويعطر خيا شيم الأزمنة * وصلى الله على سيدنا محمد صلوة نبلغ قائلها مأمنه * ونحله بشفاعته في جنة الفردوس الأعلى مسكنه * وعلى آله وأصحابه الذين استمعوا القول فاتبعوا أحسنه * ونستغفر الله من حصائد الألسنة *

وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

قد استتب طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب

في دار الامارة كلكتة نهار ثالث شهر ذي الحجه سنة الف

ومائتين وسبعة وخمسين من هجرة النبي سيد الانام عليه

الوف الوف التحية والسلام * والحمد لله اولا وآخرا *

صفحه	سطر		صحيح
٤	١٥		اصله
٦	٥		جدا
	٦	تكزت يه	تكترث يه
١٩	١٠	مضونه	مصونة
٣٨	١٣	احوزَ	احوزُ
٥٣	٣	غيرَ المرد	الغيرِ المرد
٥٥	١٤	عليٌّ	عليٌّ
٧١	٥	أُخا	آخا
٨٦	١	وزعرا	وزعرا
٣٢٠	٦	فاخز	فاخر
٣٢١	٢	الرءس	الرؤس